

أنور السادات

سيرة بطل حرّ روح مصر

عبد المنعم شميس

مقدمة

حياة الرئيس السادات خصبة كحياة مصر ، صابرة
كصبر مصر .

وهذا الكتاب عرض للامح هذه الحياة . التي اعتاد
صاحبها على الصعاب منذ نشأته ، واعتاد أيضا اجتياز هذه
الصعاب في قوة وشجاعة باهرتين .

واذا أردنا تحليل شخصيته فلا بد من تحليل شخصية
مصر خلال تكوينها الحضارى والنضالى ، فهو أصدق مثال
على المصرى حضارة ونضالا . حتى أصبحت رؤيته للحياة
رغم وضوحها الكامل مثل شمس مصر . تحير الباحث عن
مقومات هذه الشخصية بسبب عمقها البعيد فى أغوار
التاريخ عبر سبعة آلاف عام ، واحتوائها لثقافات متعاقبة
تجمع العلوم والفنون والآداب والتقاليد والعادات وأشياء
كثيرة متناثرة حول شاطئ النيل من أسوان الى الاسكندرية
وممتدة عبر الصحارى الشاسعة التى تلف الوادى الأخضر .

وقد عاش السادات حياة مصر التي تحارب الصحراء حتى لا تغطي على خضرة الوادى وتحاول جهد طاقتها أن تحيل الرمال الصفراء الى أرض خضراء . وتحارب المياه المتدفقة من فياضانات النهر المقدس حتى لا تغرق القرى فتقيم لها السدود والخزانات ، وتنظم تدفقها الى الحقول ثم قدر لها أن تحارب الغزاة الطامعين فتردهم مهزومين أو تدفن جيوشهم فى الرمال .

وخلال هذا النضال الدائم أقامت مصر الحضارات المتعاقبة وعلمت الانسان كيف يزرع ؟ وكيف يصنع ؟ وكيف يكتب ؟ وكيف يحيا ؟

واكتسب السادات خصائص مصر ، فتكونت شخصيته من شخصيتها . وهى شخصية واضحة ومحيرة فى نفس الوقت ولم يستطع باحث واحد أن يلم بكل أطرافها أو يجمع كل خصائصها حتى ان كثيرين أساءوا فهم طباعها ، ولم يستوعبوا سر بقائها .

اننى أكتب هذه الصفحات عن الرئيس وسط دهشة العالم كله لما حدث فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن السادات لم يدهش لما حدث ورفض أن يسمى الانقضاى المصرى باسم المعجزة ، وأرجع ذلك لأسباب واقعية لخصها فى (ورقة أكتوبر) وأرجعها الى أصولها المصرية التى تتلخص فى كلمتى الحضارة والنضال . وهما أساس مقومات

شخصيته وشخصية مصر . وقال ان ما حدث يمكن أن يحدث مرات أخرى كما حدث من قبل أكثر من مرة .

لقد تعلم المصريون من الهكسوس أسرار أسلحتهم وهزموهم بنفس السلاح . واستطاعوا ان يدفنوا جيوش (قمبيز) في الرمال . وان يجعلوا (الاسكندر المقدوني) ابنا لآمون رع حتى ركع في المعبد أمام الاله « آمون » في واحة سيوة .

وكان المصريون هم الذين هزموا جيوش أوربا مجتمعة في معركة « حطين » التي قادها صلاح الدين ، وهزموا جيوش التتار التي اجتاحت الشرق كله في معركة « عين جالوت » .

وكان المصريون هم الذين هزموا حملة بونابرت وحطموا أحلامه في اقامة امبراطورية الشرق وهزموا بريطانيا العظمى التي احتلت بلادهم أكثر من سبعين عاما وحاربوها في معارك الشعب المصرى الضارية عام ١٩١٩ حتى فجروا كل الثورات ضد الاستعمار الغربى . وقال (غاندى) عندما قاد الهند ضد بريطانيا أن أستاذة هو: سعد زغلول .

ولذلك لم يدهش (أنور السادات) من الدور الذى قام به عندما حول تاريخ العالم . فهو دور مصرى صميم وقد قال هيرودوت عن مصر فى العالم القديم :

— ان ما يحدث فى مصر لا يمكن أن يحدث فى بلد آخر .

وعندما قال (عمرو بن العاص) والى مصر بعد الفتح الاسلامى أن رجالها مع من غلب ، أساء كثيرون فهم عباراته وظنوه يتكلم من مركز القائد الغالب ، ولم يدركوا انه أراد بذلك أن يقول ان رجال مصر يسيرون تحت لواء القائد الغالب المنتصر لأنهم لا يحبون القائد المهزوم . وكان يفسر بكلمته الحديث النبوى الشريف عن جند مصر . عندما وصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم أعز أجناد الأرض ، وانهم فى رباط الى يوم القيامة ، بمعنى انهم سيظلون فى الحرب دائما مرابطين .

وقد عرف السادات هذه الحقيقة ، عندما كانت الدنيا من حوله تموج بدعايات عن جيش اسرائيل الذى لا يقهر . وعن المقاتل المصرى الذى لا بد أن يهزم .

وراجت الدعايات حتى وصلت الى آذان الانهزاميين وكان السادات يعد للمعركة الفاصلة وهو يعلم أن (بونابرت) عجز فى العصر الحديث عن الاستيلاء على عكا ، ولكن جيش مصر استولى عليها بعد سنوات قلائل من هزيمة بونابرت . عرف السادات أشياء كثيرة تعلمها من الحضارة والنضال . ثم رفعته الأقدار فوق قمة المصير لشعبه ، ليرى

المرحلة الفاصلة وهو يقرأ الكتب ليدافع عنها بحد السيف لأن بلاده كانت أول بلاد في الدنيا ألقت الكتب من أجل بناء الحضارة ، ثم استلت سيوفها عندما تعرضت للغزاة لتحافظ على الكتاب .

و ذات يوم زاره صحفي أجنبي في بيته . ووجد في يده كتابا ، فعجب هذا الصحفي من رئيس دولة مطحونة يصرف وقته في القراءة ، وأمامه أخطر المسئوليات ولم يدرك هذا الصحفي أن مصر التي ألقت الكتاب تقرأه وتدافع عنه بحد السيف .

وكان دفاع السادات عن الحضارة أعظم دفاع شاهده العصر الحديث . لأنه لم يقف ضد العدوان الإسرائيلي باعتباره عدوانا على أرض يغتصبها . ولكنه وقف وقفة أخرى أكبر وأعظم وهي وقفة المناضل المصري الذي يحمي حضارة الانسان وحرية الانسان وحق الانسان .

ان الذين أقاموا الدنيا من أجل المحافظة على حضارة اليونان ، وردوا عنها الغزو العثماني ، حتى جعلت بريطانيا العظمى قضيتها ضد سلطان اسطنبول هي قضية الحضارة اليونانية لم يدركوا أن حضارة مصر هي أم الحضارات ، وأن تحطيم معبد من معابدها القديمة معناه خسارة فادحة للحضارة البشرية .

وأولئك الذين ذعروا عندما هدد الجنرال النازى
الألماني بنسف متحف اللوفر فى باريس .. لماذا لم يصبهم
الذعر عندما كانت طائرات الفاتوم تهدد أعظم كنوز العالم
فى قلب القاهرة ؟

كانت قضية الحضارة هى طريق النضال لأنور السادات
وقد ظل يدافع دائما عن حضارة مصر التى حققت سعادة
البشرية ، وستجد فى كل سطر من هذا الكتاب ارتباطا وثيقا
بين الشخصيتين ... شخصية مصر وشخصية السادات .

ان أعظم ما يصل اليه الانسان المصرى هو أن تصبح
شخصيته هى شخصية بلاده ، بكل ما فيها . وقد تجسدت
مصر حقا وصدقا فى شخصية أنور السادات ، ثم تركزت
فى كلمتى : الحضارة والنضال

من أجل غد يعيد بناء الحضارة ، يناضل السادات .
من أجل كتاب فى يده يريد أن يدافع عنه رفع حد
السيف ليصنع السلام القائم على العدل .

هو مقاتل من أجل الفكر بالسيف . وهذا أشرف قتال،
حتى ينتصر الفكر على السيف ويعود السلام .

((عبد المنعم شمس))

رجُل من القريّة



في حياة أنور السادات لحظة موروثة من الأجيال المتعاقبة من المصريين الذين يعتقدون أن كل وجودهم مرتبط بالبلد . وهم ينتسبون الى مدنهم وقراهم ، ويطلقون عليها اسم البلد .

والرجل بلا بلد كالرجل بلا اسم .

البلد هي الأصل . واذا عرفت البلد يصبح الرجل معروفا ، ولا يهم بعد ذلك أنه يملك الثروة أو لا يملكها ، لأن الأهم في حياة المصري أن يعرف أصله أي بلده ، سواء كانت قرية أو مدينة ..

عندما أراد أحمد عرابي أن يعرف الناس بنفسه قال : انه من قرية « هرية رزنة » في محافظة الشرقية .

وكان سعد زغلول يذهب الى قريته (مسجد وصيف) عندما يتعب من عناء السياسة ومشكلات الوزارة ، ويتجول وسط حقولها على ظهر حمار وييده شمسية يتقى بها حرارة الشمس

الساطة في الصيف ، ولم يكن يذهب وحده ، بل كان يصحب معه بعض مريديه ليعيشوا معه فوق الأرض التي أنبتته ، ويجعل من ساحة بيته منتدى للأدب والفكر والسياسة .

وفي إقليم المنوفية أكثر أقاليم مصر خصبا نشأ كثيرون من عظماء مصر . حيث نشأ أنور السادات ، وكان من كبار هؤلاء العظماء في العصر الحديث (عبد العزيز فهمي) زميل سعد زغلول ، وكبير قضاة مصر ، وأحد الرجال الذين جعلوا للعدالة قداسة وللديمقراطية والحرية أساسا راسخا في حياة مصر الحديثة ، وكأنه كان يزرع شجرة سنديان في قريته (كفر المصيلحة) لم تستطع قوى الشر أن تقتلع جذورها ، ولكنها شوهدت بعض فروعها خلال فترة من فترات الهزيمة التي نكبت بها مصر قبل أن يصل أنور السادات الى السلطة ويحقق لمصر ما حقته دائما على أيدي أبنائها المخلصين من انتصارات .

كان عبد العزيز فهمي ابن الاقليم الذي نشأ فيه السادات واحدا من الرواد الأوائل لليقظة المصرية التي جسدها المثال محمود مختار في تمثال (نهضة مصر) الرابض على أبواب جامعة القاهرة ، وهو تمثال الفلاحة المصرية التي تضع يدها على رأس أبي الهول . وكان أعظم عمل قام به عبد العزيز فهمي هو تعليم أبناء قريته (كفر المصيلحة) حتى لم يبق فيها أمي واحد .

خلاصة سبعة آلاف سنة من التاريخ في حكمة واحدة .. هي العلم .

الكاتب المصرى القاعد القرفصاء فى المتحف المصرى بالقاهرة
والذى سافر الى متحف اللوفر فى باريس وهو قطعة من الحجر
الأصم ، لا معنى له الا بالقلم وورقة البردى التى وضعها على
ركبته ، وكتب عليها حياة الانسان .

لقد عاش هذا الكاتب المصرى فى أربعة آلاف قرية على شاطئ
النيل ، منذ سبعة آلاف سنة ، وأصبح رمزا من رموز البشرية التى
فهمت أن الحضارة والمدنية والتقدم لم تتحقق الا بورقة البردى
وقلم الكاتب القاعد القرفصاء

وفى كتاب الشيخ عبد الحميد عيسى فى قرية (ميت أبو الكوم)
جلس الطفل محمد أنور السادات القرفصاء ومعه لوح من الصفيح
أو الاردواز ، وكتب أول الحروف التى علمته الحضارة والمدنية
والتقدم .

المعلم الذى علم (أحمس) قاهر الهكسوس كيف يجلس
القرفصاء ويكتب على ورقة البردى حروف الكلمات هو الذى علم
(السادات) كيف يجلس على حصير امن الحلقا أو السجاد ويكتب
على اللوحة أول حرف فى الحضارة .

ثم ماذا وكيف يصبح هذا الطفل ذكى العينين فى مستقبل
الأيام ؟

ألف باء .. والأرقام التي أصبحت في عصرنا يجمعها ويضربها ويقسمها صندوق صغير اسمه (الكمبيوتر) يقدم كل ما يحتاجه الانسان من أرقام .

الكاتب القاعد القرفصاء كان يعرف هذه الأشياء بطريقته ..
والطفل السادات كان يعرفها أيضا في كتاب الشيخ عبد الحميد بطريقته كما يعرفها آلاف الأطفال .

خلال سبعة آلاف سنة تحولت ورقة البردى وتحول لوح
الصفائح الى آلة تحسب وتكتب . والعلم يتقدم ولكنه في تقدمه
يتحول من ورقة بردى ومن لوح صفيح أو اردواز الى آلة حاسبة
كاتبة .

الذين صنعوا الماضي يستطيعون صنع الحاضر والمستقبل ،
وهم من أبناء القرى المصرية المتناثرة على شاطئ النيل ومنهم الذى
يجمع صخور القمر في عصر الذرة ، ومنهم من يعلم في جامعات أوروبا
 وأمريكا ، أو يمارس الطب في لندن ، أو يرسم المشروعات الهندسية
الهائلة في المشرق أو المغرب .

ثم ارتبط أنور السادات بقرية مصرية لم يكن لها وجود على
الخرائط ، ولكنها موجودة كغيرها في القرى الصغيرة في حياة مصر
قبل أن ترسم الخرائط .

خاطيء من يقول ان مصر من البلاد المتخلفة ، فهي أم الحضارات

ولها الأهرامات ولها المسلات في نيويورك ولندن وباريس وروما ،
ومدن أخرى تزينت باسم مصر وحضارة مصر .

المآذن والمساجد والمتاحف في القاهرة .

ألف مئذنة ، ولا توجد مدينة في الدنيا تحمل فوق صدرها ألف
مئذنة غير القاهرة .

كل حجر فوق أرض مصر له قصة ، وكل شبر من أرض مصر
فوقه موقعة أو معركة وله تاريخ .

ومن كثرة القصص والمواقع والمعارك تاه الباحثون فوق أرض
مصر ، ونسى المصريون آلاف آلاف الحكايات التي تروى التواريخ
القديمة والجديدة وأصبحنا نعرف قصص بعض القرى التي أنجبت
عظماء الرجال .

ان الحضارات القديمة كلها أصبحت سطورا في كتب الا
حضارة مصر .

المسلة الفرعونية أصبحت مئذنة اسلامية فوق مسجد .

أعمدة الكرنك انتقلت كما هي بصورها الى أحدث الأبنية في
العالم .

آلات الموسيقى التي عزفت عليها مغنيات فرعون لا زال
العازون يعزفون عليها حتى اليوم .

حضارة لا تموت .

هذا هو الأصل .. أو هو البلد .

ونشأ أنور السادات مرتبطاً بالأصل والبلد ولا زال مرتبطاً
بهما حتى اليوم بشكل لم يسبق له مثيل .

وعندما ينتقل أنور السادات من القاهرة الى قريته (ميت أبو
الكوم) يرتدى زى الفلاحين في غالب أحواله ، ويجلس معهم على
طريقتهم ، ويتناول الطعام الذي تعود منه طفولته في بيته ، بل انه
يخلع ثياب رئيس الجمهورية حسا ومعنى . ويصبح واحداً من
الفلاحين في قرية مصرية .

هذا الشعور بالانتماء الى القرية هو أساس تفكير أنور
السادات .

والقرية المصرية لها طابع متميز ، فهي بعائلاتها المتعددة تشكل
أسرة واحدة متعاونة ، تحمل تقاليد واحدة لا يملك أحد أبنائها
الخروج عليها ، والا اعتبر من المارقين ، وهذه التقاليد في جملتها
تضفي كلمة واحدة هي : الخير ، واتحيتهم في الصباح والمساء هي
كلمة الخير .

كل شيء في القرية خير حتى حاصلات الحقل ، ومنتجات
البيوت من الزبد والجبن والبيض والدواجن ، فأصبح الخير الى

جانب قيمته المعنوية في تصرفات الناس وأخلاقهم وطباعهم ، يحمل مفهومًا ماديًا أيضًا فيما تقدمه لهم :لأرض من ثمرات هي الخيرات . وأصل هذا "الخير هو طين الأرض الذي ينبت الزرع الأخضر ويطلق الفلاحون على أرضهم اسم الطين ، وهي كلمة يستخدمها أنور السادات عندما يتحدث عن أصل المصريين وانتمائهم الى أرضهم ، وشدة تعلقهم بوطنهم .

من هذا التمازج الحضارى الذى أنبت الزرع منذ سبعة آلاف سنة تكون الانتماء المصرى للأرض ، وأصبحت القرية رمزا للحضارة والانتماء معا . ولا زال المحراث الفرعونى يشق الأرض فى قرية ميت أبو الكوم ، ولا زال الشادوف يرفع الماء ليسقى الطين وينبت الزرع .

وأنت تحص من نبرات صوت السادات عندما يتحدث عن الطين ، بهذا الاحساس القديم العميق الذى ربط المصرى بأرضه عبر الزمان .

لقد كانت أغنية آلاف المصريين الذين ساروا مع جيش (الفيلد مارشال اللىنبى) فى الحرب العالمية الأولى عندما اتجه نحو فلسطين تقول :

بلدى يا بلدى

دانا بدى أروح بلدى

البلد هى كل شىء فى الحياة .. وهى الأب والأم والأخت والأخ والزوجة والولد .. وهى كلمات الغناء وافتتاح القلب .

ويمتد هذا الاحساس الى اليد عندما ينطق اللسان ، وكأن كف
المصرى خلقت لتشعر بالسعادة والرضى حين تأخذ حفنة من طين
الأرض . وهذا الاحساس هو الذى يعبر به أنور السادات عندما
يتحدث عن الطين أصل كل مصرى ، فتمتد كفه فى حركة لاشعورية
لتصور هذا الاحساس .

خلال الأيام الأولى لتوليهِ رئاسة الجمهورية فى ظروف شاقة
عسيرة عبر عن شعور الفلاح واحساسه ، عندما جاءه قادة
السوفييت ، وقال كلمة رد التحية على المجاملة ، وكانت كلمة فلاح
مصرى عريق .

قال السادات :

« لقد جاءنى أصدقاء يحملون الصينية » .

وهذا المعنى من المعانى المعروفة فى قرى مصر ، فإن المجاملة
الظاهرة عند أهل الريف فى مواقف المعاناة أو الأسى ، تكون عن
طريق حمل صوانى الطعام الى البيت الذى يجلس صاحبه مع الناس
للمواساة .

وهذا المعنى لا يقتصر على موقف المواساة وحده ، ولكنه يعبر
أيضا عن مواقف الأفراح حيث تقدم الصوانى للبيت الذى تدق فيه
الطبول ، وترتفع أصوات الغناء ، وهو تعبير الأصالة المصرية عن
الأحزان والأفراح على السواء ..

ومن تقاليد القرية احتفظ السادات بمعنى آخر هو ما عبر عنه بكلمة : العيب ، وهذه الكلمة واسعة المدلول ، فهي تحمل معنى الاحترام المتبادل بين الناس ، واحترام الصغير للكبير حتى لا يحدث العيب .

كما ان العيب يعنى أيضا الالتزام بمبادئ وأخلاقيات لا يجوز الابتعاد عنها حتى لا يقع العيب فوق عاتق صاحبه .

ان الشيء الهام هو أن الريف المصرى ينبه دائما الى رفض كل ما يتعارض مع القيم السامية الرقيقة لأنه يرفض العيب .

وعندما يحدث الخطأ . يغضب السادات ويتحدث عن العيب ، ثم لا يلبث أن يعود الى هدوئه المعهود وصفاء نفسه بعد أن يزول العيب أو تزول أسبابه .

في أعقد المواقف السياسية كان السادات يفكر في معنى (العيب) الذي عرفه في قريته (ميت أبو الكوم) ، وعندما ووجه قبل حركة التصحيح في ١٥ مايو ١٩٧١ ، بعث الصائحين لمسحون نعالهم بالأرض ويتصايحون. وكان هذا العمل شائنا ، قال كلمته الشهيرة :

« هذا عيب » .

وكان لا بد من ازالة العيب على طريقة رجل من قرية مصرية . واستطاع السادات أن ينهى العيب من السياسة المصرية ، وأن يمحو

بقعة العيب من وجه مصر المشرق ، وكانت البقعة توشك أن تصل
الى العينين لتطس أمامهما كل الحقيقة ، وتجعل الزيف والهزيمة
واقعا لا يمكن الفرار منه .

أريد أن أقول لك شيئا عن تفسير لفظة (السادات)؛ فهي من
الألفاظ المصرية العريقة القديمة ، وقد حمل هذا الاسم كثيرون ،
لأنه اسم مطلق . وهناك أسماء كثيرة مطلقة في مصر وكل اسم منها
له معنى .

في بعض القرى المصرية توجد عائلات تحمل اسم (الشيخ) ،
وهي عائلات (المشايخ) أى أصحاب الدين والهدى في القرية ومنهم
امام المسجد وقارئ القرآن ، وقاضى الشريعة ، ومعلم القرآن
في الكتاب .

وفي بعض القرى توجد عائلات تحمل اسم « المهدي » وهو
الذى هداه الله للإسلام .

واسم السادات من هذه الأسماء المطلقة ، والكلمة ترجع الى
لفظ السيد الذى يجمع فيصبح سادة ثم يجمع مرة أخرى فيصبح
سادات .

هذا هو اسم الرجل الذى نشأ في قرية مصرية اسمها (ميت أبو

الكوم)، والذي لا يجد متعة في حياته أكثر من أداء صلاة الجمعة
مع أهل قريته .

أليس هذا هو ما كان يفعله الرئيس الفرنسي (شارل ديغول)
عندما كان، يذهب في أيام الآحاد الى قريته ليصلي في الكنيسة ؟
زعيمان من زعماء هذا العصر أحبا القرية والتصقا بها .. أولهما
(شارل ديغول) وثانيهما (أنور السادات) .

شارل ديغول حرر روح فرنسا بعد الهزيمة في الحرب العالمية
الثانية .

وأنور السادات حرر روح مصر بعد الهزيمة في حرب يونيو
١٩٦٧ .

لقد ولد السادات في ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ في تلك القرية التي
دخلت التاريخ وعندما بلغ السادسة من عمره ألحقه والده بكتاب
الشيخ عبد الحميد عيسى ليبدأ أول مرحلة من مراحل تعليمه .

في هذا الكتاب الذي يضم حوالى ١٥٠ طفلا ، تلقى مبادئ
القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم .

ويروى الشيخ عبد الحميد ذكرياته مع الرئيس (١) قائلا : « في
عام ١٩٢٣ دخل محمد افندى السادات ومعه ابنه أنور الذي كان

(١) اخبار اليوم - ١٩٧٤/٣/٣٠ .

يبلغ من العمر خمس سنوات الى كتاب القرية وكان أنور الصغير يرتدى الجلباب والطاقيّة والحذاء ويحمل لوحاً من الخشب وقلماً من البوص . وسأل الأب عن الشيخ عبد الحميد عيسى « مولانا » . وعندما التقى به قال له أرجو أن تعلم أنور اللغة العربية .. أما اللغة الانجليزية فسأعلمها له بنفسى .

مكث أنور السادات يتعلم فى كتاب الشيخ حوالى ٦ سنوات . كان يذهب للكتاب يومياً من الثامنة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر واستطاع فى هذه الفترة أن يحفظ القرآن كله بأجزائه الثلاثين . ثم حضر والده وذهب به وبرفقتهما الشيخ عبد الحميد الى المدرسة الابتدائية بقرية طوخ ذلكم المجاورة لقرية ميت أبو الكوم . وعقد ناظر المدرسة الابتدائية امتحاناً لأنور الصغير . وكانت اجابته تسمح له بدخول الصف الثالث الابتدائى علماً بأن زملاءه فى الكتاب دخلوا الصف الأول .

ويروى الشيخ عيسى ذكرياته مع الرئيس السادات فيقول : ابن الرئيس كان يخصص ساعة أو أكثر يومياً لدراسة اللغة الانجليزية ، حتى أجادها وهو فى سن مبكرة وعندما كان عمره ثمانى سنوات زارت القرية دورية الانجليزية . وعلى الفور كلف العمدة الخفراء بأن يمروا على الفلاحين فى منازلهم ويطلبوا منهم عدم مغادرة منازلهم أثناء تجوال الدورية الانجليزية ..

ولكن الطفل محمد أنور رفض الاستجابة لتعليمات الخفراء

وأوامر العمدة وأسرع بالذهاب الى الدوار حيث التقى بأفراد
الدورية الانجليزية وأخذ يتحدث اليهم بالانجليزية بطلاقة أدهشتهم
جميعا . فاستمروا يستمعون اليه بانتباه فترة طويلة .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها قريتنا طفلا صغيرا يتحدث مع
الانجليز بمثل هذه الشجاعة والبراعة فى اللغة .. ومن يومها والشيخ
محمد ماضى عمدة القرية يعرف الرئيس شخصيا بالرغم من أنه كان
طفلا صغيرا ..

وعندما كان فى سن العاشرة خرج أنور مع زميلين له للسباحة
فى ترعة الباجورية . ثم جرف التيار أنور الصغير الى داخل الترعة .
وكاد أن يغرق ولكن زميليه تمكنا من انقاذه .

وكان المرحوم والد الرئيس يتوقع أن يتولى أنور مركزا مرموقا
منذ عشرات السنين . وعندما اتهم الرئيس فى احدى قضايا
الاغتيالات قبل ثورة ١٩٥٢ ، وقف والده أمامه وهو فى قفص
الاتهام وقال له : لقد تنبأت بأنك ستكون واليا على مصر .

ويقول الشيخ عبد الحميد عيسى أن الرئيس يحافظ دائما على
عاداته التى تعلمها منذ الصغر . فكلما يزور القرية يطلبنى ويحادثنى
كثيرا . بل أنه يقوم أحيانا بزيارتى فى بيتى المتواضع وكلما شاهدنى
أخذنى بالأحضان .

وأذكر أنه بعد انتخاب الرئيس لرئاسة الجمهورية بأربعة أيام ،
ان كنت أجلس فوق سطح منزلى فسمعت صوتا ينادينى : ياسيدنا

.. يا سيدنا . فوقت على السلم استطلع الخبر ففوجئت بالرئيس
محمد أنور السادات يقف أمامى .

و ذات مرة ، حضر الرئيس للقرية فذهبت لمصافحته ، وعندما
اقتربت منه لاحظ أننى مجهد وعندما سألنى عما بى ، قلت له أنا
تعبان شويه فاستدعى الرئيس على الفور طبيبه الخاص وطلب منه
أن يكشف على وأن يصرف لى الدواء من عنده .
وعندما كان فى الثانية من عمره اعتادت قدماء رحلة الذهاب
والعودة . ومشى على الطريق التى يخرج بها من القرية (ميت
أبو الكوم) ليعود اليها مرة أخرى على نفس الطريق .

المغناطيس الذى يجذبه لا تستطيع أن تراه ، لأنه شىء من صنع
الله ، ولا زال يشده بقوة نحو قرية الصغيرة .

وفى السنوات الأولى للرحلة ، كان الفتى يذهب كل صباح الى
قرية مجاورة لقرية اسمها (طوخ دلکه) حيث بدأ دراسته
الابتدائية فى مدرسة الأقباط التى كانت المدرسة الابتدائية الوحيدة
فى المنطقة ثم يعود فى وسط النهار أو آخر النهار الى بيت أسرته فى
قرية حيث عاش فى كنف جدته لأبيه التى تولت تربيته ورعايته أثناء
غيبة والده الذى كان يعمل فى السودان .

وهناك مثل مصرى يقول ان أعز الأبناء هم أبناء الأبناء ، وقد
صدق هذا المثل على حياة أنور السادات الذى عاش فى كنف جدته
فى القرية ، فمنحته الحب والرعاية ، واهتمت بشأنه حتى حصل على

الشهادة الابتدائية من مدرسة الأقباط . وكان أعظم شيء علمته
الجدة للحفيد هو عمق الايمان بالله واقامة الصلاة ، وحب القرآن
الذي كان قد حفظه في الكتاب .

في تلك السنوات الأولى من حياته بذر الله في قلبه الايمان
وحب اليه الصلاة والصيام والاستماع للقرآن فتكونت شخصيته
منذ البداية على هدى الاسلام ، لا عن طريق أداء الفرائض التقليدية
ولكن عن طريق الخشوع الهادئ المطمئن ، وأنت تلحظ ذلك في
سجوده وركوعه ، وفي قسمات وجهه حين يتوجه لربه بالدعاء في
الكعبة ، أو حول بيت الله الحرام .

وقد رأى المشاهدون لشاشات التلفزيون خلال حرب أكتوبر
١٩٧٣ مشهدا لم يشهده من قبل ، عندما كان السادات في زيارة
السعودية ووقف مع جلالة الملك فيصل عند سلم الطائرة يتناجيان ،
ويرفعان رأسيهما للسماء ، وعلى قسمات وجهيهما علامات الخشوع
الهادئ المطمئن .

بدأت رحلة أنور السادات بالايمان .. وسارت على طريق

الايمان .

ان أهل القرى في مصر يوفرون من قوتهم لقمة بعد لقمة ، حتى
يجتمع للواحد منهم نفقات الحج الى بيت الله الحرام .. وفي هذا
الجو المؤمن نشأ السادات يستيقظ على صوت المؤذن ، ويرى في

كل عام موكب الفلاحين الذاهبين الى مكة ، يخرجون على الطريق
التي عرفها وسار عليها ، ترفهم أغاني الأحباب في أعظم رحلة من
رحلات الحياة .

باسم الله .. هي الكلمة التي ينطق بها دائما ..

وبعد أكثر من عشرين عاما عاد السادات الى مدرسته الابتدائية
مدرسة الأقباط في (طوخ دلكه) في يوم ٩ أكتوبر عام ١٩٥٣ ،
وكان قد حقق نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكتب في سجل
المدرسة :

« بسم الله والله أكبر والمجد لله .

اللهم انى أحمدك وأشكرك ، فقد أراد جل وعلا أن
أزور مهبط الوحي وأصل ثقافتى والمدرسة التى وهبت
روحى الكفاح فى الحياة ، فهى فى نظرى قبة أحج إليها
لأتزود من جديد بالقوة والإيمان .

اننى أتمنى للجمعية والمدرسة أخلص ما أتمنى وأعد
أن أكون خادما لهذه المدرسة حتى أرد ولو بعض
الجميل .

وفق الله الجميع وهدانا جميعا سواء السبيل .

« أنور السادات »

هذه الكلمات القصيرة فيها التعبير عن معنى الايمان الذي يعتنقه السادات ، ايمان التسامح الذي جعله يحافظ على الوحدة الوطنية في مصر ، ويزيد أبعادها وأعماقها عندما وصل الى قمة السلطة ، وحاولت بعض العناصر المريبة خدش هذه الوحدة .

لقد كتب في سجل مدرسة ابتدائية تلقى فيها العلم الكلمات التي يؤمن بها ويعتقها ، ويدافع عنها .

لماذا زار هذه المدرسة بعد أن حقق نجاحه الأول الكبير ؟
لماذا كتب هذه الكلمات في سجل المدرسة ؟

ان رحلة السادات تغذيه دائما بالأفكار والمبادئ والمثل . وقد كانت رحلته الى المدرسة الابتدائية تعبيراً عن ايمانه الثابت بأن الله واحد وهو اله الجميع على اختلاف دياناتهم .

حدث في عام ١٩٥٨ عندما كان رئيساً لمجلس الأمة ، ورئيساً لوفد هذا المجلس في مباحثات الوحدة مع سورية ، أن خرج موكب أعضاء الوفد من دمشق متجها الى حمص ثم حماه وفي الطريق الى حلب وعلى مقربة منها توجد (معرة النعمان) قرية أبي العلاء المعري وتوقف الركب عند القرية في المساء ونزل أنور السادات وتوجه الى قبر شاعر المعرة وفيلسوفها ومر خلفه أعضاء الوفد وبعد زيارة المقبرة .. كتب السادات كلمات ناصعة في سجل الزيارات .

كم عبر زعماء ورؤساء وقادة هذه الطريق ، ومروا على (أبى
العلاء) مر الكرام ، ولم يفكروا فى تحيته ؟

ولكن السادات لم ينس تحية حكيم المعرة لأنه يعرف قيمة
صاحب (رسالة الغفران) فى تاريخ الفكر العربى والفكر الانسانى .
فى تلك اللحظة أحسست — وكان لى شرف مرافقة الوفد —
ان هذا الرجل يرتفع تفكيره فوق كل المشكلات المعقدة ، وأنه
يؤمن بوحدة الفكر العربى وهى السبيل الأوحـد فى وحدة الأمة
العربية .

لقد انصهرت فى أعماقه أشياء كثيرة ، كوفت شخصيته منذ
البدايات الأولى فى خطوات حياته . وتركزت مفاهيمه حول شيئين
عبر عنهما بعد أن وصل الى قمة السلطة وهما الايمان الذى حدثتك
عنه والعلم الذى كان يسعى اليه منذ رحلته الأولى فى الكتاب ثم
فى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكه .

وجذب القدر خيوط الحياة ، فعاد الوالد من السودان فى
اللحظة المناسبة ، وكان الفتى قد أتم دراسته الابتدائية .

كان ذلك فى عام ١٩٣١ حيث أقام الوالد فى بيت بشارع القائد
المواجه لقصر القبة والحق ولده بمدرسة فؤاد الأول الثانوية
بالعباسية .

فى تلك السنوات لم يكن من السهل على آباء الطبقة الوسطى انحاق أبنائهم بالمدارس الثانوية بسبب النفقات الباهظة التى حددت نوعية تلاميذ هذه المدارس . فكانت المصروفات الرسمية للمدرسة الثانوية فى عام واحد تكفى لدفع البدل النقصى الذى تحصله الحكومة لاعفاء شاب من الجندية ، عندما كانت الجندية مفروضة على الفقراء والمعدمين .

وكانت المدارس الثانوية فى القاهرة تكاد تعد على أصابع اليدين أو أقل قليلا ، وكان طلابها يحتاجون الى نفقات ترهق أسرهم فى كثير من الأحيان .

خلال فترة الدراسة الثانوية التى مربها السادات ، مرت مصر بمرحلة هامة من مراحل النضال الوطنى ، وكان الطلبة من أهم العناصر التى اشتركت فى هذا النضال . وعاش السادات مع شباب جيله فترة الصحوة الثانية بعد ثورة ١٩١٩ ، وعاصر منذ صباه فترة الغاء دستور ١٩٢٣ وقيام دستور ١٩٣٠ الذى أصدره اسماعيل صدقى ، وتركز الوضع الوطنى حول الديمقراطية والحياة الدستورية وكان مطلب الجماهير خطأ أو صوابا هو عودة دستور ١٩٢٣ .

واعتقد شباب هذا الجيل أن عودة دستور ١٩٢٣ معناه كبح جماح القصر وارغام الاستعمار البريطانى على التسليم بمطالب الشعب المصرى ، وتحت ضغط الحركة الوطنية توحدت صفوف

الزعماء السياسيين تحت اسم « الجبهة الوطنية » ، وعقدت معاهدة ١٩٣٦ ، التي أطلق عليها في ذلك الوقت اسم معاهدة الشرف والاستقلال .

ورغم أن هذه المعاهدة جعلت للاحتلال البريطانى صفة شبه شرعية في بعض بنودها فانها فتحت بعض نوافذ الحرية في مصر . وأدت الى الغاء الامتيازات الأجنبية والى فتح بعض الأبواب المغلقة في وجه الشباب المصرى ومنها أبواب الكلية الحرية التى ظلت وقفا على أبناء طبقة معينة من أبناء الشعب المصرى خلال فترة طويلة من الزمان ، وقد تحكم في مصيرها الاحتلال البريطانى منذ هزيمة الجيش العرابى في التل الكبير عام ١٨٨٢ وحل الجيش المصرى في أعقاب هذا الاحتلال .

وعندما كان السادات طالبا في مدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية ، فكر في (أحمد عرابى) واستهوته شخصيته ، وحدث تجاذب طبيعى بين الشخصيتين .

كان عرابى يلقب في طفولته وبعد أن شب عن الطفولة بلقب « الشيخ » .. وكان السادات يلقب في طفولته عندما كان في قرية بلقب « الشيخ » أيضا . كما كان أحد أجداد السادات ضابطا في جيش عرابى .

وقد يكون لهذه الخلفيات أثر في استهواء شخصية عرابى لأنور السادات في مطالع شبابه حتى بدأ يدرس تاريخ الثورة

العرايية ، ويكثر من الحديث عن أحمد عرابي بين زملائه وأقرانه ، ولم تكن رحلته الى حمل السيف قد بدأت .

ومما لا شك فيه أن السادات الذي ولد في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨ قبل مولد ثورة ١٩١٩ بأيام سمع من أهل قريته أشياء كثيرة عن (هوجة عرابي) وكيف وقف الناس يساندونها بالرجال والأموال والغلل وكل ما يملكون . ثم عاد الرجال الى قراهم بلعنون الهزيمة في مرارة ويتحدثون أحاديث شتى عن الأسباب التي ضيقت الثورة وسرقت السيف من يد عرابي .

لقد أصبحت هزيمة عرابي يوما من أيام تاريخ مصر .. يوما لا ينساه الفلاحون الذين لم يستسلموا للهزيمة ويتحدث أهل القرية شأنهم في ذلك شأن أهل القرى في مصر عن أسماء بعض الأعيان الذين كانوا يؤيدون أحمد عرابي ثم انحازوا الى توفيق الخديوى بعد الهزيمة حتى لا تضيع الثروة من أيديهم أو السلطة ، وعن أعيان آخرين ظلوا على ولائهم للثورة ولو ضاعت من أيديهم الفدادين والقصور ولكن الحديث الأمتع كان عن البسطاء من الفلاحين الذين ظلوا على ولائهم للثورة مع اختلاف كل الظروف وتقلب كل الأحوال .

ويدور الهمس من دار الى دار عن مواقف الأعيان على اختلاف ظروفهم وأحوالهم ، ولكن أحدا لا يتهم أحدا بالخيانة.. قد يكون موالسا أو مراييا أو منافقا ولكن ليس خائنا .

الخيانة تأتي من خارج مصر .. ولا تخرج أبدا من أرض
مصر .

الذي يملك الأرض ليس أعز نفرا ممن يملك نفسه وينبت
الزرع في الأرض .

السيد يظل سيدا بأرض أو بغير أرض .

وفجأة دوت الصحية فوق الأرض التي أنبتت السادات .. وفي
قرية على مقربة من قريته .

ان روح مصر لا تهزم .

لقد شنقت بريطانيا العظمى الامبراطورية التي لا تغيب عنها
الشمس فلاحا مصرية في قرية اسمها دنشواي .. واسمه زهران .

وتغنى أهالي القرى بالموال :

أيام شنق زهران كانت صعب وقصاته
وكان له أب في حالات الشنق لم فاته
وكانت له أم تعيط على السطح واخواته

حركت دنشواي في يوم ١٣ يونيو ١٩٠٦ كل أوجاع الهزيمة
التي وقعت عام ١٨٨٢ وانتقلت ثورة الأفندية التي تزعمها مصطفى
كامل من القاهرة الى القرية ولم تصبح ساحتها منتديات لندن

وباريس وبرلين ومقالات الصحف ، بل أصبحت ساحتها هي
ساحة دنشواى التى نصبت فيها المشانق ، وعلق الفلاحون ،
وسقط عرش لورد كرومر تحت جثة زهران فلاح دنشواى فى
نفس اللحظة التى تحرك خلالها جبل المشنقة الرهيب حول عنق
البطل الدائم لمصر .. الفلاح ابن كل قرية مصرية .

وخبا صوت ثورة الأفندية .. وارتفع صوت كل زهران فى
ثورة ١٩١٩ .. فى ثورة الفلاحين ..

بدأ الصوت يرتفع مع العائدين من فلسطين ممن جمعتهم
السلطة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى خلف جيوش (الفيلد
ماريشال اللينبى) الذى فتح القدس . وقال فى غطرسة :

« اليوم انتهت الحروب الصليبية » ..

وكان هؤلاء الفلاحون يغنون نشيد مصر الخالد :

يا عزيز عيني وانا بدي أروح بلدى
بلدى يا بلدى والسلطة خلت ولدى
بلدى .. يا بلدى

كان الكلام هو النعم .. وكان النعم هو الكلام .. رحلة
الذهاب والعودة هي البلد .. وصاحب الكلام هو صاحب اللحن
والنعم .

ولكن ..

لماذا هزم أحمد عرابي في التل الكبير ؟
لماذا شق زهران في دنشواي ؟
لماذا سكت صوت الفلاحين الذين أشعلوا ثورة ١٩١٩ ؟
كانت رحلة أنور السادات في الحياة قد بدأت مع هذه
الأصدقاء ، وظلت الأصدقاء تدوى وهو معها عندما كان طالبا في
المدرسة الثانوية .
وأراد القدر أن يضع في يد السادات سيفاً .. فالتحق بالكلية
الحربية وتخرج فيها عام ١٩٣٨ ، ليبدأ رحلة جديدة من رحلات
الذهاب والعودة التي يملك دائما القيام بها على صفحة التاريخ
وجعل مركزها قرية مصرية اسمها « ميت أبو الكوم » .

* * *

انصهار الشخصية



www.egyptianbook.com

قليلون عاشوا حياة مصر مثل السادات ..

ولولا المبالغة لقلت انه عاش حياة فريدة ، عبرها ، واجتاز
عقبات وصعابا لم يعبرها أحد من أبناء جيله .

قد يقف كثيرون موقف المتفرج على أنماط الحياة وأشكالها ،
ولكنهم لا يمارسونها وينغمسون فيها ، ويسبرون أغوارها عن
طريق المعاشة الكاملة كما فعل السادات .

ولم تكن بدايات حياته العملية في عام ١٩٣٨ تنبىء بأنه
سيمارس الحياة التي مارسها ، فقد كان ضابطا في الجيش ، وكانت
الأبواب مفتوحة أمامه ليستقر ويبدأ مثل غيره من الضباط الذين
يرقون الى الرتب الأعلى طبقا لنظام الجيش ، وينحون الامتيازات
التي تكفل لهم رغد العيش في كل الظروف .

وقد يصل الطموح بأبناء الطبقة الوسطى المثقفة في مصر الى
محاولة تحطيم القيود التي كبلت المجتمع ، ويتمردون على الأوضاع

القائمة ، ولكنهم كانوا في غالب الأحيان يستندون في كفاحهم الى حزب أو هيئة أو جماعة .

منذ انتهاء الثورة العراقية لم تعرف مصر فئة الضباط الثوار ، الا في قلة قليلة منهم ضابط عظيم هو (الفريق عزيز المصرى) الذى حارب مع الثورة العربية في ليبيا ضد الاستعمار الايطالى ، وحارب مع الثورة العربية في الحجاز ضد الفساد التركى العثمان ، وساند (مصطفى كمال) ورفاقه ضد سلطنة آل عثمان ، ثم أصبح صاحب المدرسة المصرية العسكرية ضد الاستعمار البريطانى .

وعندما خرج (الجنرال سفنكس باشا) من وزارة الحربية المصرية جلس مكانه (الفريق عزيز المصرى) رئيس الأركان .

ثم ظهر اسم الضابط أنور السادات على مسرح الأحداث ، وعرف واشتهر ، ثم توارى واختفى ليعود مرة أخرى الى الظهور واللمعان .

والسادات أحد أبناء مدرسة عزيز المصرى الأوائل ، ثقافة وفكرا ، وقد روى الثقات أن (عزيز المصرى) حدثهم عن الضابط أنور السادات أحاديث كثيرة ، وكان يقول لهم انه كان يستقبل كثيرين من الضباط في بيته ويتحدث معهم ، ويحدثونه ، ولكنه لاحظ أن الضابط الوحيد الذى أغرته الكتب في مكتبته كان أنور السادات ، فاستعار منه كتبا كثيرة كان يقرأها ثم يعيدها الى مكانها من المكتبة ، وكان عزيز المصرى يناقشه ويجادله فيما قرأ من كتب .

وقد ائفرد أنور السادات مع نفر قليل من زملائه الضباط بحب الثقافة ، وعشق الكتابة . ولكن الملاحظة التى أبدأها الفريق عزيز المصرى لأصدقائه ، تحمل دلالات خاصة ، ظهرت بعد ذلك ، وهذه الدلالات ليست هى الموهبة الأدبية أو الخطابية التى يسلكها السادات ، لأن هذه الموهبة منة توهب من الخالق سبحانه وتعالى ، ولكن فضل الانسان يكون فى حب العلم الذى ينمى الموهبة . والموهبة بلا علم كالشجر بلا ثمر .

لقد فوجئ كثيرون بالمعارف التى حصلها السادات خلال حياته الخصبة ، فهو من العارفين باللغات الانجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية .

فى أحد المؤتمرات الصحفية مع رجال الاعلام ، كان السادات يتحدث عن كتابات توفيق الحكيم ، وفوجئ الحاضرون بالرئيس يتحدث عن أحد كتب الحكيم ، ويقول انه قرأ الكتاب باللغة العربية ، ثم قرأ الترجمة الفرنسية أيضا ، وحفظ بعض نصوصها ، التى ألقاها على الحاضرين فى نطق فرنسى رفيع ، وقبل ذلك ألقى أبياتا من الشعر الفارسى فى أحد المؤتمرات ، كما تحدث الى رجال الاعلام الذين رافقوا المستشار الألمانى السابق (فيلى برانت) أثناء زيارته لمصر فى مارس ١٩٧٤ ، باللغة الألمانية .

وقد لاحظ كثيرون من المراسلين الأجانب أن السادات يمسك بين يديه كتابا على الدوام عندما كانوا يذهبون اليه لاجراء الأحاديث الصحفية معه ، وهو ليس فى حاجة الى تعريف الناس

بقراءاته ، فقد مارس الصناعة المرتبطة بالورق والكتاب ، وهي صناعة الصحافة ، وكتب المقالات وألف الكتب ، منذ بدايات حياته ، وعرف اسمه على صدور الصحف والمجلات قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كأحد الكتاب .

وعندما قامت الثورة كان هو الذى ألقى بيانها من الاذاعة فى الصباح الباكر .

وبعد القاء البيان بدأ يقوم بالعمل الصحفى ، فنشر هذا البيان فى الصحف ، وجلس يمارس هذا العمل فى مكتب (أنور حبيب) مدير المطبوعات فى ذلك الوقت ، ووكيل النيابة الذى وقف يدافع عنه فى احدى القضايا السياسية منذ سنوات قليلة قبل ثورة يوليو ، ثم جمعتهما المصادفة فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، عندما تحققت النبوءة القائلة بأن مصر لا تقهر مهما اشتد ظلم الظالمين .

منذ اللحظة الأولى للثورة كان السادات هو الناطق باسمها .

فسمع الناس صوته فى الاذاعة ولم يعرفوا من هو صاحب الصوت ، مع أنه كان الضابط الوحيد فى مجلس قيادة الثورة الذى تعرفه الجماهير فى مصر ، ثم عرفوه فى نفس اليوم الذى ألقى فيه البيان .

شجاع وطيب ، هذا الرجل الذى تصدى لالقاء أول كلمة ثورة يوليو .

لقد دخل الحياة عن طريق الفكر ، وظل الفكر يلزمه طوال

حياته قبل الثورة وبعد الثورة حتى شاعت ارادة الله أن يتولى
رياسة الجمهورية .

ومنذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يتول السادات منصبا تنفيذيا
أو وظيفة من وظائف السلطة ، وكان المنصب الوزارى الوحيد
الذى تولاه هو منصب (وزير الدولة) فى عام ١٩٥٤ ، وهو
منصب بلا سلطة ، وقد ظل يشغله شهورا قليلة ، ثم خرج منه
للحياة الحرة .

هذه الظاهرة فى مصر غريبة ، أكثر من غرابتها فى مختلف بلاد
العالم ، فان الرجال الذين يتصدون للخدمة العامة فى أى بلد من
بلاد الدنيا ، يحاربون من أجل الوصول الى السلطة .

أما فى مصر فانه من المتعارف عليه أن يسعى الرجال الذين
يمارسون العمل السياسى نحو السلطة .

وهذه النظرية لا عيب فيها ولا خطأ ، لأن أصحاب المبادئ
والأفكار والاتجاهات السياسية والاجتماعية والايديولوجية يريدون
تحقيق أهدافهم عن طريق ممارسة السلطة .

لماذا أخطأت هذه النظرية مع السادات ؟

شاعت له ارادة الله أن يظل شعلة مضيئة ، ولينصهر مع
الجماهير ، ويحقق بالفكر أكثر وأكثر مما يمكن تحقيقه بالسلطة .

القلم أعز شىء عنده .

وليس من قبيل المصادفة أن يجلس على مقعده في بعض المؤتمرات ، ثم ترى يده تمتد الى قلم أمامه يتمسك به ، عندما يبدأ الحديث ، ويظل القلم بين أنامله وكأنه لا يستطيع الكلام دون أن يمس هذا الخشب الرخيص الذي يصنع المعجزات .

العازف لنشيد الحرية وفي يده قلم .

السيمفونية الخالدة لا تتم بغير تلك الأنامل التي تحرك الأوتار عن طريق خشبة أو ريشة تحرك نغم العود والكمان ، أو ظفر من المعدن يحرك أوتار القانون .

في البدء كانت الكلمة ، وفي النهاية كانت اقرأ .. وسبحان خالق الأكوان .

وماذا اقرأ السادات ؟

لا أحد يستطيع أن يعلم ، فان هذه الشخصية لا يكفيها ما يقال دائما للزعماء .. ماذا قرأت ؟ ما هو الكتاب الذي أثر في حياتك ؟ من هو الكاتب أو المفكر الذي تراه نموذجا أعلا في الحياة ؟

كل هذه الأسئلة الساذجة لا يمكن أن تصل الى أعماق هذا الرجل .

لقد قرأ ولا زال يقرأ كل شيء .

انه لم يصل الى القمة فجأة بغير مقدمات ، ولكنه مشى على الشوك خلال أخطر فترة من فترات تاريخ مصر .

مشى على الشوك وفى يده كتاب ..

تجرع مرارة الدنيا وفى يده كتاب ..

ابتسم ، وغضب ، وصبر وصابر ، ونام على الحرير وعلى
الأرض ، واستيقظ مع أحلام الورد وأحلام المعتقلات والسجون ..
وفى يده كتاب ..

هناك مثل قديم يقول : خير أنيس فى الحياة كتاب أو خير جليس
فى الحياة كتاب .. وقد جمع السادات بين الأنيس والجليس خلال
حياته ، فعشق الكتب ، وتحدث عنها ، وألفها ، وبلغ من عشقه لها
أنه طلب الاهتمام بالكتب التى يؤلفها المؤلفون عن حرب أكتوبر
١٩٧٣ .

وخلال فترة انصهار شخصيته منذ كان طالبا فى مدرسة
فؤاد الأول الثانوية حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ظلت الكتب معه ،
ولا زالت معه حتى اليوم ، وعن طريقها تكونت جذور ثقافته
الواسعة .

ولكن كيف تكونت هذه الشخصية الفريدة ؟
بين فبراير ١٩٣٨ ويوليو ١٩٥٢ عبر السادات رحلة الانصهار
الشاق العسير .

وقد بدأت حياته الرسمية فى فبراير ١٩٣٨ بعد تخرجه فى
الكلية الحربية برتبة ملازم ثان ، وألحق بالأورطة الرابعة مشاة

بمنطقة المكس بالاسكندرية ، وفي يوليو من نفس العام نقل الى
منقباد وظل هناك حتى يوم أول أكتوبر ١٩٣٩ ، حيث نقل الى
سلاح الاشارة بمنطقة المعادى وهناك رقى الى رتبة ملازم أول في
أوائل عام ١٩٤٠ ، ونقل في أغسطس ١٩٤٠ الى الصحراء الغربية
بمرسى مطروح ، ثم عاد الى المعادى في أول سبتمبر ١٩٤٠ ، وظل
يعمل بها حتى ابريل عام ١٩٤١ .

وبعد ذلك نقل مرة أخرى الى الصحراء الغربية في ٢٥ ابريل
١٩٤١ ، وظل يعمل بها حتى ٢٧ يونيو من نفس العام ، عندما
ألحق بسلاح الحدود ، وعين في كتيبة اشارة السلاح بالجبل
الأصفر حتى يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٢ ، ومنذ هذا اليوم ترك خدمة
الجيش ، وظل مبعدا عنه حتى يوم ١٥ يناير ١٩٥٠ ، فأعيد الى
الخدمة برتبة يوزباشى وألحق بسلاح الاشارة بالقاهرة ، وخلال
فترة خدمته في هذا السلاح دخل امتحانين للترقى واجتازهما
بنجاح ، ورقى الى رتبة صاغ في ٢٣ سبتمبر ١٩٥٠ .

وقبل ترقيته الى هذه الرتبة ، كان قد نقل الى القنطرة ، وظل
بها حتى ١٠ أكتوبر ١٩٥٠ ، ثم نقل الى العريش وبقي بها حتى
نهاية مارس ١٩٥١ ، وبعد ذلك نقل الى رفح في ابريل ١٩٥١ ،
وهناك رقى الى رتبة البكباشى في ٦ مايو ١٩٥١ وظل في رفح حتى
يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢ عندما عاد الى القاهرة لبدأ صفحة جديدة
من صفحات التاريخ المصرى .

هذه المرحلة من حياة السادات بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٥٢ هى
مرحلة انصهار الشخصية ، والتاريخ الرسمى الذى قدمته اليك
هو تاريخ حياة ضابط فى الجيش المصرى من واقع ملفه العسكرى
وقد جاء فى التقارير السرية التى كتبها عنه رؤساؤه فى الجيش
بعض الملاحظات التى وضحت شخصيته ، وجاء فى آخر تقرير
كتب عنه فى عام ١٩٥٢ :

« ان البكباشى محمد أنور السادات شخصية بارزة أبرز
صفاته الوفاء والأمانة والرجولة . موضع ثقة ومحبوب جدا من
مرءوسيه . نجح نجاحا تاما فى عمله . وحصل على ثناء قائد
الفرقة » .

وكانت التقارير السابقة تشير دائما الى : ضابط مؤدب هادى*
الطباع متين الأخلاق حسن المظهر والهندام .
كما أشارت الى كفاءته الفنية والعسكرية التى توجب
التقدير .

ونحن لا نتحدث عن هذه التقارير الا لنستشف منها بعض
عناصر تكوين الشخصية ، والصفات التى ذكرتها فى جملتها
صفات واضحة ومعروفة ، وقد نشأت مع السادات منذ طفولته ،
ولكن توضيحها خلال فترة نضاله وصراعه ضد القوى الطاغية ،
هو الذى يلفت النظر الى جانب هام من جوانب الشخصية ، فان

السلطات ظل على مبادئها ، ولم يمكن رؤساءه من الاساءة اليه في
تقرير سرى واحد ، رغم أنه أبعد من الجيش في ٨ أكتوبر ١٩٤٣
بدون تحقيق أو محاكمة مما لم يحدث في الجيش من قبل ، وكان
صاحب نشاط سياسي معروف ، ومطاردات من البوليس أدت به
إلى السجن والمعتقلات .

لقد بدأ يخطو خطواته الأولى نحو مستقبل مجهول في عام
١٩٤٠ ، وبعد تخرجه في الكلية الحربية بعامين اثنين . وكان يبلغ
من العمر اثنين وعشرين عاما ، وهي سن الشباب الباكر الذي يفكر
في متع الحياة .

وبدأت هذه الخطوات الأولى في عيادة طبيب بالقاهرة ، حيث
قابل السادات مع الفريق عزيز المصري لأول مرة في ذلك اليوم
لذي لا ينساها وسجل بيده ما دار فيه من حديث . فقال :

« في الدقائق الأولى كان عزيز المصري يحدثني حديث رفيق
الجهاد .. كان يأتسا من الحكومات ، يأتسا من الأحزاب ، يأتسا
من الملك ، يأتسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب » .

وقال لي :

— عيب هذا البلد أنه ضعيف ، وأنه لا يجد العناصر التي تغذيه
بالقوة ..

وسأله :

■

- كيف تأتي بهذه القوة ؟ ..
فنظر الى وقال :
- أأنتم شباب الجيش .. ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون
مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدءون فى الاضطلاع بها ؟
وعدت أسأله :
- وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم
شيئا ؟ ..
فأجاب وقد انتفض :
- تستطيعون كل شىء .. وغيركم لا يستطيع شيئا .. ماذا
تنتظرون ؟ .. تنتظرون توجيهها منى ، من لواءاتكم من حكام
البلاد ؟ ..
وسكت وهو يتمتم : كلام فلرغ ! ..
ثم نظر الى فى عزيمة شابة وقال :
- لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط .. كان
مثلك هكذا شابا يافعا .. ولكنه استطاع أن يكون فى تلك
السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع أن يقود بلاده وجيشه
ولم يكن يتلقى توجيهها من أحد .
وبعد لحظات قال فى عمق :
- التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته

هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن الايمان
ولا تعتدوا أبدا على أحد .. الا على أنفسكم ..

وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت
أنا أيضا أبحث عن الايمان ، وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج
الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها
فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تيسهم الحشرات ، وترعبهم
المخاوف .

ورغم هذا فقد قلت له :

— لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك وعشت لا تعتمد على أحد ..
وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد أن
نعمل ..

فقاطعنى بقوله :

— اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم .. والذى
يستطيع أن يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى
يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش ، لا يستطيع أن يقصى
شباب الجيش عنه .

ويستمر السادات فى الحديث عن عزيز المصرى قائلا :

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء ..
ولكنه عاد الى طبيعته الواتقة .. وقال لى :

— ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فانى على استعداد اليوم
أن أحمل طبنجتى ، وأتقدمكم لأى عمل لانتقاذ البلد ..

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية
التي وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :

— لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على أيدي العسكريين ..
ونظر فى عيني طويلا ، ، وأنا أصافحه .. ولم يقل بعد ذلك
شيئا ..

ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ،
كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا ، وان كنا لا تتبين الطريق
اليه ..

واشتبكت حياة السادات بحياة عزيز المصرى . الذى كان
طرفا من أطراف أول مشكلة واجهت السادات فى مرحلة انصهار
شخصيته ، واتهم مع زميله حسن عزت فى عام ١٩٤٢ بتهمة
الاتصال بجواسيس الأعداء ، لأنهما كانا على صلة بشخصين من
الألمان ، وكانا قد قدما هذين الألمانين لعزيز المصرى ، وكانا
يطلقان عليه لقب (الزعيم) ، وكان السادات هو أيضا الذى أخبر
(عزيز المصرى) بنأ القبض عليهما .. ثم وقع السادات فى فخ
المخابرات البريطانية ، وصدر قرار بمحاكمته هو وزميله أمام
مجلس عسكري ، ويروى السادات قصة المحاكمة فيقول :

« وظهرت لى الحقيقة كاملة عندما علمت بعد ذلك ، أن

الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا ، ثم حبلتهما
المخابرات البريطانية حملا الى مستر تشرشل ، كان يزور مصر
فى ذلك الوقت ، فلما مثلا أمامه ، وعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل
شئ ..

ء واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا
كاملا ، وجاءا بى وبحسن عزت الى السجن !

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ،
وانجليزين أحدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكينز ، والثانى برتبة
كابتن واسمه سمبسون من ضباط قلم المخابرات البريطانية وضابط
من البوليس المصرى ..

وقد لا تهم القارىء تفاصيل المحاكمة ..

فقد كان أهم ما فيها اعتراضا على أن نحاكم كضباط مصريين ،
أمم ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير
الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ، ومن رئيس الحكومة نفسه ،
مصطفى النحاس !

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن
رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك
اليوم ..

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شئ ..
لا اعترافات ولا اجابات ..

لا شيء الا الاحتجاج العنيف .. ونظرات الاحتقار ..
وتقرر وضعنا تحت الايقاف .. ثم طردنا من الجيش في ١٤
أكتوبر ١٩٤٢ .. أى بعد حادث ٤ فبراير بثمانية أشهر فقط ..
ولم نكد نبرح مكائنا من الجيش ، حتى تسلمتنا السلطات
المدنية ، فحملتنا الى سجن الأجانب ثم رحلتنا الى معتقل
المنيا .. »

واشتد التصاق أنور السادات بشخصية عزيز المصرى ، ورأى
فيه رجلا اذا صمم على شيء لا تستطيع قوة أن توقفه عن المضي
فيه ، ووصفه قائلا :

« للفريق عزيز المصرى طبيعة النزعة الى التحرر من كل قيد ،
وشخصيته المستقلة دائما ، وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على
الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية .. والعمل بالارادة » .

كما روى عن عزيز المصرى قوله لمريديه :

« اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب .. اقرأوا فى السياسة ومذاهبها
والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه .. اقرأوا وأضيئوا فى
رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى
يهمل ويهال عليه التراب ..

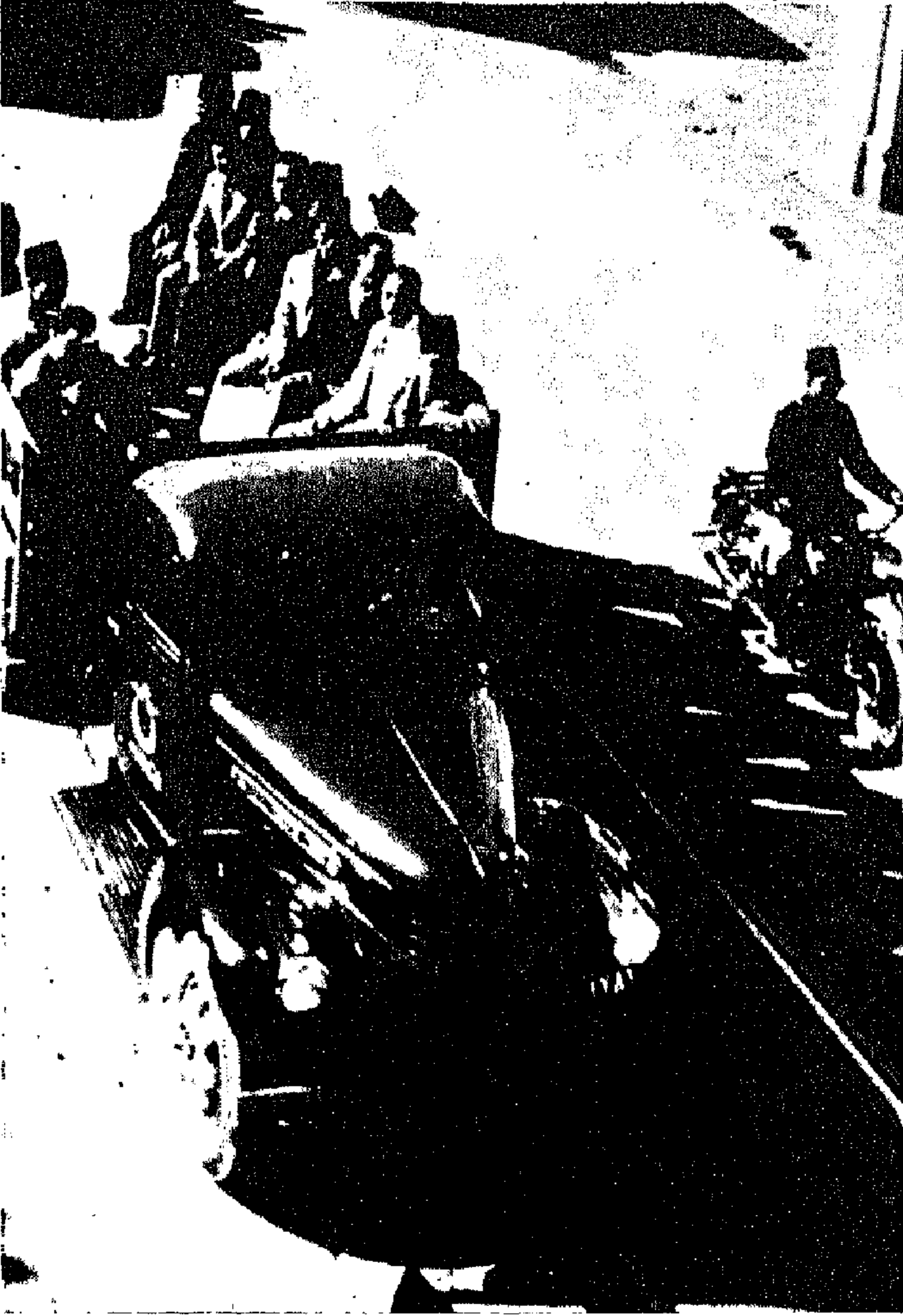
اقرأوا .. ثم اضربوا فى الأرض .. واعرفوا الناس ، وجربوا

بأنفسكم كل شيء .. ولا تتقيدوا بدعوة ولا بزعيم .. ولا تربطوا
أنفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا إذا ما استنارت بالعلم
برءوسكم .

وكانت المكتبة في المعتقل هي المكان المفضل دائما للسادات ،
وكان البحث عن الصحف والجرائد والقلم والورق هو شغله
الشاغل .

ثم كان الحدث الهام الذي صهر شخصية السادات خلال
فترة انفصاله عن الجيش بين أكتوبر ١٩٤٢ ويناير ١٩٥٠ . عندما
اتهم في قضية مقتل أمين عثمان عام ١٩٤٦ وحكم ببراءته ، وقد
كتب مذكرات الفترة التي قضاها في السجن ، ونشرت في مجلة
المصور عام ١٩٤٨ تحت عنوان (٣٠ شهرا في السجن بقلم
اليوزباشي أنور السادات) ، وقدمت المجلة كاتب المذكرات
بمقال :

« اليوزباشي محمد أنور السادات هو أحد المتهمين في قضية
اللاغتيالات السياسية ، وقد حكم ببراءته . وهو أقوى المتهمين
شخصية وأكبرهم عمرا وأكثرهم ثقافة وتجربة . وكان قد عكف
أيام سجنه على تدوين مذكرات تصور الحياة داخل السجن أصدق
تصوير . »



مع زملائه في
طريقهم الى السجن



السادات عندها كان
طالباً في الكلية الحربية

اثناء محاكمته في
قضيه أمين عثمان





في الايام الاولى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢



يتلو القسم امام مجلس الشعب بعد توليه رئاسه الجمهوريه



جماهير الشعب المصري تعبر عن فرحتها



بانتخاب السـادات رئيسـا للجمهورية



المسادات يحرق اشرطة التسجيل في نساء
وزارة الداخلية بعد حركة التمسيح في ١٥ مايو ١٩٧١



رجال الشرطة يؤيدون حركة التصحيح في ١٥ مايو ١٩٧١



لقاء مع اساتذة الجامعات



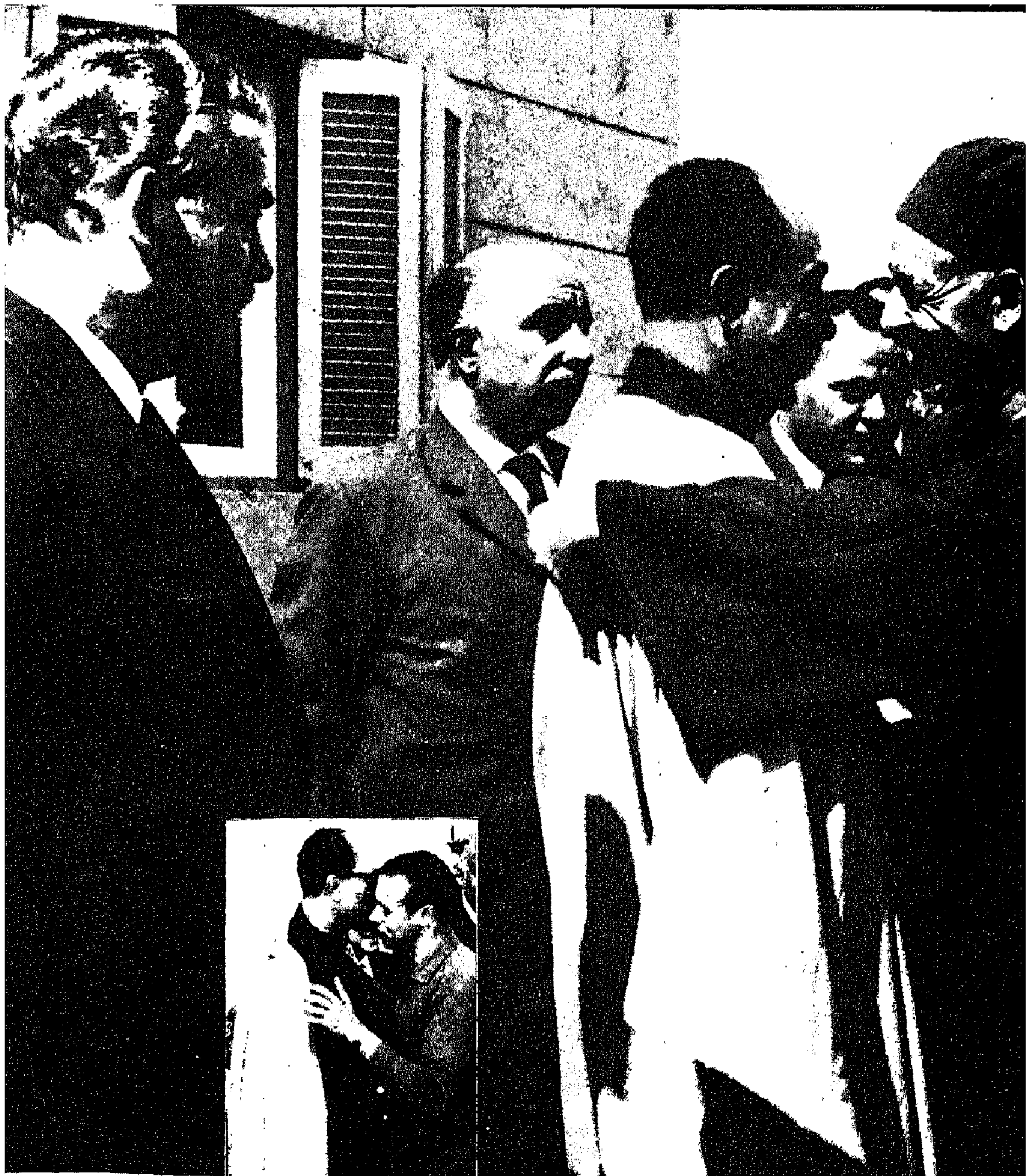
فرح وبشرى مع ابنائه
الطلبة .. رجال المستقبل



مناقشات مع بعض أعضاء مجلس الشعب



مع احدى الفلاحات في قريته (ميت أبو الكوم)



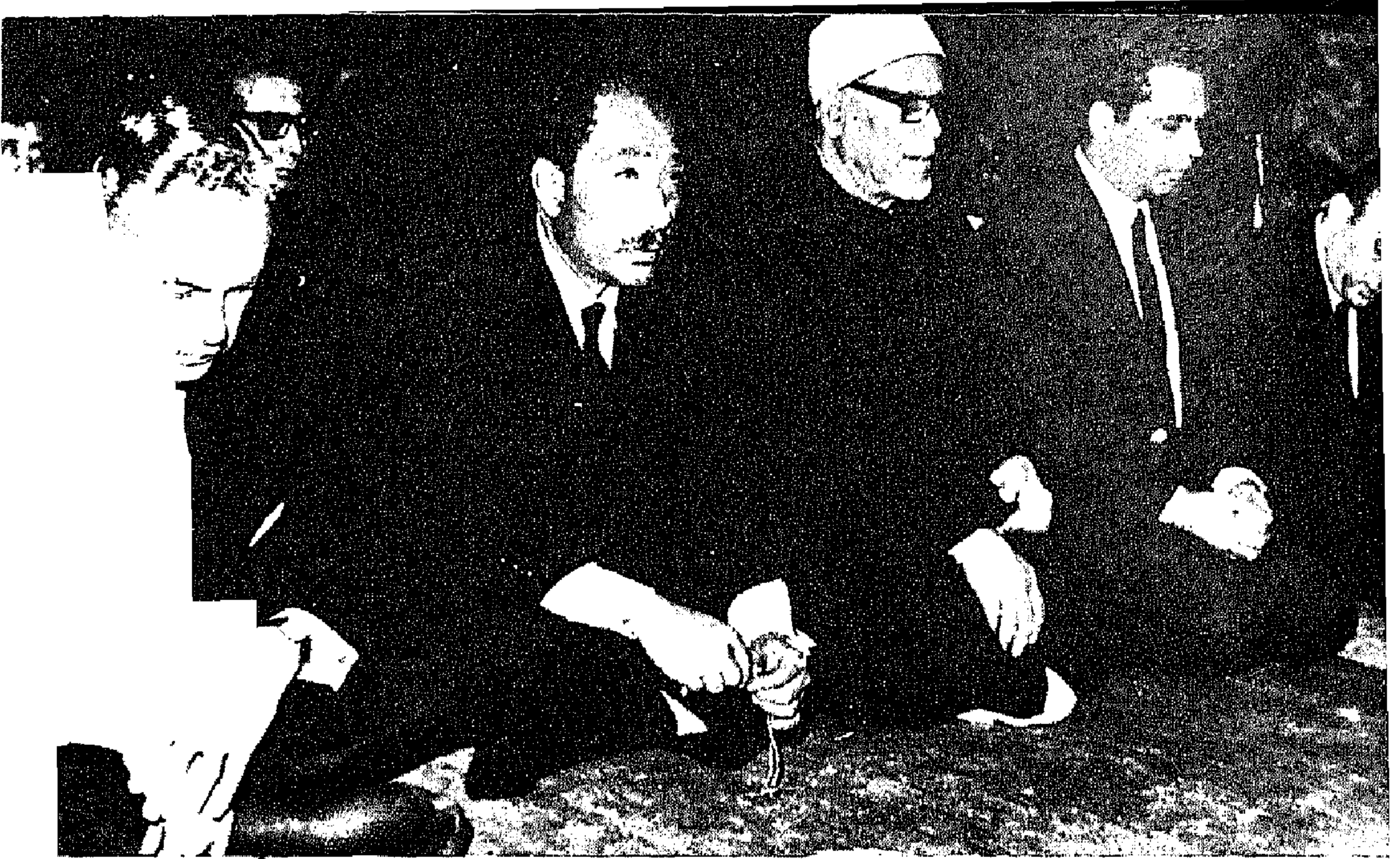
الفلاحسون والمعمال في القرية
يأخذونه بالاحضاسان دائمي

الرئيس يدلى بصو
في الانتخابات في قرية
ميت أبو الكوم



في طريقه الى معه
مجلس الشعب
وسط التصفيق
والفرح باللقاء ..



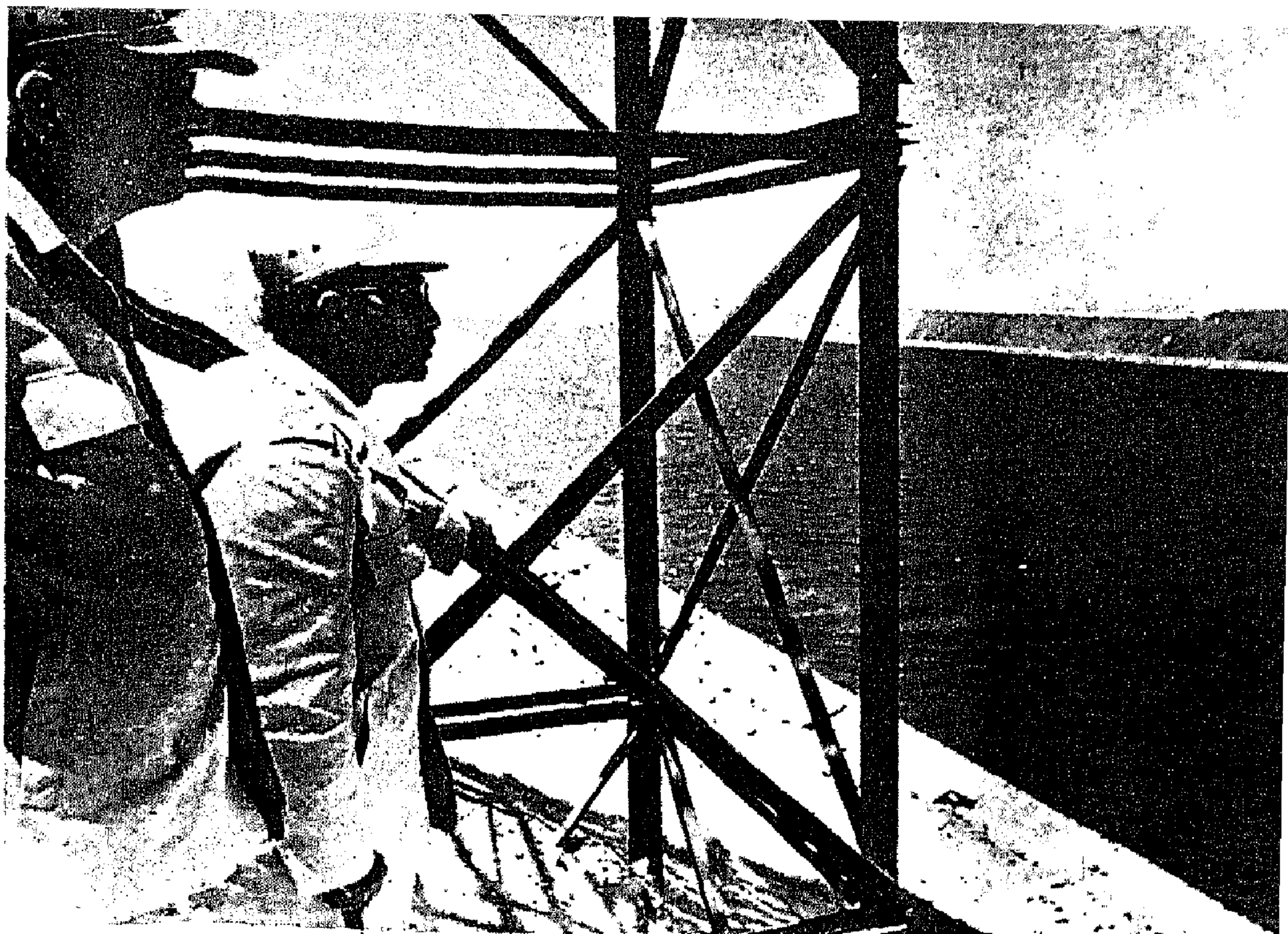


الرئيس المؤمن يؤدي الصلاة في المسجد



لقاء مع قداسة بطريرك الاقباط الارثوذكس





مع الجنود
في جبهة القتال



حديث مع
القادة العسكريين



وسام من يده الى مقاتل جريح

ويقول السادات في هذه المذكرات النادرة :

الجمعة ١٨ يناير ١٩٤٦ :

دخلت أمس سجن الأجانب بعد منتصف الليل بعد أن عدت من سراي النيسابنة ((ها هو ذا سجن الأجانب يضمنى ثانية بعد أن كنت نسيتته نماما)) إذ أن آخر ذكريات لى فيه انتقلت الى ركن بعيد من ذاكرتى ، ولكننى أرانى الآن أستعيدهما كما لو كانت بالأمس . . .
فها هى ذى الغرفة رقم ٢٨ التى كنت أسكنها . وقد نقلت الى السجن فى شهر سبتمبر ١٩٤٤ ، على أثر مشادة بينى وبين ادارة المعتقل بالزيتون ، تمهيدا لترحيلى الى الطور كما ارتأى الحاكم العسكرى وقتذاك .

اننى أذكر جيدا الآن كيف جاهدنا لنجعل اقامتنا هنا محتملة وأذكر ابضاً ذلك اليوم الذى أعلنت فيه بالسفر الى ((الطور)) ، وكيف نقل أحد زملائنا الى سجن التخشيبية وبقيت فى انتظار موعد قدوم الطوافة التى ستقلنا الى الطور إذ أن رحلتها كانت شهرية ، وأحضروا لنا طعام الرحلة من المتعهد لكى نحملة فى سفرنا وهو عبارة عن بقسماط ناشف ، وجبن ، وحلاوة .

كما انى ما أزال أذكر أنه قدر لهذه الرحلة ألا تتم ، فقد تدخل الانجليز فى عدم اتمامها ولهذا التدخل قصة طريفة : فقد كان رجال المخابرات البريطانية دائمي التردد على سجن الأجانب بشأن قضاياهم وذات يوم حضر الى السجن المدعو اليجور سمبسون من قسم الجاسوسية البريطانية فى الشرق الأوسط فقابل

مصادفة زميلا لى وهو فى الزيارة بغرفة المأمور ، وسأله
عن سبب وجوده فى سجن الأجانب فأخبره بوجودنا
جميعا ، تمهيدا لترحيلنا الى الطور ، فشار سمسون
ثورة هائلة لأننا كنا معتقلين على ذمة تصرف السلطة
البريطانية فى أمرنا ؟ : ثم أعطى زميلى وعدا قاطعا بإلغاء
هذا الترحيل وعودتنا للمعتقل ، وكانت السفارة
البريطانية مصدر السلطات حقيقة وقتذاك ، فانه لم
يمض يوم واحد على زيارة سمسون المذكور حتى ألقى
الحاكم العسكري أمره بترحيلنا للطور وعدنا الى
المعتقل فى عهد خلفه .

وما زلت أذكر كيف دفعنى الفضول لا ستقصى سر
(سمسون) هذا ، فعلمت أنه كان موظفا فى شركة
تأمين انجليزية كبرى فى القاهرة قبل قيام الحرب
بزمن طويل ، وكان يعمل فى قلم المخابرات البريطانية فى
نفس الوقت ، فلما أعلنت الحرب جند رئيسا لقلم
الجاسوسية فى القاهرة برتبة كابتن ، وكانت مدة
خدمته السابقة كفيلا بأن تجعله يجيد العربية بجميع
لهجاتها (بحكم الصنعة) ويتفغل فى جميع الأوساط
ويقف على جميع الاتجاهات) (ولم تستطع الامبراطورية
العجوز أن تستغنى عن خدماته بعد الحرب فهو يشغل
الآن وظيفة دبلوماسية فى السفارة البريطانية .. ترى
ما هى حقيقة العمل الذى يؤديه الآن ؟

ان الذكريات تتدافع الى رأسى فى كل اتجاه وكأنها
تتوالى حوادثها فى تشويش واضطراب لقد نسيت اننى
الآن متهم فى قضية أمين عثمان باشا .

اننى أرى جو السجن رهيبا بخلاف ما عهدته الا

اننى اعتقد أن الوضع سيكون على اية حال أحسن ،
فلست الآن تحت الأحكام العرفية كما كان الحال في
المرّة السابقة ولعل وجودى على ذمة النيابة يكون خيرا
من وجودى على ذمة الحاكم العسكرى المفضل .

الأحد ٢٠ يناير ١٩٤٦ :

مضى على الآن ثلاثة أيام وأنا أنام ببسلى ، فقد
نقلونى الى هنا مساء الخميس السابق بدون أن يحضروا
ملابسى وحاجاتى من سجن مصر حيث كنت . . هذا
برغم اننى شكوت شفويا ثلاث مرات فى الأيام السابقة
لأمور السجن .

اننى ألاحظ تغيرا شديدا فى معاملة المأمور لى
بالنسبة للمعاملة التى لقيتها منه المرّة السابقة فهو
يحيلنى دائما على رئيس القلم السياسى الذى أخفقت
فى محاولة الاتصال به . . لذلك كتبت خطابا شديدا
التهجّة الى النائب العام فى شأن هذا الإهمال ، وتركى
بدون ملابسى أو حتى صابونه لأغتسل . . وقد سبب
لى النوم بالبدلة التهاجا شديدا فى فخذى .

الاثنين ٢١ يناير ١٩٤٦ :

يظهر أن خطبى للنائب العام أحدث أثرا ، فقد
أحضر لى مأمور السجن ملابسى ، وكذا أحضر
الصابون .

الفسحة فى السجن معدومة ، وآكاد أقضى الأربع
والعشرين ساعة فى الغرفة ، وهى مظلمة وشديدة
المرطوبة لأنها فى الدور الأول على سطح الأرض . . ولا
طلبت تفسير ذلك من هيكلان هز رأسه ولم يجب .

٢٢ يناير ١٩٤٦ :

أصبحت الحالة لا نطاق - فلم يسمح لي الضابط
النوبتجي اليوم بالتوجه الى دورة الميساه في الصباح
كالعتاد وعيئا حاولت التفاهم معه ، ولم ينقذ الموقف
ألا تزول هيكلان من منزله فسمح لي بأن أقضى حاجتي
وأتوضأ . .

وفد كتبت للنائب العام مرة ثانية أعلمه بهذه
المعاملة الشاذة ، فطلبني وكيل النيابة عند الظهر
وأثبت شكواي ، وخاصة فيما يختص بالسماح لي
بالقراءة ولكنه ، سامحه الله لم يسمح لي بشيء حتى
ولا بالمصحف الشريف .

٢٧ يناير ١٩٤٦ :

خرجت اليوم للفسحة فقابلني شاب أخبرني أنه
صحفي معتقل ، على ذمة قضية صحفية ، وأخذ
يحدثني عن قضيته ثم تدرج الى التحدث عن السياسة
والانجليز والذين يتعاونون معهم وكيف أن الكفاح الحق
يجب أن يتجه أولا الى القضاء على هذه الفئة من
المصريين لأنها طابور خامس يكمن في ظهر البلد
الخ : وكنت طوال الوقت أقوم بدور المستمع ، ثم سكت
((الصحفي)) قليلا وعاد يخبرني أن الغرفة التي أسكنها
وهي رقم ٦ كان يسكنها في وقت من الأوقات شفيق
منصور الذي أعدم في قضية اغتيال السردار وكيف
تمكن البوليس والنيابة من أخذ الاعترافات منه ، فقال
أنهم لم يكونوا يسمحون له بالنوم ، ثم يأخفونه في
ساعة الفجرية وهي ساعة (النومة الحلوة) في عربة
حنطور ويمشون بها على النيل ويأمرون شفيق منصور

بالوفوف طول الوقت ، حتى اذا أخذته سنة النوم
ايقظته أسنان سناكي المرافقين له ، وبذلك وبطرق
أخرى (ام يوضحها) تحطمت أعصاب المتهم وأدلى
باعترافه .

وعاد الصحفي الى السكوت فترة أخرى وهو ناظر
الى في اشفاق ، ثم قال لى أنه علم من أحد العساكر
السجانيين ان الغرفة رقم ٢ (وهى مقفلة دائما ويسدل
خلف بابها ستار سميك بخلاف جميع غرف السجن)
تحتوى سرا غريبا ، وهو أن بها آلات وأجهزة تركيب على
الجهاز التنفسى للانسان وعلى رأسه ليصبح فى غيبوبة ،
يدلى فيها بكل ما فى قلبه من أسرار يحرس على اخفائها
وهو فى حالته الطبيعية ولاحظ صاحبنا أننى لا أتكلم
مطلقا وأكتفى بأن اظهر له علامات عجبى من آن لآخر ،
فسألنى لماذا لا أتكلم وأخبره بالحقيقة عله يتمكن من
مساعدتى قانونيا ، فقلت به بهدوء ((أنت بتهمسك كام
ساعة نوبتجيسة)) فرد على الفور بدون تفكير : ((١٢
ساعة)) ثم احمر وجهه وأدرك خطاه فقام فى الحال
وتركنى . . وحضر الى السجنان يعنفنى لأننى تأخرت
فى الطابور ويأمرنى بالذهاب الى غرفتى فقامت وأنا
أضحك فى كفى .

٣٠ يناير ١٩٤٦ :

حدث فى الساعة الثالثة من صباح اليوم مشهد
مسرعى رائع فقد استيقظت فى الساعة الثانية صباحا
على صرير فتح القفل ودفع المزلج بشدة للخلف ثم دخل
ضابط القسم السياسى وطلب الى أن ألبس لأننى
مطلوب للتحقيق ، فقامت من تحت البطاطين على السرير

لا تنتظر ما يقرب من ساعة في جو هو الثلج تماما ، ثم عاد الضابط وقادنى الى الطريقة الخارجية حيث وجدت ثلاثة شبان ينتفضون من شدة البرد مثلى ، وكان اول اثر انطبع في ذهنى عند رؤيتهم أنهم طلاب في الابتدائى أو على الأكثر في أوائل الثانوى - وأمرت أن أقف مع هؤلاء الأولاد ولكن بعيدا قليلا ، بحيث يفصل بينى وبينهم ضابطان بالقسم السياسى وظلنا صامتين فترة ولدت في نفسى ، بالاشتراك مع سكون الليل وبرد الساعة الشديد قلقا شديدا . . وأردت أن أحول فكرى عن هذا القلق فتوجهت بالحديث الى أحد الضباطين ولكنه رد بخشونة طالبا الى السكوت الآن ((البك وكيل النيابة)) فى الطريق فزادت هذه المعاملة من توجسى وصمت فترة قد تكون قصيرة ولكن خيل الى أنها أيام ثم خرج الينا وكيل النيابة ونحن فى موقفنا هذا ، ورأيت أول ما رأيته يريح ستارة الغرفة رقم ٢ الخضراء ويقف قليلا حيث انعكس عليه ضوء الغرفة ثم تقدم الينا فى خطوات ثقيلة وبدأ بالثلاثة الصغار فتفرس فى وجهى وفى لهجة عذيقة سألنا من منكم يعرف الآخر ؟ فتعرف أحد الشبان الثلاثة على الاثنين الباقين وهو ينتفض ولم يتعرف على أحد ، ثم كرر هذا الأمر ثانية مشيرا الى بشكل ذكرنى ((بابى حجاج)) وهو يمثل رجل الساعة فى برنتانيا - ولكن لم يتعرف على أحد فأمر باعادتى الى غرفتى حيث لم أتم الى الصباح .

٣١ يناير ١٩٤٦ :

تكرر نفس المشهد التمثيلى فى الساعات الأولى من صباح اليوم ، ولكن بثلاثة وجوه جديدة ((بدأت أشعر

بتعب وارهاق عصبى شديد لذلك أرسلت للنائب العام
تلفرافا أستنجد به وأطلب مقابلته بحضور محامى » .

٢ فبراير ١٩٤٦ :

استدعانى اليوم وكيل النيابة ظهرا وكان بيده
التفراف وحقق معى بشأنه فرفضت الادلاء بسبب
ارساله الا بحضور المحامى ، سواء أمام النائب العام
أو أمام المحقق ، ولما أعلمنى باستحالة ذلك لسرية
التحقيق أجلت الادلاء بما أريد الى فرصة أخرى .

٥ فبراير ١٩٤٦ :

تحسنت معاملتى نسبيا ، واتضح رسميا ان
صاحبنا (الصحفى) اياه لم يكن سوى أحد أعوان
البوليس السياسى أو أحد (العملاء المفررين) بالتعير
الفنى ، وكان يتحاشى مقابلتى عند خروجى للفسحة
الأسيفة وهى عشر دقائق طول اليوم زيدت عشرا أخرى
وسمح لى بقراءة المقطم والأهرام والمصور ، ولكن لم
يسمح لى بالكتب ولا باستحضار آكل من الخارج ، فى
حين أنهم يصرحون لباقى المتهمين بكل شئ .

٨ فبراير ١٩٤٦ :

حدث أن خرجت من غرفتى الى دورة المياه اليوم
ظهرا فوجدت العسكرية المراسلة يدخل الغرفة رقم ٢
ومعه لفة كساب وكفته ولما سألت قبل لى أنه سجين
هذه الغرفة هو وستة آخرون وأنهم ياكلون ما يشاءون
فثرت ولم ادخل الغرفة الا عندما حضر المأمور - وكان
قد تعين مأمور مصرى فى هذه الفترة - فتكلمت معه

بغلظة ، كان من نتيجتها أن سمح لى بعد جهد بالآكل.
على حسابى .

١٤ فبراير ١٩٤٦ :

استمعت الى أنغام موسيقية آتية من بعيد ،
لا أدري من أين . ربما راديو . . اننى أعشق الموسيقى
بكل جوارحي ، وأكثر من ذلك فهي تضيف على هذا
الجو الرهيب لونا خفيفا طليا من الجمال الذى يرتفع
بالنفس الى آفاق الروح فينسى الانسان الزمان والمكان
والأشياء .

١٧ فبراير ١٩٤٦ :

طلعت علينا جريدة (المقطم) وفيها خبر نقل
((كليرن)) من مصر ولما كنت أبغض هذا المخلوق الذى
داس كرامة مصر كلها ، فقد صممت على أن أحتفل
بهذه المناسبة بقدر ما أتمكن وأرسلت فى شراء دستة
جاثوه ووزعتها على السجنائين .

أيام وليال في سجن مصر

٣٠ يونيو ١٩٤٦ :

لقد مضى على منذ نقلت الى هذا السجن اربعة أشهر كاملة ، خلتها لشدة ما اكتنفها من ظلام اطول من اربعة أعوام .

ولطالما حاولت خلال تلك الفترة أن أسطر شيئا ، لعل أنفص بذلك عن صدرى ما يخيم عليه من الكآبة والجمود ، ولكن هيهات لى أن أجد القلم ، فان الأقلام هنا محظور وجودها ، وعرفتى وثيابى يفتشان بانتظام ودقة مرتين يوميا . . وان وجد القلم فلا يوجد الورق ، وحيأزتى لورقة بيضاء جريمة أعاقب عليها واذا اراد الله أن أجمع بين ورقة وقلم واحتفظ بهما بمنجاة من التفتيش انتظارا ليل ، كنت بذلك أغالط نفسى ، فالزنزانة التى تحتوينى مصممة بحيث لا ينفذ اليها النور الا من كوة قرب السقف تسمح لضوء النهار فقط أن يغازل الغرفة أما فى الليل فيجب أن تقترن الوحدة بالظلام .

لا سبيل الى الكتابة اذن ، ولا سبيل أيضا الى القراءة فقد منعت من استحضار كتب أو قراءة الصحف ، وأصبحت - فى القرن العشرين - أعيش عيشة حيوانية بحتة ، فى قفص من الحجر طوله ثلاث خطوات وعرضه خطوتان ، طيلة الأربع والعشرين ساعة

لا يقطعها الا صرير مفتاح الحارس عندما يفتح باب القفص ليقتذف لى بالأكل ، ثم يعيد القفل ثقية ، وهكذا .

ولماذا ؟ لأنه يراد أن اقضى تلك الفترة المقلقة في سجن الأجانب على نحو من الفرع والرهبة ثم تتلوها هذه الحقبة في سجن مصر في ظلمة واجذاب ووحدنة .

أن شر ما يصاب به انسان ذو مثل عليا هو الانحطاط العقلى . فالقراءة والاطلاع الزم للفرد من الطعام في هذا العالم الذى اتصل قاصيه بدائييه ، ولكنهم هنا لا يؤمنون بذلك .

ولقد حاولت جاهدا خلال هذه الفترة أن أحتفظ بشيء من معنوياتى بعد أن فقدت كل أمل في الانصاف والعدالة ، بل لا آكون مغاليا اذا اعترفت لنفسى صراحة بأننى كنت أن أفقد توازنى وان أشك في كثير من القيم ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده فقد أراد لى في يوم من أيام شهر يونيو ١٩٤٦ أن تزاح هذه الغمة عن صدرى فصدر أمر بتركيب الكهرباء في الزنازة فاضيت ليلا وسهرت لنا بقراءة الكتب والصحف وبالأقلام والورق .

وهكذا بدأت الحياة تدب في نفوسنا من جديد وبدأت أفبق من ذلك الكابوس الكريه وكأنا اشرفت علينا الشمس بعد طول الظلام وطلع علينا أمل منعش بعد يأس مفجع ولا غرو فهي حياة جديدة حتى ولو كانت داخل القضبان .

١٥ يوليو ١٩٤٦ :

استدعاني اليوم ضابط العنبر لكي يسلمني ادوية
وردت لي من الخارج وقد سمح لي بالجلوس نظرا للزمالة
السابقة أخذنا نتجاذب أطراف الحديث فجأة سمعت
عويلا وصراخا على الباب الخارجي للسجن ولما استفهمت
قال لي في بساطة ان مسجوننا توفي وإن أهله في انتظار
تسلمه . . وبعد فترة وجيزة خرجوا بالجثة من باب
الوسط الذي في مواجهتنا وقد تملكنتي رهبة لجلال
الموت فشردت برهة لأفيق على زغاريد وغناء في ناحية
سجن النساء .

يا الهى كم في هذا المكان من متناقضات نهر
المشاعر هزا ؟

نظرت الى الضابط في استفهام مرة أخرى ويظهر
أنه لاحظ ما انتابني فضحك قائلاً ((انها سجينه نشالة))
لا بد أن تكون قد وضعت مولودا وهذه زغاريد زميلاتها
في المستشفى يحيينها التحية المعتادة لمثل هذه المناسبة
تفصيل أنت لآتني ساذهب لأثبت المولود في الأيراد
واحذف الميت في الترحيل .

عدت الى غرفتي بانفعالات مشوشة . . ولكن أليست
هذه سنة الحياة أيراد وترحيل ؟

٢٥ يوليو ١٩٤٦ :

أهم ما يشغلني في الوقت الحاضر هو المفاوضات . .
كثيرون منا يتنبأون بفشلها ، وآخرون يعترضون على
مبدأ المفاوضات في حد ذاته لنيل حقوق البلاد . . لذلك
قررنا عقد مؤتمر من السجناء لمناقشة هذه المشكلة
وأن تظل المناقشات حولها حتى انعقد المؤتمر .

٣١ يوليو ١٩٤٦ :

حدث اليوم عندما كنت عائدا من طابور الصباح ان
مررت في الطريق الى العنبر أمام المطبخ واذا بأحد
المساجين يخرج مهرولا الى ويمسك بالبيجاما وهو
يبكى .. وقفت في مكاني ، الا أنني أدركت أن وجهه
مألوف لدى ولكنني لا أذكره ، وأخذت أهديء من روعه
وأسأله ما يريد ، فذكرني بنفسه واتضح أنه ((إبراهيم
رضوان)) الذي كان جنديا وسائقا لسيارتي بالجيش ..
وأخذ يرجوني أن أتوسط لدى الضابط النوبتجي
(مصمما على أنني ما زلت ضابطا) لأنه يخشى عقابا
معيينا .

٦ أغسطس ١٩٤٦ :

انعقد مؤتمر المفاوضات أمس واليوم .. هذه
صورة سريعة لبعض ما دار في الجلستين ، وهو أن يكن
مطبوعا بطابع الشباب والاندفاع الا أنه في اعتقادي صورة
لا يعتمل في صدر كل شاب مصري فحقيقة اليوم هي أن
الشباب فقد نفته الى الأبد في الحزبية وقادتها وكل
محترفي السياسة .

وقد قلت في ختام المناقشة : إن الحزبية قد فشلت
في بلادنا من نوع عاصر الاحتلال وأشرب في قلبه الخوف
والاستكانة ، وقد استغل الانجليز ذلك أبشع استغلال ،
ورأينا أخيرا العجوز تشرشل يتكلم في مجلسهم ، كان
وطننا ارث اليه من جده الأيرل المعترم ، ورأينا من قبل
ذلك المخاوق الوقح كيلرن يعجب حين علا صوت الجلاء
ووحدة الوادي ، ظنا منه ان المطالبة بذلك جنون .

ان المسئول عن هذا الهوان الصارخ ، وهذا الاذلال
المميت هو ذلك الجيل المتخاذل الذى لن يستطيع أن
يموه طويلا فقد كشفه الشعب وفضحته الحوادث . .
يجب أن ينتحى هذا الجيل فان من المستحيل أن تسير
عقارب الساعة الى الوراء . وعلى الشباب وحده أن يعد
نفسه ويتقدم للموت فذلك خير من أن يحيا حياة
ذليلة .

٥ أكتوبر ١٩٤٦ :

وانتهت جلسات الاحالة وصدر الحكم باحالتى الى
محكمة الجنايات لدور نوفمبر المقبل .

٢٥ ديسمبر ١٩٤٦ :

انه لغنى ذلك الذى يرى الحياة اكشافا مستمرا .
ديهاميل

اليوم هو عيد ميلادى - لا أدري لماذا تداعبنى
خواطرى فى ابتهاج ونشوة . . فمنذ ثمانية وعشرين
عاما خلت ، وفى مثل هذا اليوم ، كان مولدى الساذج
فى تلك القرية الهادئة بالمنوفية .

سأذكر دائما بيئتى القروية الساذجة حيث تمتلئ
النفوس بالايمان بالله وحيث يرجعون كل شىء الى الله ،
فهناك تعلمت ان الله حى فى كل شىء وان العبرة بنقاء
السريرة قبل العلانية .

سأذكر محصول الثمانية والعشرين عاما الماضية
بفخر واعتزاز ، وسأسير مرفوع الرأس غير خاش أن
يساء فهمى أو يؤول قصدى .

اللهم حمدا وشكرا فانت وحدك القوى المكين .

وقد روى (أنور حبيب) وكيل النيابة الذي ترفع في القضية
القصة الكاملة بعد سنوات لجريدة الأخبار ، فقال في يناير ١٩٧١ :

« قدمت القضية الى فاضى الاحالة ، ثم الى محكمة
الجنايات ، وكان ممثل النيابة فيها قد أعد مرافعة ،
وفجأة طالب الدفاع بسؤاله كشاهد نفى في بميل
الاتهام بحكم من محكمة الجنايات تم تولى الاتهام ممثل
آخر للنياحة ما لبث أن أصيب بأزمة قلبية . . وتأجل
نظر القضية وذات يوم اسندعاني المرحوم الأستاذ
محمود منصور النائب العام وكلفنى بالمرافعة .

وبدأت أقرأ التحقيق . . وعلمت أن من بين المتهمين
أنور السادات . . ولم يكن غريبا على . فقد عرفته
أو رأيته أيام ان كنا طلبة فى مدرسة فؤاد الأول . . لفت
نظرى اليه ونحن طلبة ما يتسم به من رجولة وأدب
واعتماد بنفسه . ثم بعد ذلك سمعت عنه كثيرا . . انه
من المجاهدين وانه اتهم بمعاداته للانجليز وانه فصل
من الجيش وان البوليس السياسى بطارده . . وفى يوم
طلب مقابلتى وجه الى حجرتى فقامت واستقبلته . .
دخل غرفتى . . فى ثبات وفى هدوء ترسم على وجهه
معالم الرجولة والصرامة . . وجلس . . وقال فى ابتسامة
هادئة انه يعانى من ألم فى أسنانه وانه يريد أن اسمع
له بالتردد على طبيب الأسنان فى عيادته . . واجبتا
الى طلبه . .

وبدأت أعد مرافعتى . . تارة ليلا فى مكتبى بسبب
الخلق وتارة فى منزلى . . وفى احدى الليالى وكنت قد
فرغت من انتهاء المرافعة وبدأت فى كتابة المقدمة . . رايت
ان أستريح ودخلت غرفتى وجفانى النوم وأخذت

افكر .. اننى اترافع فى فضيلة سياسية . والبلاد
مسنعمة بالنفوذ الانجليزى اليس من واجبى كممثل
للمجتمع فى مرافعتى أن العن الاستعمار واكتشف مخازينه
.. ان وكيل النيابة مواطن .. وقدوة .. ويجب
الا ينفصل عن وطنه . لقد اهدر الانجلز كرامتنا وحریتنا
وقمت الى غرفة المكتب وفتحت الشرفة ووقفت فيها
.. حائرا قلقا .. وانبعث آذان الفجر .. فسرى فى
نفسى هدوء غريب ورأيت الدموع تنسكب من عینى ..
وتوضأت وصليت الفجر .. وابتهلت الى الله أن یلمنى
الصواب .. وانتهيت صلواتى لأجد المرحومة والدتى
امامى تسألنى فى اسفاق لماذا لم أنم . فأجبتها اننى نمت
وصحوت .. فعادت تقول : یا ابنى اكتب اللى یخلصك
من الله ویرضى ضمیرك .

وجلست الى مكتبى .. وكنيت الجزء الاول من
ديباجة المرافعة .. وطويت الأوراق فى ظرف وأغلقتة .
ولم أطلع علیه احدا .

وفى صباح ١٠ أبريل عام ١٩٤٨ دعبت الى قاعة
المحكمة ودخات غرفة السادة المسنشرين وتبادلت
معهم التحية وسألنى الأسناذ عبد اللطيف محمد رئیس
المحكمة اذا كنت مستعدا فأجبنه انى مستعد فقال على
خيرة الله .. ودخلنا القاعة . وساد الجلسة صمت
رهيب ... ودعانى رئیس المحكمة للمرافعة .. فوقفت
وأنا استشعر بعض الاضطراب ..

یارب الهمنى الصواب .. وبدأت أتلو الجزء الاول
.. أخطر جزء .. الذى هاجمت فيه الانجلز .

وقلت فى مرافعتى :

سنظل نلعن الانجليز ابد الدهر ماداموا محتلين
بلادنا . ولو كانوا فى اجدب بقعة منها .. وليخيل الى
ان كل باب بقلب كانما يصفق فى وجوههم . وان كل حجر
بارض الوادى .. وكل كلب ينبع انما بصرح فى وجوههم :
اخرجوا .. اخرجوا من هذا البلد .. الجلاء ووحدۃ
وادى النيل .. نغورنا وشعارنا .. بل هو ترديد
لوجيب قلوبنا ... ونبضات دمننا .. وهمسات ارواحنا
شيبا ونسيابا .. رجالا ونساء .

وتطلعت الى العيون غير مصدفة .. واستدار
المستشارون بمقاعدهم المنحركة ناحيتى وعلى وجوههم
وفى فسمانهم تعبيرات اهى اعجاب ونسجيع ؟ ام هى
دهشة ؟ .. مهما يكن لم تكن استنكارا .. واسترعى
نظرى انور السادات قفز الى الصف الامامى وراح يهز
رأسه كانما يسمع ما بطربه .. وراح يتابعنى ..
وانهيت الشطر الاول .. ورفع الرئيس الجلسة
للاستراحة .. وفجأة دوى التصفيق والهتاف فى فاعة
الجلسة وسمعت عبارات .. لم تر ذلك منذ عهد
محمد فريد ..

محمد فريد اين انا من محمد فريد .. الحمد لله ..
وفى قاعة المداولة .. لم يعلق المستشارون ولكن كانوا
يبتسمون ..

وجاء الى الدكتور زهير جرانة شد على يدى مهنسا
.. والاستاذ الكبير المرحوم احمد رشدى .. وكلهم ..
وفوجئت بزملائى فى النيابة وعدد منهم يقبلوننى
يغفروننى بالقبلات والتهنئة . وانتهت مرافعة اول يوم

.. وقبل أن أصعد الى حجرتى لتبديل ثيابى جاء لى ضابط الحرس وقال ان أتور السادات يريد مقابلتى .. وذهبت اليه فاذا به يحتضنى ويقبلنى .. وفى الطريق الى غرفتى قابلت النائب العام الأستاذ محمود منصور منصرفا .. وقال انا سمعت تصفيقا وهتافا وأبلغنى بعض السادة المحامين تقديرهم لمرافعتك أرجوك وضعها على مكتبى لأقرأها .

وذهبت الى منزلى لأستجم . وظهرت جريدة (الزمان) وفيها تفاصيل المرافعة وأشتريتها وأنا فى طريقى الى مصر الجديدة وراجعت مرافعتى .. وتولانى احساس ان النائب العام لابد أن يتير زوبعة . وصح ماتوقعته .. دق جرس الليفون واتصل بى سكرتير النائب العام مساء ودعانى الى مقابلته فى مكتبه بيساب الخلق . وتوجهت الى هناك ولم يكن النائب العام قد وصل بعد ووجدت هناك بعض زملائى من مفتشى النيابة فجلست معهم وسألتهم رأيهم فى المرافعة فأجمعوا على استحسانها وتحمسوا لها تحمسا شديدا ووضعت يدى على بعض العبارات الخاصة بالانجليز فشاركونى الراى ان هذا يجب ان يقال وحضر النائب ودخلت عليه .. قرأته السلام .. لم برده .. كان مكفهر الوجه عصبيا واندفع يهاجمنى فى عنف وسألته ما الذى اثاره فى مهاجمتى للانجليز فازداد عنفا وفجأة نزلت على سكنة من عند الله وسرى فى نفسى هدوء وقلت للنائب بمكن أن أستقيل ولا أقبل هذا التعنيف ان لك أن تسحب القضية منى .. لقد أرضيت ربى ووطنى وضميرى واديت واجبى فازداد حدة وانفعالا وفجأة دخل المرحوم الأستاذ مصطفى حسن مدير تفتيش النيابات واحتضننى

في صدره وقال للنائب العام كيفتهاجم وكيل النيابة بهذا الأسلوب لقد رفع رأسنا وكرامتنا وأخذنى معه في سيارته الى منزله . وفي الطريق قلت له اننى أعنبر نفسي مستقيلا فكان جوابه تكون قد أخطأت لو استقلت يجب ان تكمل رسالك وواجبك .

وفي الصباح الباكر طلبنى النائب العام تليفونيا وذهبت اليه في مكتبه وقال لى انه سيحضر معى الجلسة فأجبتنه انه هو صاحب الدعوى العمومية وله مطلق التصرف .

ودعينا الى الجلسة ودخلنا القاعة وجلست الى جانب النائب العام ولمست ان جو الجلسة متوتر وكله ترقب وطلب النائب العام الكلمة وبدا يتلو من ورقة معه عبارات — مضمونها التنصل مما قلته وانه لا يمثل رأى النيابة وانما يمثل رأى الشخصى .

وقال النائب العام « ان كلمات ممثل النيابة بالأمس قد ندت عن مرارة ، واندفعت وراء مقصده » .

وما كاد النائب العام بفرغ من كلمات انذاره باسم النيابة حتى وجدت أنور السادات الذى كان جالسا في تحفز ، يقفز في عنف الى قضبان قفص الاتهام وبهزها وهو يصرخ بأعلى صوته ..

قال أنور السادات :

« ان الأستاذ أنور حبيب لم يرتجل مرافعته ، لقد كان يتلوها من ورق ، فما معنى أن يأتى النائب العام وهو مصرى فيقول هذا الكلام ويريد سحب المرافعة . يا حضرة النائب العام : انت مصرى .. وكل من في

مصر بردد أمانى المصريين ويلعن الاستعمار ثم تجيء
انت لتسحب هذا الكلام .. اننى أطالبك بالاستقالة
لأنك يجب أن تستقيل » .

ثم ارنفعت صرخة أنور السادات من قفص الانهام
الى قممتها وهو يعلن : « أيها النائب العام .. اننى أفضل
أن أشنق بلا اتهام ، على أن يتراجع النائب العام ويقف
هذا الموقف » .

واسنحالت الجلسة الى بركان ورفعت المحكمة
الجلسة للمداولة . وعاد النائب العام الى مكتبه بعد أن
ووجه بثورة عارمة . وصدرت الصحف فى اليوم التالى
لنقول ان الطغيان البريطانى وضع فى قفص الاتهام .

وبعد أيام استدعانى النائب العام وسألنى عن سير
القضية وموقف الدفاع ، وتطرق الحديث الى موقف
كل متهم . فقلت له : « اننى أعتقد أن المتهمين اعتبارا
من السابع (أنور السادات) سببرءون » .

وعرضت عليه فكرة تفويض رأى للمحكمة بالنسبة
للأبرياء ، وأقرها مبدئيا وانتهزت فرصة وجودى بعد
ذلك فى قاعة المداولة وأسرت بالفكرة الى المستشار
ابراهيم خليل عضو اليمين ، وعرضت عليه الأسماء
ابنداء من المتهم السابع (أنور السادات) .. ولكن
النائب العام عدل عن رأيه تحت ضغوط سياسية
لا أعرفها .

واستمرت جلسات المحاكمة ولم أعد أنصل بالنائب
العام ، ولم يعد يتصل بى وكان الدفاع يوالى مرافعاته
يومبا .. وفى أول يوم جمعة بعد هذا الحادث كنت
معتاد الصلاة فى جامع السلطان حسين بمصر الجديدة

بيد انه تصادف أن كنت مع أخى رحمه الله في ميدان
الجامع ، وأذن وقت الصلاة وسارعنا بالدخول وما أن
خلعت نعلى ودخلت من باب المسجد حتى سمعت صوت
الخطيب من فوق المنبر يقول في ختام خطبته « حيا الله
وكيل النائب العام الذى هاجم الاستعمار والانجليز
وترددت في جوانب المسجد .. آمين » ووجدتني آخر
ساجدا شكرا لله وقد سبقتني دموعى .. ماذا أريد أكثر
من ذلك ..

لك الحمد ياربى .. تعالت نعماتك وقدرتك ،
ما أعظم رحمتك ..

وبعد أيام نشرت الصحف ان المدارس قررت اختيار
مقتطفات من المرافعة لتكون نصوصا للطلاب وهى
الخاصة بالجللاء ووحدة وادى النيل .

وذاث يوم كتب السادات كلمات تقول :

« كل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الأمل فى الحرية ،
وكيف تتزاحم مشروعاتها على الرأس ، وتتوالى صورها امام
الخيال » .

ولكن .. ماذا تكون الكلمات ؟

الحرية .. الديمقراطية .. الايمان .. العلم .. الصبر ..

الصمت ..

كلمات جامدة اذا لم يحركها قلب انسان .. هى فى قواميس

اللغة .. وعلى أقلام الكتاب والباحثين والصحفيين ، وكل من يحمل قلمًا يخط به على الورق .

ثم تصبح هذه الكلمات حية ، وتنبعث فيها الحركة ، وتملأ كيان الوجود ، حيث تخرج من نطاق الورق المكتوب الى نطاق كيان الانسان .

ليس المهم أن تصبح هذه الكلمات نبرات صوت على لسان قائد أو زعيم ، ولكن الأهم أن تصبح حقائق في حياة الشعب . وعندما أصبحت الحياة السياسية في مصر براعة خطائية تسحر عقول الناس ، ضاعت الحقائق وبقي الوهم والسراب .

وعندما أصبح الاستخفاف بالشعب لعبة السياسة ، سيطرت الزعامات المقدسة وغير المقدسة على المصير ، وانهى كل شيء الى سلسلة من الهزائم المتتالية منذ حرب ١٩٤٨ مع اسرائيل .

لقد عاش أنور السادات كل هذه التجربة المريرة مع الشعب، وكان يداوى جراح قلبه كما يداويها كل مواطن فوق أرض مصر، ويختلف البشر في طريقة مداواة الجروح ، ولا زالت حتى اليوم الطريقة القديمة في المداواة عن طريق الكى بالنار الى جانب الطرق الحديثة بالعقاقير المختلفة .

وخلال الفترة التاريخية التي كان السادات يداوى جراحه بطريقة ، تعرض لأشد ألوان الظلم والطغيان .

وقد اشتغل خلال فترة بطالته وخروجه من المعتقلات بأعمال كثيرة كانت في بعض الأحوال أعمالاً يدوية تمنحه الرزق في يومه ، ولم يتدمر ، ولم ينفجر ، ولم يسأل السلطة التي كانت تريد أن تمنحه رغد العيش .

والسؤال الحائر في حياة السادات .. لماذا رفض رغد العيش خلال كفاحه الطويل وآثر حياة العذاب وحياة المعتقلات ؟

ان القصة الكاملة لحياة أنور السادات الطالب في المدرسة الثانوية ، وفي الكلية الحربية ، وبعد تخرجه في الحرية حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد كتبها هو بنفسه على صفحة التاريخ المصري المعاصر ، ولم يتفاخر بها حتى بعد وصوله الى قمة السلطة .

فقد وضع نفسه منذ البداية أمام نفسه للحساب والمسئولية ، وعندما أصبح مسئولاً نقل مسئولية حسابه للشعب في جراحة هي احدى خصائصه المتميزة .

البركان الثائر في قلب انسان هو الذي يحدد المصير ، ويقرر الاتجاه الى أعلى دائماً . بلا هبوط الى القاع مهما كانت النتائج مع حساب حسابات النتائج .

وخلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ واجه السادات بعض المفاجآت ، فلم يتزعزع ، ولكنه ظل على ايمانه الذي أمده بالقوة والقدرة

على ممارسة الحياة الشاقة التي عברה ، ثم على ممارسة السلطة
الشاقة التي ورثها ، وورث معها الهزيمة .

وأنت تستطيع أن تستشف ذلك كله من موقف واحد حدث
في حرب أكتوبر ، وشرحه السادات قائلا :

كنت في غرفة العمليات بمقر القيادة قبل ساعة
الصفير بنصف ساعة . وجاءت ساعة الصفير وبدأت
العمليات على الجبهتين السورية والمصرية ، تماما كما
خطط لها من قبل ، ويوميات المعركة في سبيلها الى
الطبع الآن لكي تتحكم كل التفاصيل .

في الساعة ٨ مساء ، أي بعد ٦ ساعات من بدء
المعركة ، وأنا في غرفة العمليات .

والعمليات تسير طبقا للخطة الموضوعة ، أخطرت
بطلب مقابلة عاجلة من السفير السوفيتي ، وكانت
الأعلام المصرية قد رفعت فعلا على سيناء ، واجتاحت
القوات المصرية خط بارليف ، وفقدت ادارة الحرب
العسكرية الاسرائيلية توازنها .

في تلك اللحظة طلب السفير السوفيتي موعدا
عاجلا .

فتركت غرفة العمليات وذهبت الى مركز القيادة
لاستقباله ، فوجئت بالسفير الروسي يقول لي ان
سوريا تطلب وقف إطلاق النار ، وأنها طلبت ذلك
رسميا من الاتحاد السوفيتي .

سألته : هل هذا التبليغ لعلى فقط ، أم لسبب آخر ؟

السفير : نبيلك هذا لأنه لدينا طلب رسمى من سوريا ، ونريدك أن تتصل بالرئيس حافظ الأسد .

رفضت وقف إطلاق النار رفضا باتا ، وطلبت الى السفير ابلاغ حكومته بهذا ، وأبرقت فى الحال الى الرئيس حافظ الأسد .

فى يوم ٧ أكتوبر : تلقيب من الرئيس حافظ الأسد برقية تنفى أن سوريا طلبت وقف إطلاق النار .

عقب وصول برقية الأسد ، طلب السفير السوفيتى مقابلة أخرى ، وكرر مرة أخرى أن سوريا تطلب وقف إطلاق النار .

كان ردى عليه عنيفا ، وقلت له ببساطة انه يكفينى رد حافظ الأسد ، واننى استمد الحقيقة من رد حافظ الأسد .

وفى فجر يوم ١٣ أكتوبر ، طلب السفير البريطانى مقابلة عاجلة فى الفجر ، فقابلته فورا ، وكان يحمل رسالة من رئيس الوزراء المستر هيث ، محولة اليه من كيسنجر ، تقول انه بلغ كيسنجر ان مصر وسوريا وافقتا على وقف إطلاق النار ، وان كيسنجر أجرى اتصالات سريعة بهدف الاتفاق على ذلك مع الأطراف المعنية لجمع مجلس الأمن واتخاذ هذا القرار ما دامت مصر وسوريا وافقتا عليه .

وجاء فى الرسالة استفهام من كيسنجر عن صحة هذا الخبر ، وقال انه اذا كان صحيحا فانه على

استعداد لأن يجمع مجلس الأمن فوراً لاتخاذ القرار ،
فنفيت للسفير اننا وافقنا على وقف القتال ، ورويت له
قصة زيارة السفير الروسي ورفض مصر . . . انها لم
توافق في أى وقت من الأوقات على وقف اطلاق النار .
ووردت في الرسالة أجزاء أخرى لم يحن الوقت
لإذاعتها .

ويتضح من هذا أنهم طلبوا من مصر وقف اطلاق
النار منذ اليوم الأول ، وأن مصر رفضت وأصرّت على
الرفض ، وتكرر هذا الموقف عدة مرات .

في يوم الجمعة ١٩ أكتوبر ، وكان قد مضى على ثورة
الدفرسوار ثلاثة أيام . . وعملية الدفرسوار كما وصفها
تماما الجنرال الفرنسي ((بوفر)) كانت معركة تليفزيونية ،
أو معركة دعائية وفي هذا اليوم بالذات ، وفي الساعة
الواحدة صباحا ، دعانى المشير أحمد اسماعيل الى
القيادة فذهبت . وكان واضحا ان هناك بعض وجهات
النظر بالنسبة لثورة الدفرسوار .

كان المشير أحمد اسماعيل والفريق الجمسى وقادة
الأسلحة في جانب ، وكان اللواء الشاذلى وحده في جانب
آخر .

كان من رأى المشير وباقي القسواد أن عملية
الدفرسوار لم تكن الا عملية سياسية تليفزيونية لاتقاذ
سمعة اسرائيل والتأثير النفسى علينا ، ولا جذور
استراتيجية ولا عسكرية لها ، وهى عملية مقضى
عليها سلفا .

الا اننى بعد ان اتخذت قرارى بعدم الانسحاب

وأعطيته للقادة ، وهو قرار يوازي تماما قرار ٦ أكتوبر ،
راجعت موقف أمريكا الذي كان قد استفحل ، وكانت
قد اتخذت من العريش خلف الجبهة مباشرة ، قاعدة
أمريكية لانزال الامدادات لاسرائيل .

وبحساب بسيط ، استراتيجي وتكتيكي على
الخرائط ودراسه لموقف اسرائيل الذي كان قد وضع
تماما ، كما أفصح عنه وزير الدفاع الاسرائيلي اخيرا ،
اتضح لي ان أمريكا قد رمت بكل ثقلها في المعركة ،
وبأسلحة حديثة لم تكن قد استخدمت في الجيش
الامريكي نفسه . ووضح لي أيضا أن النصر الذي
أحرزناه مع سوريا يراد طمسه ، بل اذا أمكن اجهاضه
لصالح اسرائيل .

وكما قلت ، أصدرت قرارى للقادة ، وعدت الى
مقرى العسكرية فى الساعة الواحدة والنصف .
وفى الساعة ٢ صباحا ، أرسلت هذه الرسالة الى
الرئيس الأسد :

((أخى الرئيس حافظ الأسد : لقد حاربنا اسرائيل
الى اليوم الخامس عشر ، وفى الأيام الاربعة الاولى كانت
اسرائيل وحدها ، فكشفنا موقفها فى الجبهتين المصرية
والسورية ، وسقط لهم - باعترافهم - ٨٠٠ دبابة على
الجبهتين ، وأكثر من مائتى طائرة . أما فى الأيام العشرة
الآخيرة فاننى على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث
ما لديها من أسلحة .

اننى ببساطة لا أستطيع ان أحارب أمريكا أو أن
أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة
أخرى ، لذلك فاننى قد أخطرت الاتحاد السوفييتى

بأننى أقبل وقف اطلاق النار على الحدود الحالية
بالشروط التالية :

١ - ضمان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة
بانسحاب اسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتى .

٢ - بدء مؤتمر سلام فى الأمم المتحدة ، لاتفاق على
تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتى .

(كوسيجين كان قد زار السادات أثناء
المعركة ، وألح عليه بوقف اطلاق النار فرفض) .

ان قلبى ليقطر دما ، وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى
أحس ان مسئوليتى تحتم على اتخاذ هذا القرار .
ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى
يحاسبنى الشعب .

مع أطيب تمنياتى .

أنور السادات

هذا الرسالة أرسلتها الى الرئيس حافظ الأسد
فى ١٩ أكتوبر ، ووقف اطلاق النار كان فى يوم
٢٢ أكتوبر .

وليس لى بعد ذلك أى تعليق على الضباب ،
وشحنة الشكوك والتشكيك فى مواقف مصر .

فى هذا الحديث فقرة خطيرة تدل على تفكير السادات عندما
يواجه أخطر أحداث التاريخ ..

انه يقول فى رسالته الى حافظ الأسد :

« ولكننى أحس أن مسئوليتى تحتم على اتخاذ هذا القرار ،

وسوف أواجه شعبنا وأمتنا في الوقت المناسب لكي يحاسبني الشعب .

وكان القرار الذي اتخذته السادات هو عدم مواجهة أمريكا ، وعدم تدمير القوات المسلحة العربية مرة أخرى في هذه المواجهة اليأسية .

ولكن القرار الأهم من ذلك هو استعدادده لمواجهة الشعب والأمة في الوقت المناسب لكي يحاسبه الشعب .

انه لا يقول : أنا أتحمل المسؤولية ، ولكنه يقول للشعب : حاسبني .

والفارق بين الحاكم الذي يعلن تحمل المسؤولية ، والحاكم الذي يعرض نفسه على شعبه للمحاسبة ، هو الفارق بين تحدى الشعوب تحت اسم المسؤولية الذاتية ، وبين تحدى المسؤولية ذاتها من أجل اعلاء كلمة الشعوب .

الحاكم الذي يقول أنا مسئول لا يقول شيئاً ، لأنه مسئول أمام شعبه عن كل شيء ، وهذا الاعتراف من قبيل تعريف الشيء بالشيء ، لأنه لا يوجد حاكم غير مسئول ، واعترافه بالمسؤولية لا يساوى شيئاً ، ولكن طلب الحاكم بمحاسبة شعبه عن تصرفاته هو ما يجب أن يكون في مفاهيم الديمقراطية الصحيحة ، وهى أفكار معروفة ، أرسيت على دعائمها دولة الاسلام عندما أعلنت

للمسلمين فكرة الحاكم الذى يقول : اذا أحسنت أيدونى ، واذا أخطأت قومونى أو عارضونى .

ان السادات يعتنق هذه الأفكار لأسباب كثيرة أهمها الميراث الحضارى أو الثقافى ، الضارب بجذوره فى أعماق سبعة آلاف سنة هى حياة مصر ، وفى أعماق الفكر الاسلامى الذى يعتبر أساس بناء الشخصية العربية فى مصر وفى كل أرض العرب .

والاسلام بهذا المفهوم لا يمثل العبادات التى يؤديها المسلمون فحسب ، ولكنه يمثل الحضارة التى كونت الشعب العربى ، ولذلك يجد الباحثون صعوبة شديدة فى التفريق بين الحضارة العربية وبين الحضارة الاسلامية ، فهما شىء واحد بحكم نشأة الحضارة العربية منذ ظهور الاسلام ، وامتدادها عبر مئات السنين فوق المنطقة العربية التى شع منها الاسلام الى مناطق أخرى فى آسيا وافريقية .

هذه الأفكار تدخل فى بوتقة انصهار الشخصية ، وتؤدى بالضرورة الى اعتناق فكرة الوحدة العربية ، بل تزيد من قوتها . ومن وحي فكرة الوحدة الاسلامية ، نذكر الحديث النبوى الشريف الذى يعرفه عامة المسلمين :

— لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وقد لدغ المؤمنون من الجحر ثلاث مرات ، وكانت العقرب

واحدة في هذه المرات فهل كانوا غير مؤمنين ؟ هل كانوا غافلين ؟
هل كانوا نائمين ؟

وهل يلدغ المؤمن من الجحر للمرة الرابعة ؟

ان المصريين يحبون وصف السادات بأنه الرئيس المؤمن ،
وهي ملاحظة شعبية ترتبط بالكيان الحضارى لمصر التى كانت
أول بلد عرف الوجدانية . وعرف عبادة الله .

والمؤمن فى عرف المصريين هو الشخص الذى يعرف الله ،
ويحاسب نفسه بنفسه أمام الله . فى كل تصرفاته العامة والخاصة .
وهذا قد يفسر ساذج لمعنى الايمان ، ولكنه يحمل من المعانى الفكرية
ما لا يحتاج الى تفسير الفقهاء وأصحاب الشريعة لمعنى الايمان .
ان الايمان بسيط جدا ، والعامة من أبناء الشعب لا يملكون
تفسيره بالتعريف الدقيق ولكنهم يستطيعون تفسيره بالواقع الذى
يعيشون معه .

وبهذه البساطة وصف المصريون (أنور السادات) بأنه
الرئيس المؤمن ، وهذا الوصف يحمل معنى من المعانى الخاصة
عند المصريين ، فانهم أول شعب مارس الدين ، وعرف الوجدانية ،
ثم كان لهم دور الشهداء والقديسين فى عصور المسيحية الأولى ،
وهم الذين اخترعوا فكرة انشاء الأديرة فى الصحارى والأماكن
البعيدة للعبادة ، وعندما دخل الاسلام مصر قامت بدور ضخمة

في ارساء مفاهيم العبادة ، حتى كانت المساجد في مصر هي مراكز
الاشعاع العلمى والحضارى . وكان الاهتمام بانشائها أكثر من
الاهتمام بانشاء القصور والبيوت ، ولذلك ظلت راسخة عبر مئات
السنين ، ولم تتهدم لأن الذين أقاموها كانوا يفكرون دائما في
الخلود بعد الموت ، فأحسنوا بناءها ، وحافظ من خلفهم عليها
أكثر من محافظتهم على القصور والبيوت التى تعد لسكنى
الأحياء .

وفي القاهرة وحدها أكثر من ألف مسجد ، ومنها مساجد تعيد
للذهان فكرة بناء الأهرامات مثل جامع السلطان حسن فى حى
القلعة ، وقد تعرض هذا الجامع لقذائف مدافع بونابرت التى
أطلقها على القاهرة عندما هبت لمحاربته ، ولم يتأثر البناء الضخم
بأكثر من خدش بسيط فى بعض أحجاره .

ولذلك فإن اطلاق وصف (الرئيس المؤمن) على السادات ،
كان له معنى خاص عند المصريين الذين يتعلقون بالدين تعلقا
شديدا ، ويرون فيه الملاذ الأخير لهم عندما تقع المصائب والنكبات،
فيتجهون الى الله الذى ينقذهم منها .

وقد كان حكام مصر عبر تاريخها منفردين بين حكام الدنيا
بالاهتمام بالدين ، واقامة المعابد والكنائس والمساجد ، وكلها
بيوت عبادة .

وخلال فترة استعادة الميراث الحضارى وسط ظلام الهزيمة ،
استرجع المصريون أفكارهم ورأوا أن الايمان هو وسيلة الخلاص .
ولم يكن السادات منفصلا عن أفكار شعبه ، وتقاليده وعاداته
منذ نشأته طفلا فى القرية يحفظ القرآن ، ويؤدى الصلوات ، ويتعلم
السماحة ، وهى احدى أصول دينه ، فى مدرسة ابتدائية أساتذتها
يعتقون المسيحية .

اعتنق السادات عقيدة الايمان منذ نشأته ، حتى أنه كان يلقي
خطبة الجمعة فى المساجد ، والقيام بامامة المصلين ، وهو عمل
دينى لا يصل اليه الا علماء الأزهر أو المشايخ الذين يقومون
بالخطابة والامامة فى المساجد . ولكنه قام بهذا العمل ، وكان فى
طفولته يلعب فى قريته بالشيخ .

نشأ نشأة دينية سمحة ، ولازمه خلال رحلة حياته ذلك
الشعور الدينى ، الذى يغرس الايمان غرسا فى القلوب .

وداخل اطار فكرة الايمان ، كان للسادات دور رئيسى وهام
فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى (لاهور) فى باكستان ، وكان
ذلك فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد اشتغل السادات خلال
فترة من فترات حياته بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كرئيس
للمؤتمر الاسلامى فى القاهرة .

ولكن فكرة الوحدة الاسلامية كانت قد وصلت الى طريق
مسدود قبل حرب يونيو ١٩٦٧ وحدث انعزال بين الدول

الاسلامية . بسبب التصاعد المفتعل لأفكار القوميات المحلية المرتبطة أصلاً بالاسلام ، وأهمها القومية العربية ، وكان الصراع قد اشتد في عنف شديد بين القومية العربية وبين الوحدة الاسلامية ، حتى وصل الى تعاون بعض الدول الاسلامية غير العربية وبين اسرائيل والصهيونية العالمية .

وكان الالتقاء الطبيعي يحتم تعاون العرب مع جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لأن الاسلام نشأ بين أحضان العرب ، ونبي الاسلام عليه السلام عربى ، وكتاب الاسلام عربى .
ان الخلاف بين العرب وبين المسلمين من مختلف شعوب العالم خلاف شاذ ، وغير مقبول ، بسبب العقيدة المشتركة .

كان الرئيس المؤمن يعلم ذلك ويؤمن بذلك ، ولم يكن معنى الايمان عنده هو العبادات ، التى يجب أن يؤديها كل مسلم . ولكنه الايمان الذى يوحد كلمة المسلمين في مواجهة أخطار الغزو الصهيونى الذى وضع يده على أولى القبلتين ، ومكان اسراء محمد عليه السلام الى الملاء الأعلى .

القضية ليست هى قضية العرب وحدهم ، ولكنها قضية المسلمين جميعا ، لأن القدس لها وضع خاص يرتبط بالعالم ، وإذا كانت فيها أماكن مقدسة يهودية أو مسيحية ، فإن الاسلام قد حافظ عليها وقدسها ، بسبب اعتناق الفكرة الأساسية في الاسلام ،

وهي الاعتراف بكل الرسائل السماوية السابقة ، واحترامها ،
وتقديسها .

وعندما يحدث اختلاط بين الدين والسياسة تحدث مشكلة .
ولكن الاسلام يرفض دائما حدوث المشكلة . وقد رفض (عمر بن
الخطاب) أمير المؤمنين منذ البداية ان يصلى فى كنيسة القيامة
بالقدس ، حتى لا يصبح هذا العمل تقليدا اسلاميا ، وعبر بذلك
عن احترامه للشعائر المسيحية فى اقامة الصلوات والشعائر
الدينية .

خلال مئات السنين كانت كل الأديان تقوم بشعائرها فى
القدس ، بسبب وجود العرب فى المدينة المقدسة التى حافظوا على
قداستها .

اليهودى عند حائط المبكى .

المسيحى فى كنيسة القيامة وفى كنيسة العذراء وقبر المسيح
عليه السلام .

المسلم فى المسجد الأقصى وعند قبة الصخرة .

هذه هى خلاصة الايمان .

ومن هذا الايمان دعا السادات الى اقامة دولة العلم والايمان.

ليحقق فكرة الدولة العصرية المرتبطة بتقاليد وعادات شعبه ،
والتي لا تنفصل عن العقيدة تحت شعار العلمانية .

ولم تستطع أفكار العلمانية الوافدة على مصر منذ مطلع
العصر الحديث أن تفصل الشعب المصري عن الايمان بعقائده
الدينية . بل ان النهضة الحديثة سايرت دائما أفكار تجديد
الاسلام ، وكانت حركة الثورة ذاتها التي أشعلها (جمال الدين
الأفغانى) فى القاهرة وتابعه تلاميذه ومريدوه وعلى رأسهم (محمد
عبده) على اذكائها مقترنة دائما بفكرة التجديد حضاريا بالدرجة
الأولى حتى ضم الأفغانى اليه تلاميذ من اليهود والمسيحيين تحقيقا
لهذا المعنى . وكان فى مقدمة هؤلاء (يعقوب صنوع) اليهودى
و (أديب اسحق) المسيحى .

ساعة التجربة



www.360.com

التجربة في مصر بنت التاريخ ، وهي خلاصة الحضارة ، حتى
في الأعمال اليدوية الموروثة ، وأنت ترى البنائين يقيمون الحجر
في هندسة عجيبة فتتذكر أجدادهم الذين بنوا الأهرامات والمعابد
ونحتوا المسلات في بطون الجبال .

وقد عرف هذه الحقيقة السلطان سليم العثماني بعد أن صرع
سلطان مصر الغوري في واقعة مرج دابق الشهيرة بالقرب من حلب،
فأخذ السلطان العثماني من مصر خلاصة هذه الحضارة مشلة في
ألف من العمال المهرة نقلهم الى اسطنبول ليصنع فيها حضارة مماثلة
لحضارة مصر .

ولا تقتصر تجربة مصر على الخصائص الحضارية الذاتية ،
فإنها بلد مفتوح الأبواب على الشرق والغرب بحكم موقعها
الجغرافي ، وذلك فإنها تأخذ من تجارب الشعوب ، كما تعطي
تجاربها للشعوب . وفي عملية الأخذ والعطاء تنصهر التجربة
الذاتية انصهارات عنيفة تشبه انصهار الذهب في بوتقة الصائغ .

ومن خبرات السادات أنه مارس التجربة ممارسة عملية في مختلف اتجاهات الحياة المصرية الزاخرة بالتجارب ، كما عرف من تجارب مصر مما لا يتيسر إلا لأصحاب النفوس الصابرة .

عندما تأزمت كل الأمور ، وتعمدت كل المسائل ، فظن كثيرون أن الطريق مسدودة نحو حل مشكلة الحرب والسلام ، ورفع بعض الكتاب شعار . اللا حرب واللا سلام . قال السادات كلمة أخرى ..
— الصبر والصمت ..

ورسمت مجلة تايم الأمريكية على أحد أغلفتها صورته فوق تسمال أبي الهول ، وانتشرت هذه الصورة في العالم الغربي .

وقبل ذلك نشرت إحدى الصحف الأمريكية في أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، إعلانا إسرائيليا صهيونيا ، هو صورة أهرامات الجيزة وأبو الهول ، وهي الصورة الشهيرة المتداولة في العالم على أنها (كارت بوستال) . وكتبت تحتها :

— زوروا إسرائيل !!

الذين نشروا الصورة لم يعرفوا حقيقة مصر التي عرفها السادات ، وعرفها ملايين المصريين .

لقد تعرضت مصر لغزوات اليونان والرومان والفرس والترك والفرنسيين والانجليز ، ولم يجرؤ أحد على أن يدعى على أهرامات مصر هذا الادعاء الاسرائيلي الغريب الساذج ، بل ان بوناپورت

بعد انتصاره على المماليك في واقعة الأهرام الشهيرة ، قال لجنوده
كلمته المعروفة :

— ان أربعين قرنا من الزمان تنظر اليكم .

وهناك حكمة قديمة لا يعرف أحد اسم أول من نطق بها ،
وهي تقول : ان مصر مقبرة الغزاة .

ان التكوين الفكرى لمصر يؤكد عبر تاريخها الطويل أنها بلد
لا يهزم .. وليس هذا من قبيل الغرور الوطنى ، فان مصر قادرة
على تمصير غير المصريين ، ولكن المصريين غير صالحين للتبديد
والضياع مهما اشتد عليهم الزمان .

كان ابراهيم باشا فاتح عكا وقائد جيش مصر الظاهر فى عهد
محمد على ، وقد جاء الى مصر شابا يافعا ليلحق بوالده محمد
على . وقيل له بعد فتح عكا ، ومحاربته لجيش تركيا حتى وصل
الى أبواب اسطنبول :

— أنت تركى .. وكيف تحارب الأتراك ؟

فقال لسائله :

، أنا مصرى .. وقد مصرتنى شمس مصر .

وعبر التاريخ تمصر كثيرون ولا زالوا يتمصرون . من هذه
النقطة يدرك المصريون أن بلادهم أقوى من أن تقهر أو تستسلم.

ولذلك وضع السادات مبدأ (الصبر والصمت) خلال
الفترة التي سبقت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان هذا المبدأ خلاصة
للتجربة المصرية في مواجهة الأحداث الجسام .

ويستطيع من يتتبع أفكار السادات أن يلحظ حقيقة ارتباطه
بالتجارب التي مر بها شعب مصر .

وأول هذه التجارب أن مصر لا تنصر في ظل الدعوات
الديساجوجية الصارخة ، بل أنها تضيع من يديها فرص تحقيق
الأهداف الوطنية والقومية عندما تغطي الدعايات على الحقائق ،
ويسيطر الغرور على القيادة .

المعارك تخسر ، والجيش تضيع ، عندما يصاب القائد
بالغرور ، فيسأ آذان الشعب بنصر مرتقب موهوم .

وهذا ما حدث مع السلطان الغورى عندما خرج لملاقاة جيش
سليم العثماني ، فأخذ معه الخليفة أسير المؤمنين والقضاة الأربعة
وخزائن المال في صناديق مليئة بالذهب ، وكأنه ذاهب الى نزهة
لا الى حرب .. فانهزم الغورى وسقط تحت سنايك الخيل في مرج
دابق .

وهذا ما حدث مع المملوكين مراد بك وإبراهيم بك عندما
خرجا لملاقاة جيش بونابرت ، وقالوا انهما سيدوسان على جيوشه
بالخيول ، فانهزما وسقطا الى الأبد .

والسياسة تخسر وتضيع وسط الطنطنة والادعاءات ، وفقدان
الخطط الحكيمة ، وشواهد ذلك في السياسة المصرية الحديثة
أكثر من أن تحصى ، وكان آخر هذه المواقف قبل قيام ثورة يوليو
١٩٥٢ ، هو اعلان الغاء معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا دون
الاستعداد لنتائج هذا العمل الوطنى العظيم . فاقبلت الموازين
وأصبح المكسب هزيمة ، ووقع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢
ولم يتم الجلاء الا بعد قيام الثورة ، ولولا قيامها لاستحكمت
حلقات الاستبداد والاستعمار حول عنق مصر أكثر مما كانت .

هذه التجارب يعرفها السادات ، ويعرفها شعبه فى تاريخ مصر
القديم والحديث .

ولذلك اتجه تفكيره نحو أشياء محددة ، ليس من المغالاة أن
نقول أنها جديدة فى تفكير الحكام المصريين .

كان الشيخ محمد عبده يقول على طريقة أستاذه جمال الدين
الأفغانى أن حكام الشرق لا يملكون النظرة الكلية للمسائل
السياسية ، ولكنهم يهتمون بالجزئيات الصغيرة التى تضيع كل
جهودهم ، وتضيع قدرة شعوبهم على مواجهة الحياة .

لقد حدد السادات فى تفكير منطقى النظرة العامة الشاملة
للمشكلات التى واجهها منذ تولى رئاسة الجمهورية .

تحدث السادات عن المخطط الصهيوني الذي ظل سنوات
بغير مواجهة من مخطط عربي ، وطالب بضرورة ايجاد مخطط عربي
قادر على المواجهة .

وفي صفاء ذهني عقد مقارنة بين الحروب الصليبية والحروب
الصهيونية . واستتبط من التجربة ما يمكن أن يصل اليه من
حلول ، كما تحدث أيضا عن حروب التتار التي تعرضت لها المنطقة
وصدها جيش مصر ، وهزمها في موقعة (عين جالوت) وبدد
كيانها الوحشي .

كانت معركة (حطين) التي انتصر فيها صلاح الدين واستعاد
القدس من غبار معاركها ، كما كانت معركة (عين جالوت) التي
اندحر فيها هولاكو أمام جيش السلطان سيف الدين قطز ، أعظم
تجربتين مرت بهما مصر عبر تاريخها منذ العصور الوسطى حتى
معركة أكتوبر ١٩٧٣ . التي تم فيها عبور قناة السويس وتحطيم
قوة الصهيونية العالمية في خط بارليف على الشاطئ الشرقي من
القناة .

وعندما كان السادات يتحدث عن الحروب الصهيونية وحروب
التتار . لم يكن حديثه لشرح التاريخ المعروف لتلاميذ المدارس
في العالم العربي كله ، ولكنه كان يستخلص التجربة ، ويذيقها في
كلمات ، ويقدمها لشعبه كدليل حي على امكان النصر مهما عظمت
القوى المناوئة لمصر .

فأنور السادات حيث يتحدث لا يتخذ لنفسه صفة المدرس
الذى يشرح للجماهير بعض ما يعرفه ، ويعيد ويكرر ما يقوله ،
ولكنه يتحدث عن قيمة التجارب في حياة الشعوب ، وينظر الى
الأمور النظرة الكلية الشاملة التي تستخلص التجربة في كلمة .
هي وجهة نظر الحكيم ..

عرف ان النصر في الحروب الصليبية وحرب التتار كان يعتمد على الايمان ، عندما هيا سلاح الدين شعبه للمعركة ، حتى أصبحت الكتب المتداولة بين أيدي الناس في عصره - وكانت مخطوطات - وهي مجموعات آيات الجهاد في القرآن الكريم ، ومجموعات الأحاديث النبوية الشريفة عن الجهاد أيضا - حتى أصبحت الدروس في مساجد القاهرة ودمشق وغيرها من المدن محصورة في دروس الجهاد .

وفي حروب التتار خرج جيش مصر وفوق رأسه نداء :
واسلاماه ..

ولم يكن الايمان الذي فكر فيه أنور السادات هو ايمان اللسان ، بل كان ايمان الوجدان . ولذلك رفع شعار . دولة العلم والايان ، وهو يقصد الى شيء غير موجود كما يراد له أن يوجد ، وأراد له أن يوجد بمفهومه الصحيح .

في احدى كلماته قال أنه لا يمكن أن يرسل جند مصر الى

المعركة دون أن يكون مع كل واحد منهم ألكترون . وهو تعبير عن العلم الحديث ، ولذلك أصر على أن يصل الضباط والجنود الى أعلا درجات التدريب على أعقد الأسلحة الحديثة ، حتى لا تتكرر المأساة التي حدثت منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ على اختلاف ظروفها وأحوالها .

وخلال فترة قصيرة أصبح جيش مصر يضم جنودا لا يعرفون شيئا أعظم ولا أخطر من الجندية ، ولا يصرفهم شيء عن شرف الجندية .

وفي مهارة فائقة استطاع أن يمحو من صفحة الجيش كل الصفات التي صرفته عن مهمته الأصلية خلال فترة من الفترات ، حتى خيل لبعض الناس أن ضباط الجيش أصبحوا يكونون في مصر طبقة جديدة ، وأصبح الجيش الذي جعله السادات قائما على دعائم العلم الحديث ، جيشا يحصل شرف الجندية حقا ، وأصبح الضباط والجنود مقاتلين لا يعيشون في معركة غير معركة الشرف والكرامة .

واشتد التحام الشعب الذي كان يتندر على جيش ١٩٦٧ بجيش ١٩٧٣ . حتى أصبح الجيش والشعب جيشا واحدا ، وعاد الايمان الذي تحدث عنه السادات في لمحة باهرة .

كيف حدث هذا ؟

لم تكن في يد السادات عصا سحرية تبدل وتغير ، ولكنه يملك التجربة ، ويعرف أبعادها . واستطاع أن يرسم المخطط العربى لمواجهة المخطط الصهيونى فى الكلمتين المعروفتين : الصبر والصمت . واستطاع أن يستخلص من حروب مصر الظافرة تجربة النصر ، خاصة من الحروب الصليبية وحروب التتار .

وبعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣ قال السادات كلمة من خلاصة التجربة . عندما تحدث عن النصر الذى تم بعد هزائم خمسمائة سنة .

وتساءل كثيرون عن معنى هذه الكلمات .. وهل الانتصارات التى نحققها فى عصر محمد على لا تمثل شيئا فى تاريخ مصر ؟

أما الهزيمة التى وقعت منذ خمسمائة سنة فهى هزيمة سلطان مصر الغورى أمام جيوش سليم العثمانى فى مرج دابق .. ومنذ الاحتلال العثمانى لمصر حدثت أحداث كثيرة وحروب وثورات . وكانت حروب محمد على فى جملتها حروب أطماع لصالح السلطان العثمانى أو لصالح محمد على الذى انقلب على مولاه السلطان العثمانى . ورغم أن جيش مصر قد انتصر فى هذه الحروب الظافرة وهو جيش الفلاحين ، فانه لم يكن يحقق لمصر شيئا تسعى اليه .

بل ان هذه الحروب سببت للشعب المصرى متاعب لا دخل له فيها ، ولم يكن راغبا في خوضها .

وبعد ذلك حدثت حرب خاسرة في عصر اسماعيل هي حرب الحبشة .. ثم كانت الحرب التي خاضها عرابي وخسرها وأدت الى الاحتلال البريطانى لمصر . وبعد ذلك حدثت الحروب الصهيونية الثلاثة في أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .. وكانت كلها خاسرة حتى وقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي دارت فيها المعركة الفاصلة مع الصهيونية .

لقد كان السادات يحارب في جبهات متعددة ، في الداخل والخارج .

كان يحارب الهزيمة بالعمل في صبر وصمت ..

وعندما اشتد الصراع الفكرى في مصر بين الذين يقولون بالتناطح مع أمريكا ، والذين يقولون انه من المستحيل قيام هذا التناطح ، تركهم السادات يتناطحون معا ، وكانوا من الفرقاء الذين يريدون السلطة أو الشهرة أو غيرهما ، ولم يكن وجه صراعهم الفكرى مصرية على الاطلاق ، ومعظمهم من الأذكاء الذين يجهلون حقيقة مصر وتاريخ مصر . وكل حصيلتهم هي ما يصفه عامة المصريين بكلمة (الأونطة) ، وهي كلمة لها مدلولات في قاموس الفكر المصرى ، وليس لها أصل لغوى معروف ، أو تفسير محدد . ولكنها في عرف العامة من المصريين تدل على

الخداع والعبث واللعب بالعقول واصطناع الوسائل الخفية من أجل الخطف والسلب ، بغير أن يصل القانون الى أصحابه .

واستطاعت هذه الفئة الوصول الى مراكز خطيرة في الانحدار الاشتراكي وفي بقية أجهزة الاعلام ، وحاولت ايها الجباهير بأنها تحقق المكاسب الشعبية ، ولكن الجباهير انزلت عنها ، وعرفت انها فئات ضالة ومخادعة ، وهي فوق ذلك انتهازية ومنحرفة ولها سوابق في الاستغلال ، وفي نفس الوقت توجه للآخرين مختلف التهم ، ولا يهتم في ذلك شيء الا الدفاع عن مصالحها ، وأحيانا يقدمون للاتهام من يستحقون الاتهام أو لا يستحقون الاتهام فيحدث التهليل الديماغوجي من الميمين الأصليين لأنهم اكتشفوا أعداء الشعب ، ويريدون أن يضعوا أعناقهم على المقصلة . ولكن الغالبية العظمى من المتهمين كانوا من الشرفاء الذين علقوا على المقصلة بسبب دفاعهم عن الحرية ، وعن حقوق الشعب .

وعاشت فئة ثالثة في الظل على أرصفة المقاهي ، وتجبرعت. أحزانها في مناقشة المغلوبين على أمرهم في المجتمع الذي مزقته الهزيمة .

وكانت هناك كلمة سائدة على ألسنة الشرفاء من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين وغيرهم من الذين حملوا عبء الهزيمة وعاشوا فترة الا حرب والا سلم .

كانت كلمتهم السائدة هي :

— ما هو المصير ؟ الموت خير من هذه الحياة .

ووسط الأزمة كان السادات في قمة السلطة ، ، وقد قال منذ البداية انه لم يكن يريد لها ولا يفكر فيها ولا يسعى اليها .
ثم أصبحت القضية المطروحة أمامه هي قضية الحرب والسلام .. لا حرب ولا سلام . وقد وصل الى القمة والقضية أيضا في القمة .

نحن لا نستطيع أن تناطح أمريكا ونحن لا نستطيع أن نخضع للاتحاد السوفيتي .

ولكن أين مصر ؟ ان مصر لا تناطح ولا تخضع ؟ لأنها تملك التاريخ ، وتملك أن تغير التاريخ . واستل السادات سيفه كما قال أحد الصحفيين الأجانب قبل حرب أكتوبر ليغير التاريخ ، وكانت فترة التغير قاسية مريرة خلال الثلاث سنوات من أكتوبر ١٩٧٠ حين تولى السلطة وحتى أكتوبر ١٩٧٣ حين حقق المعجزة ، وجعل الفترة التاريخية القصيرة كافية لمواجهة المخطط الصهيوني ولتأكيد شخصية مصر التي مزقتها الأحداث وتوحيد العرب الذين فرقتهم السياسات . واستطاع أن يداوى جروح الشعب المصري عن طريق استعادة الحرية فأحس كل مواطن في مصر أنه انتقل من مرحلة الى مرحلة .

وقد وصفت الصحافة العالمية هذا الشعور في مقالات عديدة
تعبر عن ملاحظة الصحفيين الأجانب الذين وفدوا الى مصر بأنهم
أحسوا أن شيئاً يتغير فوق أرض النيل .

وكان هذا التغير منذ البداية هو احساس السادات بأنه
مواطن مصرى يؤمن بالحرية والديمقراطية وأن كل مواطن لابد
وأن يصل الى الحرية والديمقراطية ، فتحررت الشخصية المصرية
التي اعتقد كثيرون أنها شخصية خاضعة ، وكان العكس هو
الصحيح لأنها استطاعت منذ البداية أن تخضع الطبيعة لارادتها
فأخضعت فيضانات النيل عن طريق بناء الجسور والخزانات
والمحاولة الدائمة بالوسائل العلمية لوقف اخطار هذه الفيضانات
وجعلت للنيل مقياساً تقاس به درجات الفيضانات حتى تعلمها قبل
أن تحدث الأخطار ، وفي عهد الفراعنة حدث أول تحويل لمجرى
النيل اتقاء لاخطاره ونشأت بسبب ذلك منطقة الفيوم .

كما أن المصريين الذين اتهموا دائماً بالخضوع استطاعوا أن
يحققوا في مصر الفكرة الشائعة وهى أن مصر تستطيع أن تصير
الآخرين ولكن الآخرين لا يستطيعون أن يحولوا المصريين عن
مصريتهم مهما اشتدت الأزمات .

وعندما بلغت الأزمة الفكرية مداها بين التناطح مع أمريكا
وبين الخضوع للاتحاد السوفيتى سألنى أحد كبار الصحفيين
الأجانب .

— نحن لا نفهم ماذا يريدون فقد قرأت مقالات في الصحف المصرية تدعو الى التحالف مع احدى الكتلتين ؟

وقلت له : ان مصر رغم أنها دولة صغيرة ومحدودة الموارد الطبيعية وأصيبت بالتخلف كما يصاب الانسان بالمرض فانها تستطيع أن تواجه كل الغزوات .

وخلال تلك الفترة كان بعض الناس في أوروبا وأمريكا يتندرون على مصر وجيش مصر وقد اخترعوا نكتة في سنة ١٩٧٢ تقول أن الجيش المصرى يستحق جائزة نوبل للسلام لأنه جيش لا يحارب .
أن العقلية المصرية تختلف عن العقلية الأوروبية أو الأمريكية .

ومنذ آلاف السنين قال هيرودوت « أن المصريين يفكرون كما لا يفكر الآخرون » وفي العصر الحديث قال أحد المؤلفين الألمان وهو الدكتور ويلهلم ويلنجر « ان المصريين يحبون الكتاب أكثر من حبهم للسيف ولكنهم يدافعون عن الكتاب بالسيف » وهذه الكلمة تدل على عشق المصريين للفكر والثقافة .

ولذلك كانت المناقشات حول خضوع مصر أو صراعها ضد القوى الأجنبية مناقشات لا قيمة لها ، وكان السادات يدرك ذلك ادراكا كاملا واتخذ قراره من وحى مصر التى تستطيع دائما مقاومة الغزاة .

وعندما أعلن في بريوني عند لقائه مع الماريشال تيتو في أعقاب
الحرب أنه أصدر قراره بالحرب في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضد ارادة
القوى الأعظم كان يعبر عن روح مصر وكان يؤمن ايساننا كاملا
بأن الجنود الذين استطاعوا قهر الصليبيين في حطين وقهر التتار
في عين جالوت وقهر لويس التاسع في المنصورة وأن الشعب الذي
استطاع أن يحارب في حرب شعبية شاملة حملة بونابرت وحملة
فريزر يستطيع دائما أن يحمل عبء الكفاح .

ولم يكن القرار الذي اتخذته السادات بعيدا عن التاريخ ، بل
انه عندما كان يتحدث في خطبه وأحاديثه عن الحروب الصليبية
والحروب الصهيونية انما كان يستلهم من مسار التاريخ طريقا
يستطيع سلوكه وقد سلك هذا الطريق خلال التجربة التاريخية
المصرية التي أكدت دائما أن مصر تستطيع البقاء والصمود والحرب
والانتصار . وانها حينما لا تكون مقبرة للغزاة تستطيع أيضا أن
تدفن الهزيمة في رمال الصحراء أو تحت صخور الجبال . وليس
هذا الكلام من خيال الشعراء ولكنه من واقع التاريخ .

أحيانا يختلط الواقع بالخيال فيصبح الواقع خيالا ويصبح
الخيال واقعا . وعندما تصبح القصيدة أغنية على شاطئ النيل
تتحول الكلمات الى طائرات ودبابات .

المعجزة المصرية لا يملكها أحد غير مصر بواقعها وتاريخها وحضارتها وذات يوم قالت جولدا مائير : أنا لا أخاف إلا من المصريين ... وسبب ذلك أن التية الأول لبنى اسرائيل كان على يد المصريين فى سيناء ولا زال هناك واد فى سيناء يطلق عليه اسم وادى التيه وقد تاه فيه اليهود أربعين سنة وعبدوا العجل الذهبى ولا زالوا يتذكرون هذا التيه حتى اليوم .

وعندما سأل هنرى كيسنجر أحد الصحفيين المصريين :

— منذ متى كانت سيناء أرض مصرية ؟

وأجاب الصحفى المصرى أجابة غير مقنعة تقول ان احدى الأميرات أرسلت من العريش رسالة الى زوجها فى طيبة أو منف ولكن الاجابة هى أن التوراة أجابت على هذا السؤال حين ذكرت أن موسى عليه السلام خرج من مصر مع اليهود الذين تاهوا فى سيناء ولم تذكر التوراة أن موسى جاء من اسرائيل الى مصر .

وهذه حقيقة تاريخية ومؤداها أن اليهود لم يكن لهم وجود قبل موسى عليه السلام وانهم كانوا يعيشون فى مصر وخرجوا منها وعبروا سيناء المصرية وتاهوا فيها ثم ذهبوا الى فلسطين وهذه النصوص ثابتة فى التوراة وليست هذه هى المشكلة فى الصراع العربى الاسرائيلى لأن الأفكار التى تثيرها الصهيونية العالمية فى جملتها تشبه هذا الفكر وهى تثيرها من أجل البلبلة وليس

من أجل انتظار الرد وهى تعلم أن الردود تختلف وكانت الصهيونية تعيش دائما على اثارة مثل هذه الخلافات .

ولكن أنور السادات أدرك فى فترة الصبر والصمت أنه يجب وضع حد لهذه الأفكار المتناقضة وتركها بل أنه أهملها ولم يدخل فى مناقشتها وكان السبب فى ذلك هو أنه يعرف خفاياها السياسية.

ولكنه عندما وجد أن بعض المفكرين المصريين يتجهون نحو الأفكار الانهزامية ، سارع الى علاج الموقف ، وعقد مؤتمرا لرجال الفكر والصحافة والاعلام يوم ٢٧ مارس ١٩٧٣ ، وكان فى ذلك اليوم شديد الغضب ، لأنه أحس أن كرامة مصر قد جرحت .

وبعد أن تلا فى الاجتماع بعض فقرات البيان الذى كتبه هؤلاء المفكرون ، بدأ يشرح أفكاره ، وهو يتحدث عن نفسه كصاحب فكر وقلم . فقد اشتغل بالصحافة قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ونشر مقالات وقصصا فى مجلة المصور ، ثم أصبح رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية بعد الثورة . كما أنه ألف الكتب العديدة .

فى هذا المؤتمر غلبت شخصية المفكر على شخصية رئيس الدولة ، حتى أنه أحضر معه ملقا به بعض قصاصات المقالات التى أحبها واحتفظ بها ، وقرأ فى المؤتمر بعضها منها .

وعندما تلا فقرات من بيان الانهزامية ، كانت المرارة تبدو عليه ، وهو الصبور . وكان الأسى يشيع على وجهه لأنه لا يريد أن توجد هذه الورقة في تاريخ النضال المصرى .

كان يتحدث عن مصر حديث أجيال متعاقبة منذ سبعة آلاف سنة ، وكان يحارب الانهزامية التى أطلت برأسها ، وهو يستعد لعبور الهزيمة . ولم يكن أحد يعتقد فى ذلك اليوم من شهر مارس ١٩٧٣ أن المعجزة ستقع بعد ستة شهور لتقضى على الهزيمة القضاء الأخير .

٤ رئيس بلا أعوان

كان السادات بلا أعوان ، وقد ورث التركة المثقلة حتى أشفق عليه كثيرون من الشرفاء الذين لا يبحثون عن المصالح الشخصية في دولة بلغ الأمر فيها أن تنشر صحيفة الاهرام قبل أن يصبح السادات رئيسا للجمهورية أنباء تهرب أحد نواب رئيس الجمهورية من الرسوم الجمركية عندما جاء من مهمة رسمية في الاتحاد السوفيتي على متن طائرة خاصة تحمل صناديق البضائع والسلع الثمينة ، واكتفى في ذلك الوقت بنشر خبر صغير يقول انه دفع الرسوم المطلوبة وهي عشرات الجنيهات ، ولم يسأل أحد كيف استطاع شراء هذه السلع المحمولة على طائرة خاصة ، في الوقت الذي كان المواطن المصري الذي يسافر الى الخارج لا يسمح له بأكثر من خمسة جنيهات مصرية يحولها الى عملات صعبة .

ولم تكن المشكلة بالنسبة للمواطن المصري هي هذه القضية التافهة التي تتم عن الصراعات الشخصية داخل الدولة ، ولكن المشكلة كانت ضياع قيم ثورة ٢٣ يوليو التي ادعى كثيرون أنهم حراسها ، وتعلقوا بها كما يتعلق شجر اللبلاب بجدار صلب متين يغطي كل شيء فيه .

وورث السادات ضمن التركة المثقلة هذه الفئة التي شكلت مراكز القوى في الحكومة والاتحاد الاشتراكي وأجهزة الاعلام ، وكانت لها سيطرة كاملة على كل الأماكن الحساسة في مصر ، وأصبح الشرفاء ما بين سجين أو معتقل أو جالس على رصيف مقهى . وكانت جماهير الشعب الكادح ترقب كل ذلك في حذر وخوف وترقب .

هزيمة يونيو ١٩٦٧ كانت كافية لأيقاظ أى ضمير حتى لا يتآمر صاحبه ضد مصر في أحلك ساعات نضالها .. ولكن الذين استولوا على السلطة قبل أنور السادات أرادوا أن يبعدوه عن رئاسة الجمهورية بعد أن أصبح رئيسا شرعيا لمصر بإرادة الشعب المصرى . عن طريق الاستفتاء العام .

وكانت للسادات دائما مواقف تنم عن تفكيره الحر حتى في بعض المسائل الصغيرة ، فقد حدث خلاف حول فيلم (مرامار) الذى كتب قصته نجيب محفوظ وكان يحمل نقدا شديدا للاتحاد الاشتراكي وتوقفت رقابة السينما عن الموافقة عليه ورؤى أن يكون السادات هو الحكم في قضية الفيلم ، فشاهده ووافق عليه . ولم تكن قضية الفيلم عادية ، بل كانت قضية سياسية ... هل يسمح بنقد الأجهزة السياسية أو لا يسمح بالنقد ؟

ولم تستطع مراكز القوى في ذلك الوقت معارضة رأى النائب الأول لرئيس الجمهورية ، فسكتت على مضض . وكانت في نفس

الوقت تمول المسرحيات الهابطة من أموال الشعب المصري، وتساعد على نشر التهريج والفساد حتى تلهي الناس عن مشكلتهم الحقيقية وهي مشكلة تحرير الأرض التي اغتصبتها إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧، واستخدمت كل أجهزة الاعلام لترديد النغمة المتخاذلة المعروفة، حتى أصبح السؤال السائد حينذاك وليس للسادات سلطة:

ما هي النغمة الصحيحة؟

ومنذ ٥ يونيو ١٩٦٧، ارتفعت أصوات الأنعام الخاطئة التي أدت الى الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية، ثم استمرت هذه الأنعام بعد ذلك انهزامية، وكأن المشكلة قد أصبحت محاربة المصريين من داخل مصر لا محاربة الاسرائيليين الذين يحتلون أرض مصر.

وكان السادات يرقب حركات مراكز القوى في مواقعها ويمد لها جبل الصبر، وقد ترك كل الأجهزة التي ورثها كما هي. فلم يغير أو يبدل، بل ترك التركة الثقيلة في أماكنها. وكانوا يتآمرون عليه أو يتآمرون على مصر في شخصه، حتى أنهم ركبوا أجهزة التنصت داخل بيته ليعرفوا كل أسرارهم وحدث في إحدى مقابلاته مع (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا، وكان يحل في معصمه ساعة خاصة تنبه الى وجود هذه الأجهزة، فقال له (روجرز) انه لا داعي لتسجيل الأحاديث التي تدور بينهما عن طريق أجهزة التنصت ووقع

الرئيس في حرج شديد ، لأنه لم يكن يعلم بوجود هذه الأجهزة في مكتبه .

وبينما كان السادات مشحونا بكل الأفكار التي يسكن أن تحرر مصر من الاحتلال الاسرائيلي وتحرر كل الأرض العربية من هذا الاحتلال ، وتعيد حقوق شعب فلسطين ، وكانت مراكز القوى في مصر تلعب أمام عينه على جبل السيرك ، وتحاول الاستيلاء على كرسي رئيس الجمهورية الذي لم يكن هو نفسه يفكر فيه وهو جالس عليه . والذي يتتبع تاريخ السادات يعرف أنه ليس من هواة السلطة ولم يكن يطلبها في يوم من الأيام ولا يسعى اليها ، وكان في استطاعته بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو أن يصل الى مراكز السلطة . وهو الذي أعلن الثورة يوم قيامها واستولى على وزارة الداخلية ، ولكنه ابتعد بعد ذلك عن كل منصب فيه سلطة ، وكانت كل أعماله في الصحافة والمؤتمر الاسلامي ومجلس الأمة . وكان منذ اليوم الأول لقيام الثورة قادرا على تولى المناصب ، ولكنه آثر أن يسير في الطريق الذي رسمه لنفسه .

ومن أجل التاريخ يجب أن نؤكد أن معظم الذين شكلوا مراكز القوى لم يكونوا من رجال الثورة ولم تكن لهم صلة بها ، ولا ايمان بمبادئها . وقد ظهر معظمهم في فترة الاستعانة بأهل الثقة وابعاد أهل الخبرة ، فقدم كل انتهازي زميله على أنه أهل ثقة ، وتشكلت العصابة التي أدت الى الهزائم المتلاحقة ، وانتهت بما

أطلقوا عليه اسم (النكسة) وكان هزيمة يونيو ١٩٦٧ قد سبقها الانتصار المبين على الصهيونية العالمية وإسرائيل .

واعتقدت جماعة مراكز القوى أنها ورثت الثورة ، وبدأت تتحدث باسمها ، وكانت قبل ذلك قد شكلت تنظيمات إرهابية داخل الاتحاد الاشتراكي ، اتخذت لنفسها صفة تحديد مواقف المواطنين ، وكتابة تقارير عنهم ، وحدث تلاحم طبيعي بين هذه الأجهزة وبين الأجهزة الأخرى التي كانت في أيدي أصحاب مراكز القوى .

ثم أصبحت حرية المواطن في خطر .. وأصبحت حرية الوطن أيضا في خطر .

لقد أحكم المتآمرون خطة الحصار وكان في يدهم الجيش والبوليس والاذاعة والتليفزيون والصحافة ومنزل رئيس الجمهورية .

وقد أعلن السادات في خطابه يوم ١٤ مايو ١٩٧١ أنه وجد جهاز تسجيل في غرفة مكتبه بمسكنه الخاص . كما كانت تليفونات الرئيس تحت الرقابة ، ومكالماته تسجل .

لم تكن نوايا هذه الفئة بعيدة عن تصور الرئيس ، وعندما ثارت القضية التي كانت مثل القشة التي قصمت ظهر البعير ، كشف المتآمرون عن وجودهم بصراحة . فقد تم الاتفاق في بنى غازى بين مصر وسوريا وليبيا على قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة على أن تكون كل دولة كاملة بمقوماتها ، برئيسها ،

بحكومتها ، بـيرلمانها ، بجيشها بكل أجهزتها ويكون للدولة الجديدة بهذا المفهوم مجلس رئاسة ينتخب له رئيسا . وقد اعتذر السودان عن الدخول في هذا الشكل من أشكال الوحدة بسبب ظروفه الخاصة .

ووجدت المؤامرة المبيتة فرصتها عند مناقشة هذا الموضوع الذى كان يهدف فى الأصل الى تحقيق نوع من الوحدة العربية لمواجهة اسرائيل والاستعداد للمعركة .

ولم يتطرق البحث اطلاقا الى التفكير فى ايجاد وحدة كاملة كما حدث فى عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا عندما قامت الجمهورية العربية المتحدة . لأن تجربة هذه الوحدة وما أعقبها من انفصال فى عام ١٩٦١ لا زالت هائلة للأذهان ، ولم يفكر السادات فى إعادة المأساة مرة أخرى حرصا منه على فكرة الوحدة العربية التى يؤمن بها .
والتي حققها فيما بعد عندما قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وانتقل الصراع الى اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي وقد شرح الرئيس حقائق هذا الصراع فقال :

« لأول مرة لاقيت الصراع الفريب ، السيد/على صبرى خاد الكلمة فى الأول واتكلم ساب مواد الاتفاق وقال ان الأسلوب اللى تم به الاتفاقى له عليه ملاحظات ، وعلى المواد له ملاحظات . لكن ، اللى أنا فوجئت به ، ان المسألة ماكنتش مناقشة للخلاف على الراى ، أو مناقشة أيهما أصلىح ، أو مناقشة موضوعية فى الموضوع

الى احنا فيه ، لا ، عملية غريبة قوى . عملية واضح
فيها الصراع . الصراع بكل الطرق وبكل الأساليب وعن
طريق التجريح ، حتى مش بس فيه أنا بل التجريح في
الوفود الأخرى الى كانت معانا ، وبأسلوب لا يمكن أن
يقبله أحد ، وده متسجل لأن الميكروفونات كانت فوق
الترابيزة من تحت الترابيزة ومتسجلة الجلسة .

ذهلت حقيقة ، لأن لأول مرة بشوف عمليات صراع .
وأنا كنت حضرت زمان قبل الثورة طريقة المناورات
السياسية بتاعت الأحزاب ، وكنت عايش أنا الفترة دي
وعرفت أساليب ، ازاي لما عايزين يقطعوا اتفاق أو
عايزين واحد يناور على واحد ، أو يجرح واحد ، ازاي
يلجأ للمناورة والآف ولاستخدام أساليب أقل ما يقال
فيها انها غير شريفة : أنا حقيقة فوجئت . .

مشيت الكلمة بعد ذلك ، أنا قلت والله احنا في
موقف نحدد فيه الرأي ، لأن أنا باعتبار هذا الاتفاق ،
اتفاق من أجل المعركة ، منطلقه هو المعركة ، وأنا مؤمن
ان كل شيء يخضع للمعركة بدون أدنى تردد لازم أبذل
دمي حتما فيه . لأن ولادنا جاهزين حينلوا دمهم في
المعركة فانا بافتكر أن دي لحظة لازم نحدد مواقفنا
وخصوصا لأن لاقيت ان العملية فيها صراع .

بصيت لاقيت الاتي : في التصويت . . السيد على
صبرى بيعارض ، السيد عبد المحسن أبو النور
بيعارض ، السيد ضياء الدين داوود بعد ما قال كلمته
وخطبته وبنسأها كلها على طريقة وأسلوب السيد على
صبرى بيعارض أيضا . . السيد شعراوى جمعه

بيعارض .. السيد لييب شقير يعارض ، خمسة ،
واحنا كنا ثمانية .

الى وافق على الاتفاق الدكتور فوزى ، والسيد
حسين الشافعى ، وأنا .

وأراد السادات أن يحسم الخلاف بطريق ديمقراطى
وعرض الموضوع على اللجنة المركزية واستمرت
المناقشة أربع ساعات ، وظهر خلالها أن توجيهات
المتآمرين ضد الرئيس تنفذ بدقة وقد حدث هرج ومرج
ومسح الأرض بنعال الأحذية ، وانكشفت المهزلة .
ثم حدثت المفاجأة التى رواها الرئيس بنفسه ،
فقال :

مساء الاربعاء الساعة الواحدة بالليل أفاجأ بأن
واحد طالب مقابلتى ، شاب صغير ، ويقول أنا لازم
أقابل الرئيس دلوقت فورا . وأنا فى بيتى الناس بييجوا
الناس كلها بيطلبوا لما بيكون عندى وقت مافيش فيه
زيارات رسمية ولا حاجة بييجوا ، بنشوفهم .. قاعد
أنا الساعة واحدة بالليل مش معقول يعنى فقالوا مش
ممكن . قال طيب بس اسألوا صاحى والا نايم . قالوا
صاحى بس مش ممكن الساعة واحدة بعد نص الليل .
قال طيب بلغوه قولوا له انه ده أمر فى غاية الخطورة .

بلغونى . قالوا فيه واحد بيقول فيه أمر فى غاية
الخطورة .. ايه يعنى حيكون فى غاية الخطورة يا جماعة .
قلت لهم : اسألوه قولوا له حول ايه ، لأن الانسان
برضه أهو يحتاط علشان مايخرجوش ، كان ممكن أقول
خليك يابنى للصبح ، الخطورة مش حيجرى حاجة من

الساعة واحدة بالليل لغاية الصبح لكن الخطورة برضه
الانسان بيحسب يمكن فيه شيء يمس الوضع بتاعنا
وأحنا في المعركة .

قالوا له ايه يعنى ... الرئيس يسألك بيقول لك :
ايه يعنى ايه الموضوع اللى أنت عاوز تعرضه وايه وجه
الخطورة فيه : أم قال طيب ، خدوا الشريطين دول
أدوهم للرئيس يسألهم على ريكوردر عنده وبعدها
يقرر ان كان الأمر يساوى انه يشوفنى والا لا؟؟
جابولى الشريطين وقالوا بيقول خد الشريطين دول
أديهم للرئيس يسمعهم ويشوف ان كان الأمر يساوى
انه يشوفنى ولا لا .

جونى الشريطين والله قاعد ، وكنت راجع من الجبهة
فى منتهى السعادة يومها . بقول لما بشوف ولادنا
فى الجبهة وبسمع مناقشاتهم وفهمهم ووعيهم والفداء
والرجولة واحساسهم بمسئوليتهم ... الانسان
ينفعل .

أنا كنت سعيد ومنفعل جدا وقاعد سهران بالرغم
انى كنت تعبشان . وأنا راجع يومها . الا انى دورت
الشريط . أول شريط ، لقيت أول شريط بيحكى قصة
اجتماع اللجنة المركزية الأول ... غريبة ! دا الكلام
اللى أنا سامعه ده بالحرف ، واحد بيحكى لواحد نانى
فى التليفون والشريط ده مسجل بواسطة الرقابة على
التليفونات اللى من الداخلية ... فى جهاز رقابة فى
الداخلية أتاريه مشى من زمان من أيام أحد رؤساء
الوزارات بتوع زمان ... مش بتوع زمان يعنى ، أحد
رؤساء الوزارات القريبين ، أتاريه كان شاربه ومعاه كان

في رئاسة مجلس الوزراء وبعد بن وداه الداخلية ويراقب
التليفونات .

الشيء الغريب ان تفاصيل اللي جرا في اللجنة
المركية بالنص ، واحد ييحيها لواحد تاني ..
بس استلفت نظري شيء غريب .. تفاصيل كاملة ،
لكن فيه نقطتين في غاية الخطورة النقطة الاولانية انه
بعد ما اجتمعنا في اللجنة العليا زي ما قلت لكم واختلفنا
واخذت الأصوات وطعننا ه ضد ٣ - اتأري الخمسة
منهم ناس مباشرة بعد الاجتماع ، لما عرفوا ان احنا
رايحين اللجنة المركزية مباشرة بعد انتهاء الاجتماع -
المفروض ان اجتماعات اللجنة العليا اللي هي أعلى
مستوى سياسى في البلد ، واللى المفروض ناخذ فيها
قرار الحرب مثلا أو نقرر مصير البلد - أول ما وصلوا
لكاتبهم بعد الاجتماع ابتدوا راحوا موزعين أتباعهم
ونزلوهم على أنحاء البلد كلها يروحوا لأعضاء اللجنة
المركية في الاسكندرية وفي البحيرة وفي المنصورة وفي
كل حته - ليه ؟ لأنه كان فاضل ٣ أيام على اجتماع
اللجنة المركزية ، يفهموهم ايه اللي جري في اللجنة
العليا .. وانه لازم الأعضاء تيجي جاهزة وترفض .
مع ان احنا في اللجنة العليا ماناقشناش الموضوع ...
زي ما حكيت لكم وقلت لكم ان كان فيه أشياء غير شريفة
حصلت ، وأساليب غير شريفة يعنى أنا معنديش فكرة
عن الموضوع ده كله .

أنا فاهم ان العملية تلقائية ، احنا لما كنا في اللجنة
العليا ونزلنا اللجنة المركزية الكلام بتاع السيد على
صبرى والأسلوب اللي لجأ اليه . داللى حب يسحبه
بعد كده وأنا رفضت لأنه ده لازم يتسجل وهو مسجل

على أشرطة عندنا النهاردة لتاريخ علشان محدش يعود
اليه أبدا تانى .

أنا متصور انه يمكن طريقة الكلام ده هي اللي خلت
أعضاء اللجنة كانوا متلخطين وعملوا الهيصة اللي
حصلت . لا ، الشريط بيحكى بقة بالتفصيل . ازاي
أعضاء اللجنة العليا ينزلوا ويبعتوا ناسهم ويحكوا كل
ما جرى في اللجنة العليا ويتحريف ، الهدف منه لابد من
اسقاط اتفاق الاتحاد استمرارا لعملية الصراع .

وأنا قاعد عادى خالص ، اجتماع اللجنة العليا كان
الأحد ، السبت فات عليه شعراوى جمعه يقول له :
الاجتماع بكره . قاللى آه ، قلت له : طيب أنا عايز
الناس تقول رأيها في اللجنة المركزية الحقيقية ، وعايز
كل واحد يأخذ فرصته . ليه ؟ لأن باعتبر ده أمر حيوى
جدا واحنا لجأنا لأسلوب تانى أنا لا أقبله أسلوب الصراع
ده فانا عايز نحسم المسائل دي كلها ونكون واضحين
واللجنة المركزية تشترك معنا فيها .

فقال لى اللجنة المركزية جاهزة تماما وكل شيء
تمام . .

الشريط زى ما قالت لكم الأول بيحكى قصة اللجنة .
الاجتماع الأولانى ، وبيقرر نقطتين خطيرتين النقطة
الأولانية دي . والنقطة الثانية . عضو اللجنة المركزية
الى بيحكى في التليفون لزميله لصاحبه ماهوش عضو
لجنة . ده بيحكىها للراجل التانى مش عضو لجنة .
انما الى بيحكى عضو لجنة مركزية لأنه قاعد جوه وحكى
والشريط واضح فيه بالكامل . قام التانى يقول له ايه ؟
قاله والله والرئيس دخل يعنى وتكلم كلمة شلت اللجنة

كلها . لكن احنا كنا مجهزين ، وهرجنا ورا بعض ولا . .
لا . . احنا لازم عايزين نسمع صوت السيد على صبرى
هيه . . هيه . . وموضيين كل ده . . باين فى الشريط
الكلام ده حصل كله والله الأخطر انه قال له : طيب ايه
كان موقف الرئيس ؟ قال له الرئيس قال ان اتا مش
مستعد أقبل وصاية عليه من حد ، وانا بحط قدامكم
الموضوع للمناقشة الموضوعية واللى بيجرى دلوقتى
صراع وليس مناقشة وأنا لا أقبل الصراع . وانا مستمر
فى هذه الجلسة لفاية ما كل عضو يقول رايه . . ويحدد
موقفه بصراحة .

قال له يعنى مش حيتراجع ، لا ، مش حيتراجع
— قام الثانى يسأل عضو اللجنة المركزية بقه بيقول له
ايه . . . اوعدوا تكونوا معملتوش حساب الاذاعة ، قام
قال لا ، معمول حسابها . اذاعة ايه ؟

استلقت نظرى ان نزول اللجنة العليا واستخدام
عرييات الاتحاد الاشتراكى . ومواد الاتحاد الاشتراكى
علشان تضليل أعضاء اللجنة المركزية ، واستخدام
الأساليب والمناورات السياسية وكشف كل مناقشات
اللجنة العليا وبطريقة ملتوية ياريت اللى جرى كان
يهدف اسقاط الاتفاق ، ده كله علشان احراج الرئيس
والصراع الى مع الرئيس . دى استلقت نظرى .

لكن الاذاعة ماكنتوش عاملين حساب الاذاعة ليه ؟
قال له : لا ، كنا عاملين حساب الاذاعة .

واقف قدامى . وانا باسمع الشريط ، السكرتير
بتاعى الى جايب لى الأشرطة من تحت من الراجل الى
جه . قام لقانى عند حكاية الاذاعة التفت ، يعنى شىء

منهل جداً ايه ده ! - متأسف يا افسدم ، أنا ماقلتلكش - من سبعة أيام جاني هنا فلان الفلاني وأبلغني أن يوم اجتماع اللجنة المركزية الأول الاذاعة كانت محاصرة بطريقة . . مش بناس لابسين رسمي ولا حاجة لا ، إنما بشكل ناس مخبرين عاديين ، ولكن محاصرة ، واللى جه بلغني - واسمه فلان - قال أنه عرف هذا من المكتب الفلاني في الاتحاد الاشتراكي وأنهم مجهزين عشان اذا الرئيس نزل من اللجنة المركزية وراح على الاذاعة يخاطب الشعب تمنعه المخبرين الى محاصرين الاذاعة . ويمنع من أنه يخاطب الشعب . قلت له طيب مقلتيش ليه أيامها ؟ قال لى والله لقيت بعدها بيومين اللجنة المركزية انصقت والاجتماع اللى حصل اتفارق بالاجماع واعتبرت الموضوع منتهى واعتبرته تبليغ عادى .

انا هنا توقفت بآه ، افشاء أسرار اللجنة العليا وبطريقة ماتوية ، واستخدام أساليب حزبية زى اللى حكيت لكم عنها كلها ، ودول اللى فى أيديهم مصر يقرروه ، مصر البلد ومصر المعركة ومصر ولادى اللى قاعدين على القنال ، والاذاعة محاصرة . . طيب ، دى انقلاب ، أنا تصورتها كده . . لما بييجى رئيس الجمهورية داخل الاذاعة ويقولوا له : لا ، منتش داخل متقدرش تخش اذا كان عايز يكلم الشعب فى اى موضوع .

وانا زى ما قلت لكم كلامى ، لشعراوى جمعة وللكل . . ان انا كل مشاكل عايز احلها بالشعب مش بالاجراءات الاستثنائية . كل حاجة نختلف فيها تعالوا نعطها قدام الشعب . ونقول له احكم يا شعب ونعود شعبنا بقى انه ياخذ دوره الكامل والسيطرة على مصيره

وقلت الكلام ده فى أول مايو . هم عملوا حسابهم
وحاصروها . . طب اللى حاصرها ده جهاز الأمن بتاعى
أنا ولا أنا دريان .

ماكتفتشى ، قلت طيب ، هات الشريط الثانى ،
نفس عضو اللجنة المركزية اللى فى الشريط الأول بيعكس
عن قصة اجتماع الهيئة البرلمانية ، وبishtكى انه
ما قدرشى ينفذ الخطة اللى كان متفق عليها ويقول ايه
بالات . . ما كناش نقدر نهيش الرئيس . لأن لو
هيشناه بطريقة الكلام اللى كان بيتكلمه كان المجلس قام
علينا يموتونا كلنا ، فكان قاعد ورايا فلان الفلانى
(عضو من اللى منضمين لهم ، عضو من أعضاء مجلس
الأمة ومن المجموعة الجديدة اللى عاملة الحلقة دى)
شاور لى وقال لى لا . ما تنكلمشى خلاص لأنه واضح
ان كلام الرئيس مش ممكن حد يقدر يرد عليه وإذا حد
رد حايبقى وضعهم سيئ جدا للدرجة انه يمكن المجلس
قام علينا يموتنا كلنا ، فكان قاعد ورايا فلان الفلانى
وبهدله وبishtكى عضو مجلس الأمة هذا فى المكالة
التليفونية دى : انه اتهزا وانه عيب كدا التهزى ،
وانه دا ما كناش فى ايده انه يعمل حاجة .

وبدأت حركة الاستقالات الجماعية التى أرسلت
الى السادات ، بينما كان كل واحد من المتأمرين فى
موقعه .

وزير الحرية كان فى مكتبه لإدارة الحركة ضد
الشعب المصرى .

ووزير الداخلية كان يعتقد أنه مسيطر تماما على أجهزة الأمن ، فظل يراقب الحركة وهو مطمئن الى ان البلد في يده .

ووزير الاعلام جالس في مبنى الاذاعة . لينذع البيانات ، وقد بدأت اذاعة صوت العرب تغير برامجها فعلا ، وتذيع الأناشيد . ثم أذاعت الاستقالات الجماعية بينما حوَصر مبنى الاذاعة .

وفي المساء بدأ الاتحاد الاشتراكي ينظم مظاهرات في القاهرة وخرج بعض الشباب المندوعين الى الشوارع يهتفون هتافات مختلفة على أمل أن تنضم اليهم جماهير الشعب للمناداة بعلى صبرى رئيسا للجمهورية . وكانوا يهتفون بذلك ولكن الذى حدث هو أن جماهير الشعب كانت تنظر الى المتظاهرين باستخفاف ، وكانت تقول لهم الكلمة الشهيرة التى قالها السادات .

— عيب ... عيب ...

ولم تلبث جموع الشباب الاشتراكي الذى خدعه المتآمرون أن تبددوا في زحام المدينة بعد أن ضاعت هتافاتهم في الهواء ، ولم يجدوا صدى لأصواتهم التى رددت في الشوارع هتافا هزلا .

— حصرية اشتراكية ... على صبرى رئيس جمهورية .

لقد انفصل الشعب عن حركة المتآمرين منذ اللحظة الأولى ..
وقامت القاهرة في تلك الليلة ليشرق عليها يوم جديد هو يوم ١٥ مايو ١٩٧١ الذى بدأ مع التصحيح الجذرى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكان السادات الذى أعلن بيان الثورة ودخل وزارة الداخلية في صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليظهر ردهاتها من ملفات البوليس السياسى . هو نفسه الذى وقف بعد حركة ١٥ مايو ١٩٧١ ليحرق أشربة التسجيل التى سجلها أشرار المؤامرة ضد المواطنين .

ومنذ تلك اللحظة بدأ السادات يعيد للثورة وجهها الطيب الناصع الذى لا يعرف الأحقاد والمؤامرات ، ولا يعرف السجون والمعتقلات .

والتقى السادات يوم ١٤ مايو برجال القضاء وقال لهم عندما زاروه :

« ليس لى الا أن أتوجه اليكم من كل أعماقى بخالص الشكر فى هذه اللحظات التاريخية من حياة وطننا ، ولكننى أعاهدكم وأعاهد الشعب من خلالكم أن يسود القانون وأن تقنن الثورة وأن لا يكون هناك على الإطلاق أى إجراء الا وله قانون .

فى نفس الوقت فانتى لحماية المجتمع والأمن والطمانية لشعبنا الذى نسعى الى بنائه بناء حرا آمنا ، لن أتردد أبدا فى أن أسحق أية محاولة .

أعاهدكم وأعاهد الشعب من خلالكم أن لا أسمح على الإطلاق بل سأسحق أى محاولة للنيل من حرية هذا الوطن وحرية المواطن .

بل أقولها عالية وصريحة أننى سأسحق أى مركز قوة مهما كان .. ولن يبقى ولن يعيش الا شعبنا الطيب الأصيل كمركز القوة الحقيقى وكمركز القوة الوحيد لكل مصدر من مصادر حياتنا فى هذا البلد .

وبعد أيام وفى ٢٠ مايو ١٩٧١ توجه السادات الى مجلس الشعب كعادته عندما يحدث أمر خطير وبدأ حديثه بالكلام عن المستقبل وقسم خطابه الى قسمين الأول عن المعركة والثانى عن بناء الدولة الجديدة .

ولم يطل حديثه عن المؤامرة .. بل انه قال « ان عملية التصحيح التى قام بها الشعب فى ١٥ مايو لا تصنع زعامة جديدة لأنور السادات ، ولا تعطى قيادة جديدة لأنور السادات ولكن قيمتها وأصالتها أنها تعطى القيادة والزعامة ، ويجب أن تعطى القيادة والزعامة لتحالف قوى الشعب العاملة » .

لقد أدار ظهره نهائيا لكل ما حدث فى المؤامرة . وبعد خمسة أيام من وقوعها وبدأ يصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو التى كانت قد انحرفت عن أهدافها الحقيقية .

وكان المتآمرون يستغلون كلمة الاشتراكية استغلالا رهيبا ويدعون أنهم الاشتراكيون الوحيدون فى مصر ، وأرادوا أن يغيروا أفكار الشباب فأنشأوا منظمات سرية تلقن الشباب المصرى أفكارا دخيلة لا علاقة لها بواقع المجتمع المصرى وأقاموا معاهد

ومعسكرات لنشر المبادئ الدخيلة بين الشباب البريء الذى استغلوه فى مراقبة المواطنين داخل مراكز أعمالهم فى المصانع والمكاتب . وكتابة تقارير عنهم ، حتى أصبحت الجاسوسية الداخلية عرفا سائدا وأهملت القضية الأصلية ، التى يتحدث عنها السادات دائما وهى قضية المعركة مع إسرائيل وتحرير الأرض المغتصبة واستعادة حقوق شعب فلسطين .

لقد تغيرت مفاهيم الحرية والاشتراكية والوحدة التى تعتبر ركائز ثورة ٢٣ يوليو .

لم تعد للحرية قيمة ، بل انه لم يعد لها وجود فى غياب سلطان القانون . وقد بلغ التحدى مداه عندما أعلن أحد محافظى القاهرة ذات يوم أن القانون فى أجازة . وبدأ يمارس سلطاته التعسفية ضد المواطنين . واستشرى هذا الداء الخطير الذى أوشك أن يأكل جسد الأمة المصرية فلم يعد المواطن يأمن على نفسه أو ماله وفى غيبة القانون انتشرت ألوان من المفاصد بصورة تلفت النظر وكان طبيعيا أن تجد النفوس الضعيفة مرتعا خصبا فى هذا الجو الشاذ الذى صنعه كبار المسئولين ، فكثر الاختلاسات وأصبحت الرشوة شبه علنية وفقد الوازع الدينى والأخلاقى قوته التى كانت من أعظم ميزات مصر .

كان يقال ان الشرطى معذور اذا تقاضى الرشوة وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، عثر شرطى فى إحدى المحافظات على مبلغ يزيد

عن الثلاثمائة جنيه ، ورده الى صاحبه وكان سائق تاكسى . ولما عرض على الشرطى أن يتقاضى مكافأة الأمانة وقدره عشرة فى المائة من هذا المبلغ رفض ذلك ، وقال ان ضميره لا يستحل قرشا واحدا ، كما نشرت الصحف أن تلميذا صغيرا عثر على مبلغ كبير فسلمه لناظر مدرسته .

وقبل ذلك كان كبار المسئولين يستحلون لأنفسهم ما لا يحله الله لهم ، ويتباهون بأنهم منحوا القانون أجازة اجبارية ..

وكان أعظم ما حققته حركة التصحيح فى مصر هو سيادة القانون ، وكان السادات هو بطل هذه السيادة التى غيرت كل شىء فى مصر . فعادت الطمأنينة الى النفوس . وبدأ المواطن المصرى يستعيد نفسه .

أما الاشتراكية التى كان المتآمرون يرتدون ثيابها المزيفة ، ويرفعون شعاراتها الكاذبة فقد أعادها السادات الى حقيقتها النابعة من ضمير الشعب المصرى .

وهناك حادث غريب حدث فى مصر .

عندما جاء الكاتب الفرنسى (جان بول سارتر) لزيارتها فى عام ١٩٦٨ وذهبوا به الى احدى قرى المنوفية الاقليم الذى نشأ فيه السادات ، وكان أحد أبناء هذه القرية قد اتهم بأنه اقطاعى بسبب مقتل أحد أقاربه . وهى القضية المعروفة باسم « قضية

كمشيش » ، وأعدت مناقشة بين سارتر وبين الفلاحين تحت
إشراف أصحاب مراكز القوى . وكانت مناقشة ساذجة حتى أن
أحدهم سأل سارتر :

— هل عندكم اقطاع في فرنسا ؟

وكان الذى لفت نظر سارتر أن خيول صاحب الأرض الذى
كان يهوى تربيتها ، وجدت محبوسة داخل حظائرها فقال
سارتر :

— لقد حبسوا الرجل .. لماذا حبسوا الخيول ؟

وعندما ذهب سارتر الى اسرائيل أعلن أنه يفضل الفلاح
الاسرائيلى على الفلاح المصرى .

كانت الاشتراكية فى مصر تهتز تحت ضربات هوجاء أوشكت
أن تفقد المجتمع قواه .

وكان السادات يعرف حقيقة مصر .

لقد نشرت مجلة « شئون خارجية » الأمريكية مقالا للرئيس
فى أكتوبر ١٩٧٢ ، قال فيه :

« ان مصر بلد عمره سبعة آلاف سنة ، وله معتقدات وتقاليد
عميقة الجذور ، ولعل هذا البلد بدأ عبادة الله قبل أى بلد آخر ،
وان التوحيد عندنا منذ أختاتون والفلاح المصرى يحب قطعة

الأرض الصغيرة التي يملكها ، ويتطلع الى توريثها لابنه . ولذلك فان الاشتراكية في مصر كان يجب أن تكون مختلفة » .

وهذا التصوير الواقعي لحقيقة المجتمع المصري ، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن التجربة الاشتراكية المصرية تابعة من روح مصر وفكرها ، ولا يمكن أن ترتبط بالمذاهب الدخيلة ، بل انها طردت هذه المذاهب من ساحتها ، ورفضتها رفضا فاطعا لأنها تجربة تقوم أساسا على مبادئ الايمان وعبادة الله الواحد .

ولقد وصف الرئيس حقيقة حركة التصحيح التي قامت في مايو ١٩٧١ ، وشرح أهدافها في خطابه الذي ألقاه بجامعة الاسكندرية مساء ٣ أبريل ١٩٧٤ قائلا :

« ان حركة التصحيح التي بدأت في مايو سنة ٧١ وان كانت قد عجلت بها مؤامرات بعض مراكز القوى ، الا أنها في جوهرها كانت أمرا ضروريا حتى تضع شعبنا في الوضع الأكثر ملاءمة في تحمل أعباء المعركة والمساهمة في احداث النصر .

لقد كشفت هزيمة ٦٧ سلبات كثيرة في حياتنا ، كانت تشوه وجه تجربتنا الثورية . ومنذ افاقة الشعب من صدمة النكسة بدأ يطالب بالتغيير والتصحيح في الكثير من مجالات الحياة .

كانت الرغبة الشعبية العارمة من أجل التصحيح تقاوم من بعض مراكز القوى التي كان صعبا عليها أن تتخلى عن سلطتها

وأساليبها في العمل وتنقيل العلاقات الجديدة التي يطالب بها الشعب بين الحاكم والمحكوم .

كان لا بد أن يشعر كل مواطن أنه مسئول عن أقدار بلاده بقدر مسئوليته سواء بسواء وأن قضاياها الأساسية تناقش أمامه علانية وأنه لا توجد وصاية تمارس عليه في الخفاء كما لا بد أن يزول الخوف وأن تختفى بذور الشك وتراجع الحزازات والأحقاد، ويحس كل فرد أنه آمن على يومه وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله .. كما لا بد أن يعرف كل مواطن أن الحرب التي هو مقدم عليها لن تحرر أرضه فقط ولكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحم ، وقيماً أعلى وأرفع ، كما سوف تحمل له آملاً في أن يتطلع بحق الى مزيد من الديمقراطية لن تتحقق له كاملة الا في وطن قوى وعزيز متعاب .

لهذا لم تقف حركة التصحيح عند حد تنحية مراكز القوى عن الطريق ولكنها انطلقت الى تحقيق جوهرها الأهم بالعمل على ارساء سيادة القانون واعزاز كلمة القضاء واقامة دولة المؤسسات ووضع الضوابط التي يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ويمارسها في طمأنينة .

ورغم أن حركة التصحيح كان لا بد أن يقترن بها ما يحدث مع كل خطوة لازالة السدود والقيود من مناقشات وزيارات واتصالات ونحن في ذلك الوقت كنا ما نزال في ظروف الحرب الا

أنتى كنت واثقا من أن ايجابيات هذا الوضع أكثر من محاذيره
وأن الوحدة العميقة لهذا الشعب خصوصا فى ساعات الخطر سوف
تصمد للتجربة بل سوف تزيد هذه التجربة مناعة وقوة وهى
ليست ثورة جديدة » .

كما وضح أيضا دور مراكز القوى فى تعويق حركة التقدم
بسبب ضياع الحرية السياسية للمواطنين فقال :

« اذا كانت الثورة قد أنجزت الكثير فى مجال الحرية الاجتماعية
.. فانا بكل أمانة لابد أن نسلم أن جانب الحرية السياسية لم
يتحقق على الوجه الذى يريده الشعب .. بل لقد فرضت الأجهزة
ومراكز القوى وصايتها على الجماهير وتعددت القيود
والاجراءات .. بل وصل الأمر الى حد صرف اجراءات التحول
الاجتماعى عن هدفها الانسانى الأصيل واستغلالها لارضاء أحقاد
شخصية أو مصالح مجموعات معينة .. ويدعون الدفاع عن
الاشتراكية تارة وعن أمن الدولة تارة أخرى .

أغلقت كثير من الأبواب وسدت مسالك كان يجب أن تفتح
أمام العمل الوطنى .

ان من حق كل مواطن أن يأمن على نفسه وعلى رأيه وعلى عمله
وعلى كسبه المشروع .

الأصل فى كل مواطن افتراض أمانته ما لم يثبت القضاء

تطبيقا للقانون أنه أخطأ في حق غيره أو في حق المجتمع ان شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج الى وصاية أحد ومن هنا كان عملي الدءوب على تصفية مراكز القوى وتحقيق سيادة القانون واقامة دولة المؤسسات وتأمين المواطن على يومه وغده .

اننى أؤمن أنه لا معنى للحرية السياسية بالنسبة للجائع الذى يضطر الى بيع صوته فى الانتخابات ولكننى أؤمن أيضا أنه لا جدوى للقامة العيش اذا فقد الانسان أهم ما يميزه .. وهو الحرية السياسية لكن هاجى للنقطة الثانية اللى هى توائم بين حركة العمل الوطنى وبين الظروف الجديدة التى بتعيشها أود أن أقول ان أسلوب العمل الوطنى يجب أن يتغير بتغير الظروف التى نواجهها فى ظل التمسك بالمبادئ الجوهرية التى ارتضاها الشعب ونحن فى سنة ١٩٧٤ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تغيرات كثيرة شهدها واقعنا المحلى ومنطقتنا العربية والعالم كله .

واذا كان من هذا الأساس هو حرية الارادة الوطنية فى اتخاذ القرار وصياغة المستقبل فان الممارسة الفعالة لهذه الحرية تقتضى حسابا دقيقا لكل ما يحيط بها من ظروف لنقرر لأتظنا ما هو خليك فعلا بتحقيق أهدافنا فى البناء والتقدم .

وكانت هذه الحركة الباهرة مقدمة من مقدمات النصر الذى تم فى أكتوبر ١٩٧٣ .

* * *

٥ معجزة الوحدة العربيّة

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٧٣

في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ حدثت معجزة لم يكن أحد يتصور قيامها بالصورة التي حدثت فيها .
في لحظة واحدة تحققت الوحدة العربية .

ولكن المعجزة لم تحدث فجأة بغير مقدمات ، ولم تكن مسألة عاطفية جمعت الأخ مع أخيه بسبب الحرب ، فان العرب في الحروب الثلاث السابقة أعلنوا بيانات الوحدة بطريقة أو بأخرى .

كانت الوحدة في سنة ١٩٤٨ مثلة في اجتماع سبعة جيوش عربية اشتركت في حرب فلسطين . وخسرت الحرب ، ثم بدأ العرب يفكرون أسباب الهزيمة تفسيرات شتى تركزت حول الخيانة والأسلحة الفاسدة ، ثم طوى التاريخ هذه الصفحة .

وحدث شكل من أشكال الوحدة العربية في حرب ١٩٥٦ عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر ، فنسفت أنابيب البترول عبر سورية

ولبنان . وقام العمال العرب ببعض الأعمسان ضد المعتدين
وصدرت بيانات وألقيت خطب وتصريحات لتأييد مصر ، وكان ذلك
من واجبات الحكام أو الهيئات مما ينشر في الصحف أو تذييعه
الاذاعات ولا أكثر من ذلك .

أما كارثة ١٩٦٧ فإنها حدثت وسط جو من الأحزان العربية .
حتى لظمت النساء خدودهن في بعض العواصم وكانت حرب ١٩٦٧
قد وقعت ومصر في شبه عزلة عن العالم العربي بل كانت هناك
خلافات مستحكمة بين مصر وبعض الدول العربية .

وظلت الوحدة العربية شعارا من الشعارات التي تدور حولها
الخلافات بين أصحابها حتى احتدم النقاش احتداما عنيفا عندما
كان دعاة الوحدة يتحدثون عن وجهات نظرهم المتباينة .

ولم تهدأ العاصفة حتى بعد عقد مؤتمر الخرطوم الذي جمع
ملوك ورؤساء العرب بعد الهزيمة ، وظل الخلاف قائما عندما عقد
مؤتمر الملوك والرؤساء في القاهرة .

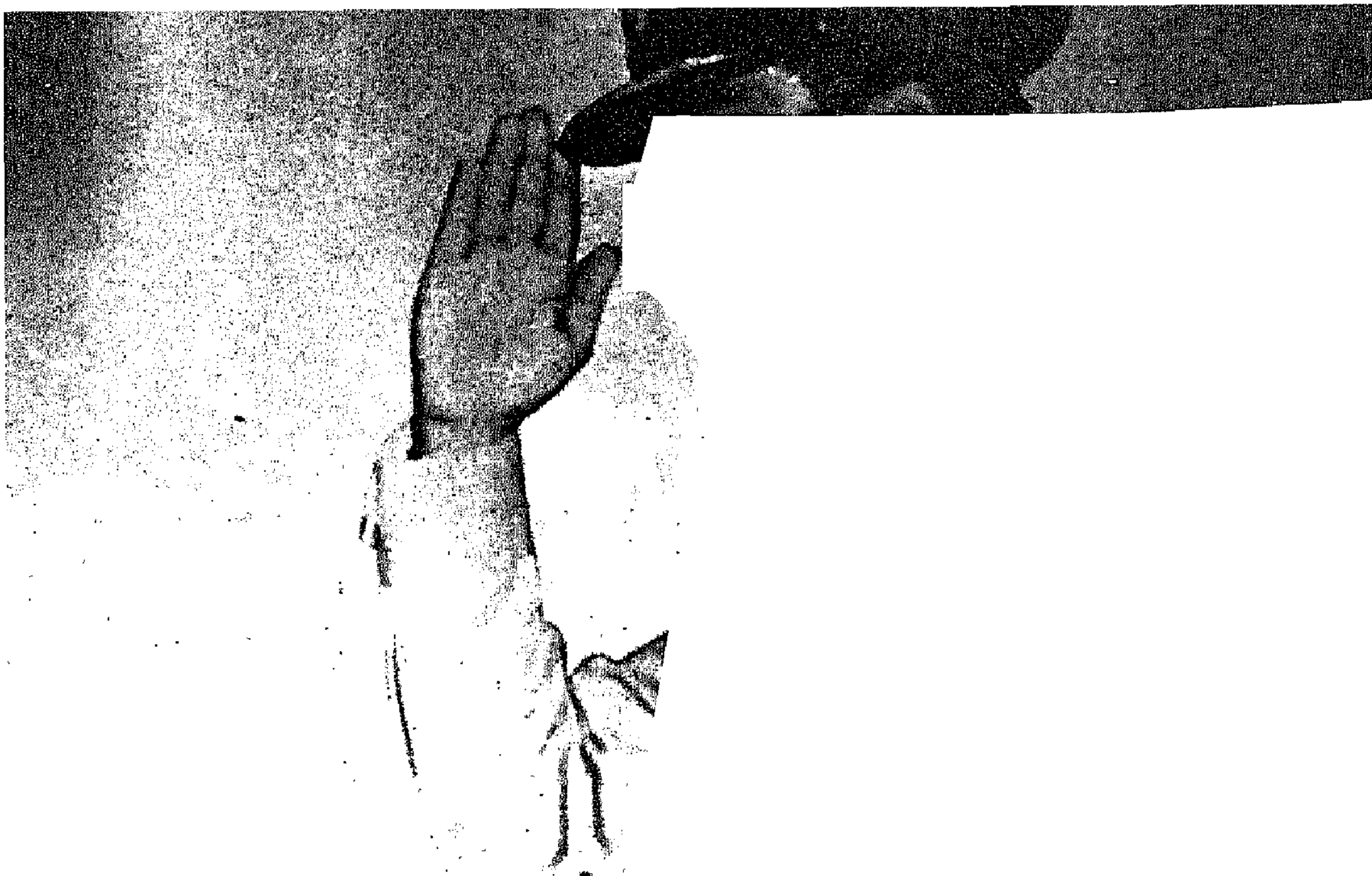
وعندما تولى السادات رئاسة الجمهورية كان الجو العربي
مشحونا بالخلافات ، ووجهات النظر المتباينة ، حتى وصلت فلسفة
الوحدة الى الوقوف عند وحدة الصف أو وحدة الهدف وداخل
نطاق هذه الفلسفة نشطت الجماعات السياسية لبيان أفكارها
الأيديولوجية ، والدفاع عنها ، وطعن كل من يعارضها .

جلس في انتباه
يستمع الى مطالب
هذا الطفل .



الوالد الحاني العطوف مع ابنائه





نصر من الله
وفتح قريب





حديث مع الدكتور هـنرى كيسينجر
وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية



دعاء الى الله بالنصر . . مع جلالة الملك فيصل

مع الرئيس السوري حافظ الأسد



حديث هام مع سمو الشيخ زايد بن سلطان
رئيس دولة اتحاد الامارات العربية



مع السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان



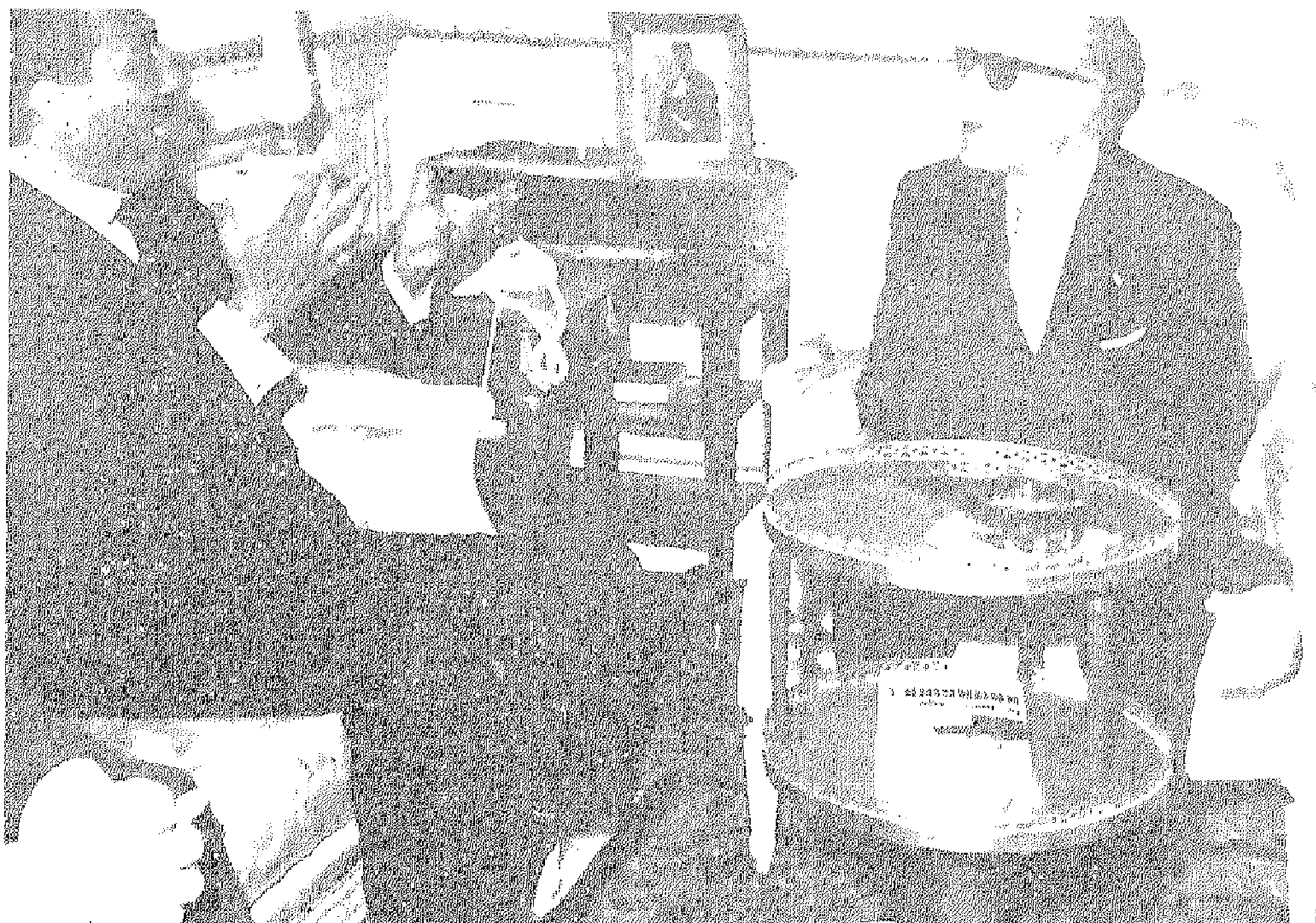


لقاء بالاحضان مع الرئيس
الجزائري هواري بومدين



اثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي بالجزائر
بعد انتصارات أكتوبر المجيدة





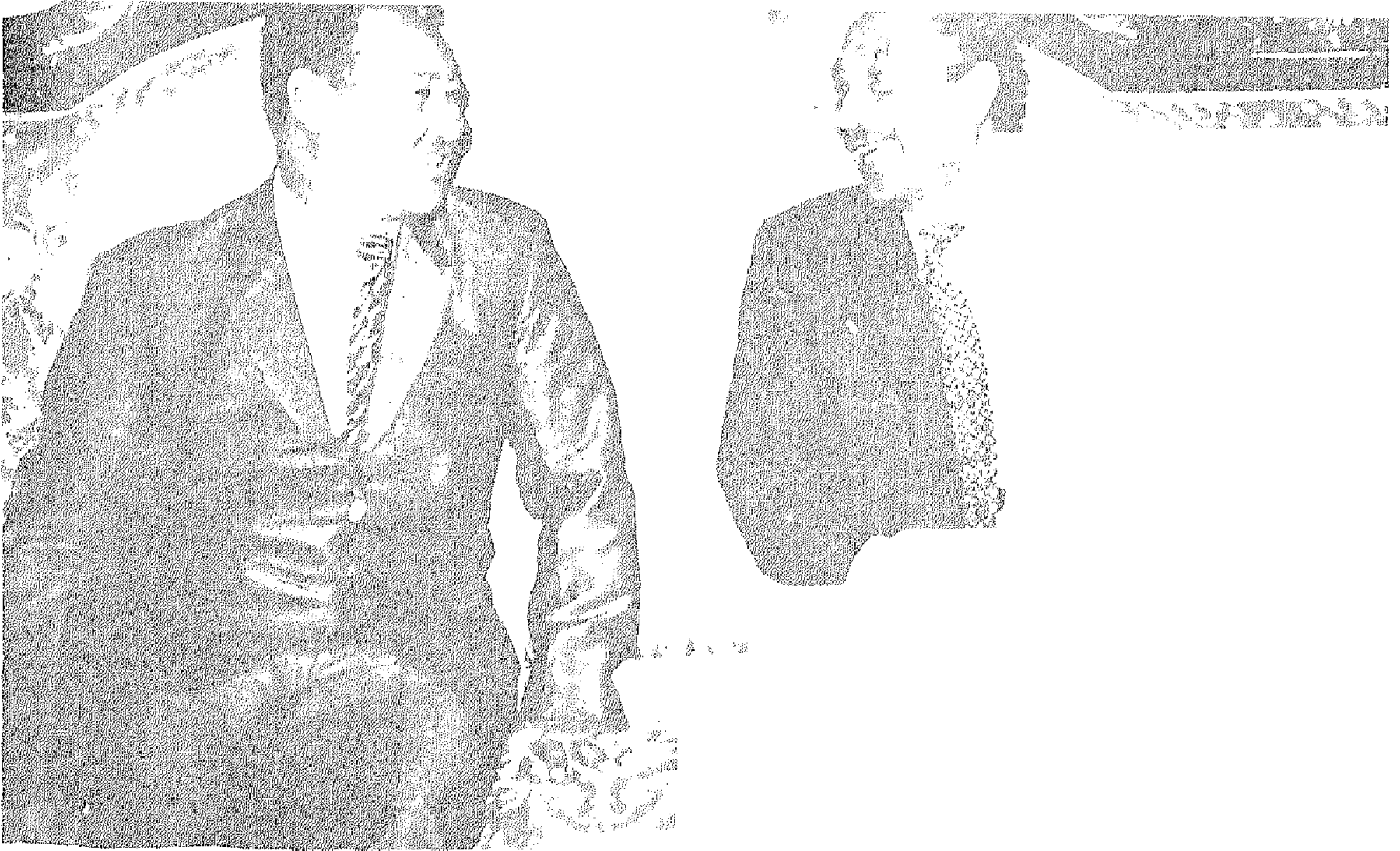
حديث باسم مفتوح مع الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة



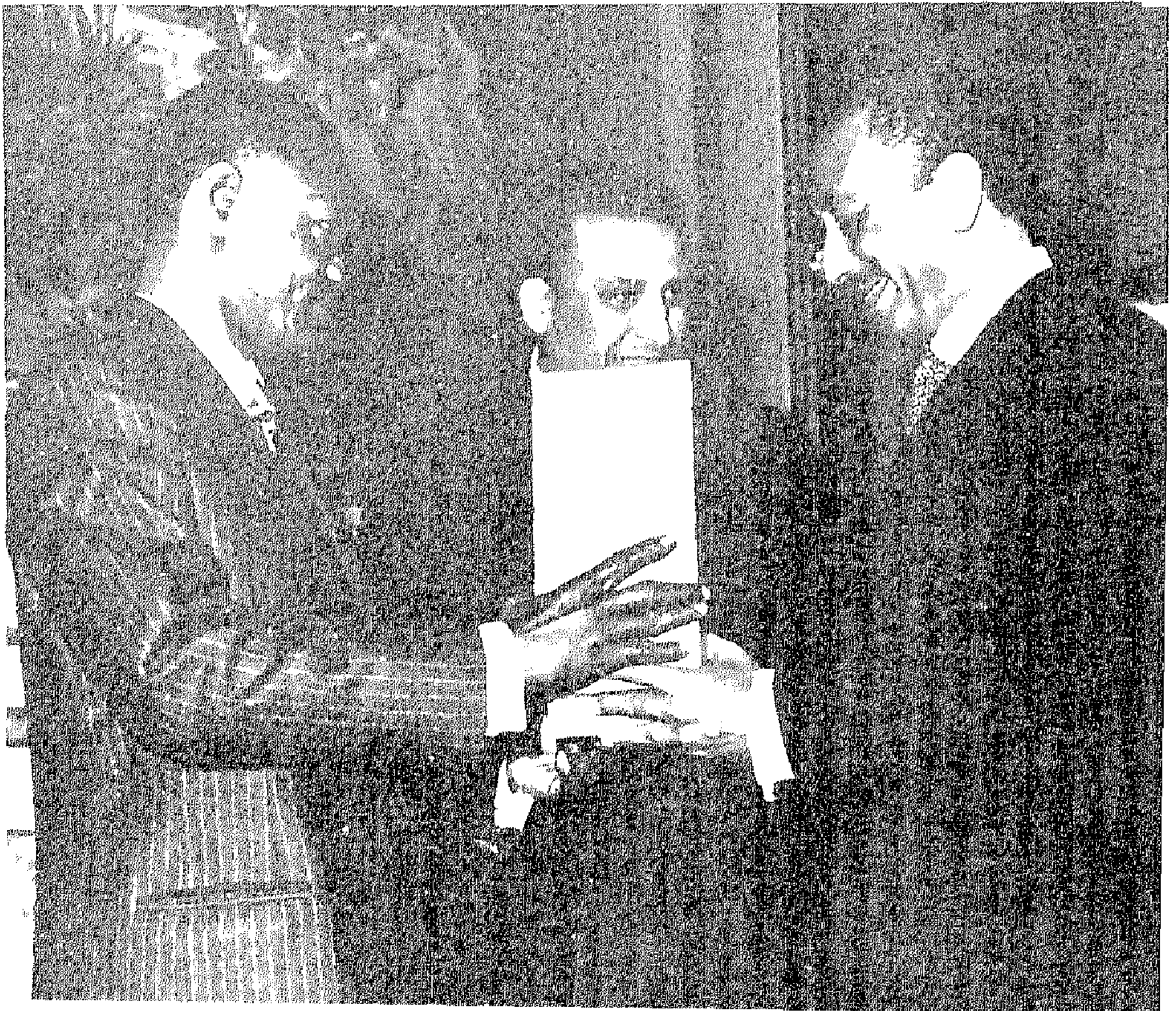
مع جلالة الملك حسين ملك الاردن



حديث هام مع جلالة الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا



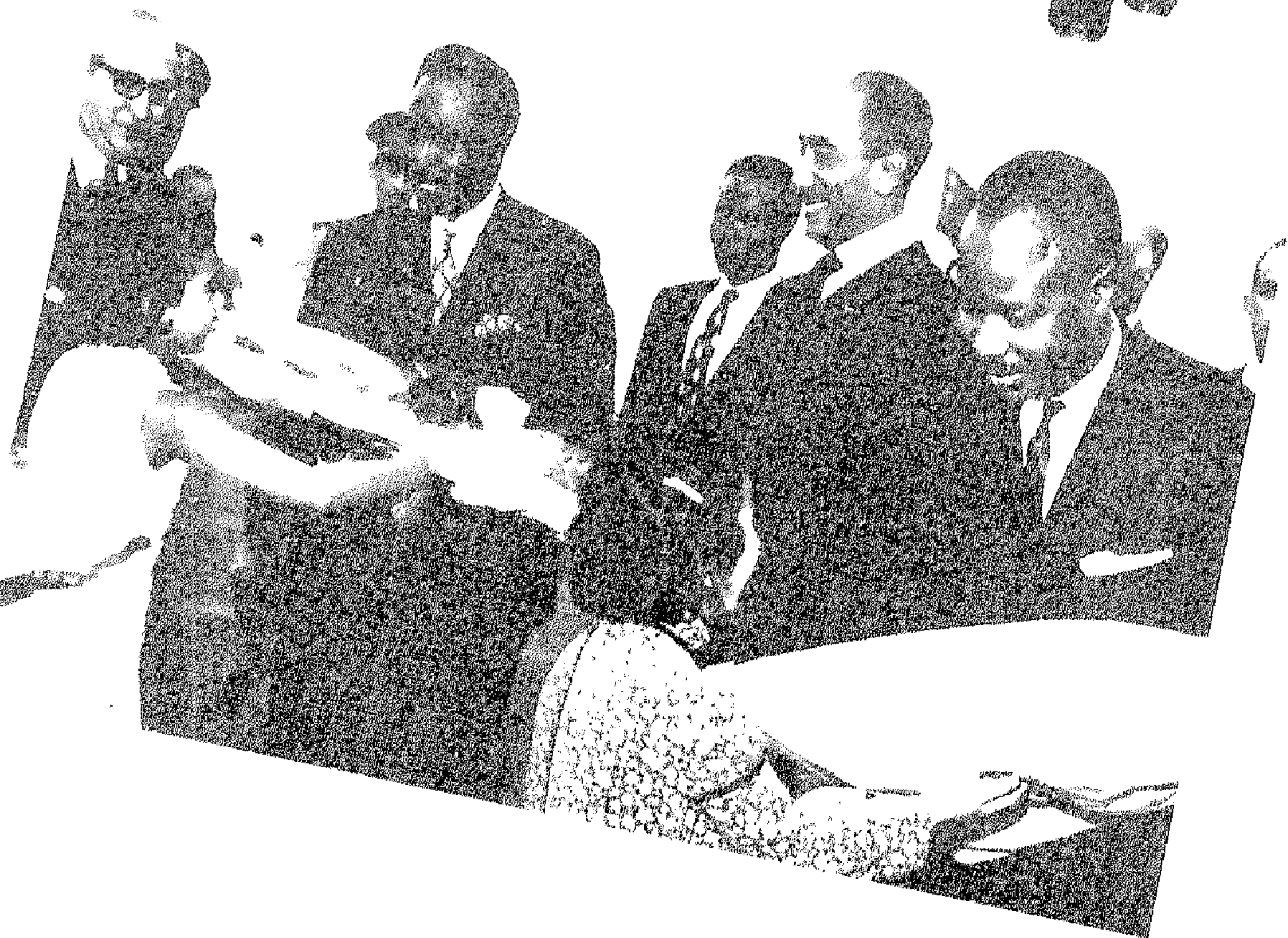
قلب مفتوح وفرحه لقاء مع الرئيس السوداني جعفر نميري



مع الرئيس محمد
سيادي رئيس
جمهورية الصومال

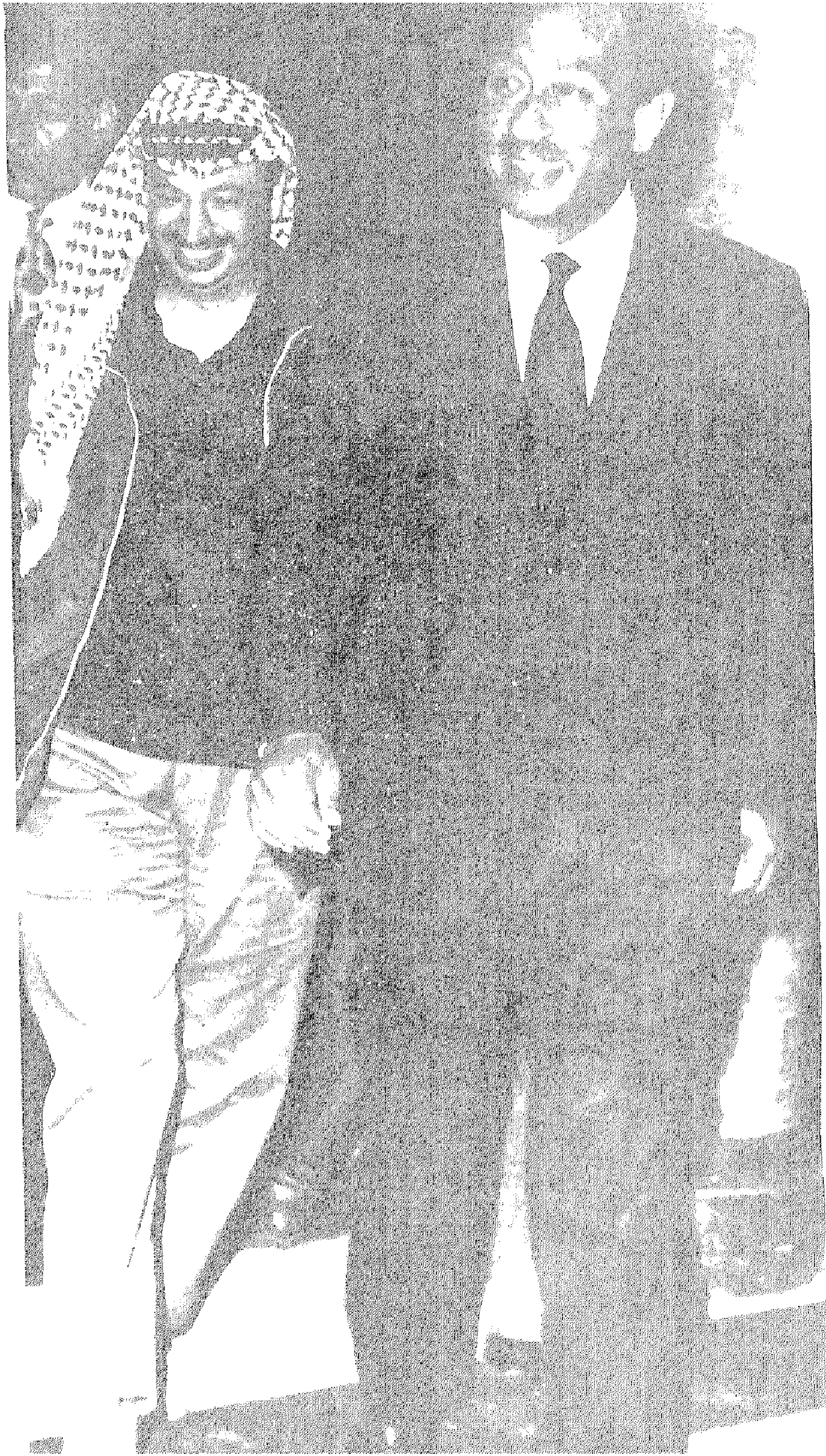


مع الرئيس أحمدو
أبيديجو





الرئيس اثناء زيارته للهند في عام ١٩٧٤



مع السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

ولم يكن السادات في مدينة القاهرة بعيدا عن أربعين الف سنة
التي كان لها شأن واحد من شأن دعاياها . - ساجد وجهه على
عبد الله في حقيقته .

في هذه السابعة الرجاء في تاريخ العرب الحديث . كان
السادات هو الذي أتى به في ويهنا سنة ١٩٥١ في الأندلس
التي هي التي سبب فيه الرجاء المصرية السورية عندما أتى
أحد من مجلس الوزراء السوريين ، وقد جلس الزمان الذي
الذي كان يرأس السادات من الوحدة في دمشق .

كتب رسالة السادات في سورته عندما أثنى الوحدة . من
الرجاء في التاريخ المصرية . وقد حلت الجبهة في سيارته في حرس
من بين الأرض ، وأرادوا أن يحاربوا على الأكراد .

« عندما وصل موكب الوحدة وعلى رأسه أمير السادات إلى
جانب في أقصى الشمال من سورته كان موكبا رابعا سبب في
نصرته في ليلة كبتها أبو الطيب المسمى ساعر العرب الأكبر عن
انقلاب سبب الدولة الحداني .

« ألقى السادات في حلب خطبا وكلمات أظهرت لأول مرة أمام
الجيش العربي قدرته الخطائية ، وكان سبب ذلك أن أهل حلب
تميزون بالبلاغة والفصاحة ، وقد نبأ في الخطباء في إحدى
المناسبات ، ثم وقف السادات ليتكلم فاهتزت القاعة بالتصفيق .

أمام بلاغته وفصاحته عندما نلق بلسان عربي مبين . ومن خصائص البلاغة العربية عند الخطباء بالفصحى انهم يعرفون أسرار اللغة ، وبغوصون في دواوين الشعراء وأمّهات كتب الأدب ، وهذه إحدى خصائصهم .

قد يعتقد بعض الناس أنه لا علاقة بين اللغة وبين أفكار الوحدة العربية ، ولكن هذا الاعتقاد خاطيء لأن اللغة أساس من أسس الوحدة ، والخطباء البلغاء يستطيعون التعبير عن أفكارهم بالفصحى أكثر من تعبيرهم باللهجات المحلية .

ومنذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٧٣ كان السادات يراقب تطور الوحدة العربية ، وأفكارها وعقباتها ونكساتها . وقد حدث الانفصال بين مصر وسورية في عام ١٩٦١ ، وكان السادات يتحرك فوق خريطة السياسة العربية حركة متزنة هادئة ، والدنيا من حوله ثائرة مائجة لا تستقر على حال .

لماذا حدثت الوحدة بين سورية ومصر في دولة واحدة ؟

لماذا حدث الانفصال بين سورية ومصر بعد أول وحدة في

التاريخ الحديث أجهضتها أحداث غير محسوبة ؟

سؤالان يملك التاريخ الاجابة عليهما .

وليس هذا هو المهم ، ولكن الأهم هو وحدة العرب ، وهذا هو ما يعتنقه أنور السادات .

انه مع الوحدة دائما بشرط واحد هو العقل والاتزان ، وعدم الانحراف وراء الشعارات والهفافات .

ان اعتناق المبادئ يحتاج الى الرجال الذين يحققون المبادئ ، ولا يكفي ان يكون الانسان موقنا بفكرة أو مبدأ ، لأنه يجب أن يحقق أفكاره ومبادئه أو يسعى الى تحقيقها وهذا أضعف الايمان .

ولو ظلت فكرة (لا اله الا الله) موضوع مناقشة بين محمد عليه السلام وأصحابه ، لما وجد الاسلام ، ولا اعتنقه ملايين البشر . لأن الفكرة يجب أن تصبح واقعا في حياة البشر ، وتنبذ من التسليم بها .

ومن واقع النشأة والايمان الكامل استطاع السادات أن يعرف طريقه عن طريق ايمانه بـ (لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) .

التسليم بالوحدانية وبرسالة محمد عليه السلام هو أساس الاسلام ، وبغير هذا التسليم لا يصبح المسلم مسلما ، وهذا هو المثل الأعلى الذي عرفه السادات ، ومن هذا المفهوم فسر بنفسه فكرة الوحدة العربية المرتبطة أساسا بالآية الكريمة في القرآن « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

ان تفسير الوحدة العربية لا يحتاج الى مناقشات ومغالطات وبيانات وخطابات . وهناك اتفاق تاريخي على هذه الحقيقة .

لماذا الخلاف ؟

بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وحتى هذه اللحظة ، وبعد هذه اللحظة ، هناك من يخالفون ويختلفون . ولكنه التزم بأفكاره الواضحة عن الوحدة فلا خلاف ولا اختلاف .

لقد بلغت مرحلة الغليان أحيانا فمة التجريح الشخصي ، حتى كنت بعض الصحف تقول انه ليس رجل الساعة ، وردت عليها صحف أخرى نسأل : من هو رجل الساعة ؟

ولم يلتفت الى هذه الكلمات الجارحة ، التي دفع ثمنها بعض زعماء العرب في فترة من فترات الاندفاع أو التعصب الشخصي أو الأمل في الوصول الى الزعامة عن طريق رفع الشعارات الميته . والحقيقة الواضحة هي أن السادات لا يسعى الى زعامة العرب ولا يطلبها ، وليس هذا في تفكيره أو وجدانه . لأنه يؤمن بأن روح العصر لا تقبل هذا التفكير المتخلف .

لقد تفككت الامبراطوريات التي كانت لا تغيب عنها الشمس ، فكيف تفكر الآن في اقامة امبراطورية عربية ولو كانت داخل حدودنا من البصرة الى الدار البيضاء ؟

ولماذا تقيم هذه الامبراطورية الجديدة تحت شعار القومية العربية أو الوحدة العربية ونحن نعلم أن صراعات المذاهب السياسية لم تصل الى نتيجة حاسمة بين القوتين الأعظم .

كان هذا هو التفكير العربى السديد قبل مرحلة الوفاق بين
أمريكا وروسيا .

وكان هناك تفكير معاكس ينحاز الى احدى الكتلتين ويريد
تحقيق الوحدة العربية عن طريق الانحياز ، مع أن المبدأ المعلن كان
عدم الانحياز ثم ظهرت نظرية ثالثة تعارض التعاون مع أى من
القوتين .

وعلى ضفة هذه الصراعات جلس أنور السادات بنأمل ،
ويستمع ، ويفكر .

فى آخر مؤتمرات الملوك والرؤساء العرب ، بعد
هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وقبل أن يصل الى السلطة
بأيام أو ساعات ، قال أحد الصحفيين ان السادات كان يقف فى
شرفة فندق هيلتون بالقاهرة وفى يده راديو ترنستور ينقل اليه
الأخبار . وكان وحده يتأمل صفحة النيل ، ولم يدرك هذا الصحفي
فيم يفكر السادات ؟ ولم يسأله عن أفكاره فى هذه اللحظة الحاسمة
التي كان يتقرر فيها مصير العرب جميعا .

اننى أتصور كيف كان يفكر السادات ؟ . وهذه الصورة
رأيتها فى دمشق عندما أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان هو
الناطق باسم وحدة العرب ، وعلى وجهه نفس الملامح الجادة
المخلصة المعبرة عن أمل الشعب العربى فى الوحدة ، بلا مناورات
أو ألاعيب .

الخط المستقيم أقصر الطرق .. وعندما ذهب الى دمشق في عام ١٩٥٨ ، وسمع نداءات الوحدة قال كلمة واحدة هي تحقيق الوحدة انتى تريدها الجواهر العربية ولم يسأل عن شكلها لأنه يؤمن بضمونها . وعندما وقف وحده في شرفة فندق هيلتون بالقاهرة يستمع الى الأخبار من راديو ترانزستور ، كان يعتقد أن المؤامرات داخل الفندق قد بلغت مداها ، وأن المجتسعين يفومون بعناية جميع الصفوف من أجل رأب الصدع .

كانت رحلة الوحدة العربية طويلة وشاقة ، وقد عبرها زعماء وقادة على الرمال وفوق الحصى في هجير الصحراء ، ولم يحققوا شيئا ، وظلوا يسلمون الأعلام علما بعد علم لقائد بعد قائد بلا نهاية ، وكانت النهاية مثل سراب الصحراء يحسبه الظمان ماء .

وعندما سئل السادات (١)

لقد نجحتم في العاشر من رمضان في تجميع الأمة العربية مما أدى الى كسب هذه الجولة فهل تعتقدون بأن هذا التجمع ينتهى والوحدة العربية الكاملة ؟

أجاب قائلا : لقد قلت ، وأنا أومن بهذا أن من أروع انجازات حرب رمضان ٦ أكتوبر هي الوحدة العربية ، اننى أعتبر ما تم على

(١) تصريحات الرئيس الى محطة الاذاعة البريطانية وجريدة الاخبار يوم

٢٩ مارس ١٩٧٤ .

الصعيد العربى وحده بمعنى الوحدة .. لأنه تم فى وقت الأزمة ، فى وقت الشدة واجهنا جميعا مصيرنا معا .. بلاشك كان لقرار ٦ أكتوبر الجهد الاساسى فى اقامة هذه الوحدة العربية .

وأنا أومن تمام الايمان أن الوحدة العربية التى أسفرت عنها معركة رمضان وأكتوبر هى وحدة أصيلة ، بصرف النظر عن الأشكال الدستورية ، لأن المهم هو أنه فى وقت الشدة تتحد كلمة الأمة العربية وقد اتحدت فعلا » .

ووجهة نظر السادات هى أن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان لها الجهد الأساسى فى اقامة الوحدة ، ولكن الحرب وحدها ليست كافية ، فقد مرت على العرب ثلاثة حروب مع اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ولم يحققوا وحدتهم .

واذا كانت حرب أكتوبر لها الجهد الأساسى فى اقامة الوحدة ، فإن السادات بشخصيته كان له الدور الاساسى فى تحقيق هذه الوحدة .

وعندما طرح على نفسه السؤال القائل : من نحن عربيا ؟ أجاب على ذلك بقوله (١) :

« نقول اننا أمة واحدة ، نحن نحدد انتماء مصر العربى ، نحدد دور مصر فى اتحاد الجمهوريات العربية ، نحدد التضامن العربى مهما اختلفت الأنظمة ، لاننا نواجه عدوا شرسا .. فى انتماء مصر العربية ، فإن مصر هى الوطن العربى الأول الذى قدم من عله

(١) خطاب الرئيس السادات فى عيد العمال بحلوان - أول مايو ١٩٧٢ .

ومن خبرته ومن ماله ومن جهاده ومن اتجاhe ومن مساندته وتأيدته .
لقضية الحرية للأمة العربية .

نحن لا نقول بالشعارات ، ولكن نحن نمارس العمل حيا واقعا
ناضيا وخلاقا » .

وفي هذه الكلمات وضح السادات أمرين هامين أثرا في مسيرة
الوحدة العربية في العصر الحديث .

وكان الأمر الأول هو انتماء مصر العربية . فقد دارت مناقشات
وكتبت مقالات وصدرت كتب عن عروبة مصر ، وكانت هناك
أهداف وراء التشكيك في عروبتها من أجل عزلها عن العالم العربي .
وبذل المخطط الصهيوني كل جهوده منذ البداية في محاولة لاقتناع
المصريين بأنهم ليسوا عربا .

وعندما قال سعد زغلول لعبد الرحمن عزام أثناء ثورة ١٩١٩ .
ان صفرا زائد صفر يساوى صفرا ، وكان ذلك في مناسبة اقتراح
عزام بالاستعانة بالعرب في الصراع ضد الانجليز استنتج بعض
الكتاب من هذه الكلمة أن سعد زغلول يرى أن العرب مجموعة
أصفار ولم يدركوا أن سعدا كان يقصد الى شيء آخر وهو ضعف
العرب في ذلك الوقت ووقوعهم تحت وطأة الاستعمار الأوروبي ،
فلا يقدرّون على مشاركة مصر في ثورتها ضد بريطانيا ، ولكن
المخطط الصهيوني جسد هذه الكلمة ليعزل مصر عن العرب ، مع
أن سعد زغلول كان من أشد المتعلقين بالعرب وقادتهم الثوريين ،
وقد وصفه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الزعيم السوري .
المعروف بأنه أسد العرب .

وكان الاستعمار البريطانى على وجه الخصوص يشكك فى عروبة مصر ، ويرفع على بعض الأقلام شعار مصر الفرعونية خلال فترة اشتداد الكفاح المصرى ضد بريطانيا حتى بدأ (السير وليام ويلكوكس) وهو من كبار المهندسين وكان مستشارا لوزارة الأشغال المصرية ، يروج لفكرة اللهجة العامية المصرية ، ويدعو الى ترك الفصحى والاستغناء عنها حتى تصبح اللغة العربية من اللغات الميتة ، وكان هذا يحدث فى فترة احياء لغة ميتة هى اللغة العبرية .

وتنبه المصريون من دعاة الفرعونية الى حقائق المؤامرة منذ وقت باكر ، فعادوا سريعا الى مراض العروبة . وأعلنوا براءتهم من هذه الدعوة الشريرة . وكان أول من حقق هذه الفكرة هو الدكتور محمد حسين هيكل الذى تعصب ذات يوم للفرعونية المصرية ، ولكنه لم يلبث أن رفضها وأصبح من كبار دعاة العروبة . وبعد سنوات حاولت الصهيونية العالمية أن تبعد مصر عن حومة الوغى فوق أرض فلسطين واقتنعت بعض الساسة المصريين بأن مصر لا دخل لها فى الحرب مع اسرائيل حتى قبل قيام اسرائيل . وقد أعلن ذلك الرأى أسماعيل صدقى باشا أحد رؤساء الوزارات المصرية السابقين فى عام ١٩٤٨ عندما بدأت الحرب العربية الاسرائيلية الأولى .

وكان أنور السادات معاصرا لكل هذه الأحداث وعارفا بأسرارها ، لأنه دخل وسط ثيرانها برجليه كما يقول المثل المصرى . وكان من أكثر أبناء جيله تعرضا لوهج النار .

وفي رحلة المعاناة الطويلة عاش السادات كل أحداث مصر
المعاصرة . ولم ينفصل عنها لحظة واحدة من لحظات حياته . وتأكدت
في أعماقه حقيقة عروبة مصر ، وأدرك في نفس الوقت أن الشعارات
المرفوعة في الميادين ، وعلى ألسنة جهابذة الخطباء كلها زيف
وبهجة لاسترضاء الجماهير .

استمع اليه يقول : (١)

« نحن لا نريد أن نفرض على أحد أي وضع ولكننا نريد الأمة
العربية كلها في المعركة نريد طاقات الأمة في خدمة التطور العربي
والتقدم العربي » .

وهذه الكلمات تفسير لما تحدث عنه من اختلاف أنظمة الحكم
في البلاد العربية ، مما لا يدخل في نطاق فكرة الوحدة ، ولا يجوز
التفكير فيه أصلا عند دعاة الوحدة لو كانوا يملكون منطق العصر .
وعندما آمن بأن الوحدة العربية فوق كل اعتبار ، سعى إليها
سعيًا دائبًا وقال في إحدى خطبه : (٢)

« كلكم تعلمون مدى ما قمت به من رحلات في عالمنا العربي ،
وما سأقوم به بإذن الله في المرحلة القادمة » .

(١) خطاب الرئيس في حلوان يوم أول مايو ١٩٧١ .

(٢) المرجع السابق .

خلال هذه الرحلات استطاع تنقية الجو العربى من الشوائب ،
واتزع بيديه كل الرواسب التى خلفتها الشعارات الزائفة
المغشوشة .

لقد كانت ترجمة كلمة (سوشياлизм) الى اللغة العربية في
بدايات العصر هى (العدل الاجتماعى) أو (العدالة الاجتماعية)
وهو مبدأ معترف به عند العرب عند ظهور الاسلام فى القرن
السادس الميلادى ، وقد ظهر هذا فعلا وواقعا ، ولكن الانحرافات
السياسية أعادت الترجمة الى كلمة جديدة هى الاشتراكية ،
وجعلوا يريق الكلمة مستندا الى بيت من الشعر قاله أمير الشعراء
أحمد شوقى عندما وصف الرسول عليه السلام بقوله : -

« الاشتراكيون أفت أمامهم »

ولكن المشكلة لم تكن هى ترجمة الألفاظ ، بل اعتناق
المبادئ فى ظل الكلمات والشعارات ولذلك حدث صراع الوحدة
العربية فى ظل الصراعات الايديولوجية ، وظهرت ألفاظ أخرى
كان أهمها التقدمية والرجعية . وهذان اللفظان لا معنى لهما على
الاطلاق ما دامت الأمة العربية تعيش فى ظروف التخلف الذى
فرض عليها فرضا .

ان التقدم ليس هو نظام الحكم ولكنه العلم .

الجمهورية كانت معروفة منذ عهد أفلاطون ، والملكية كانت معروفة منذ عهد مينا . ولكن العبيد في دولة « آثينا » كانوا مثل العبيد في دولة (منف) أو دولة (طيبة) .

ونظام الحكم في أمريكا وفي الاتحاد السوفيتي ليس هو سبب المشكلة الحضارية أو التقدم العلمى والتكنولوجى ، فكلاهما جمهورية ، وكلاهما تملك التقدم على اختلاف درجة الوصول .

أن المشكلة الجوهرية هى الانسان وحرية الانسان .

عندما يتحرر الانسان يستطيع تحرير أرضه .. وليس من حقه أن تسأله عن مذهبه أو عقيدته ، وقد استطاع السادات تحرير الانسان العربى من القيود والأغلال وأقذ روحه من الرواسب التى سببت له الحياة فى الظلام ، وكانت مقدمات الوحدة العربية التى حدثت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ مقدمات نفسية وشعورية ووجدانية وفكرية أيضا .

ان خلاصة التجربة جعلت منه الطبيب المداوى لآلام الشعب العربى ، الذى يستطيع أن يبرئه من مرض الهزائم المتلاحقة منذ خمسمائة سنة ، حتى قال بعض الكتاب الأجانب أن أهل الكهف يخرجون من كهفهم لتحقيق المعجزة .

لا روسيا . ولا أمريكا . ولا أسلحة العالم كانت تستطيع تحقيق المعجزة ، ولكن الطبيب الذى داوى ليلى المريضة فى كل أرض عربية ولم يحصل الطبيب مبضع جراح ، ولا أنبوبة دواء ، ولكنه حصل قلبه على كفه ، وحصل ابتسامته على شفثيه . .

ثم تحققت المعجزة عند الظهر فى العاشر من رمضان . وهو صائم . وشعبه صائم .

ولم تكن فكرة الوحدة العربية عند السادات ضيقة الأفق ، أو بعيدة عن الواقع الذى يعيشه العرب ، بل أنه رأى فيها الاتساع اللانهائى الذى يضم بين جناحيه كل العرب بغير تفرقة ويسعى الى تحقيق آمالهم فى الواقع لا فى الخيال . فابتعد عن الشعارات الطنانة ، والألفاظ البراقة ، وأعد المخطط العربى المواجه للمخطط الصهيونى ، وأعاد لمصر حقيقتها الناصعة ، وهى أنها ملاذ العرب الأول ، وحصنهم الأمين ، وملتقى أحرارهم . بغير تفرقة ، وقد كانت ملاذ (عبد الرحمن الكواكبي) أثناء كفاحه ضد الاستبداد العثمانى ، وكانت مقر العرب المكافحين ضد هذا الاستبداد ، كما كانت مركزا لكل الحركات العربية المناوئة للاستعمار بكل أشكاله .

وقد أصدر الرئيس فى السابع من ابريل عام ١٩٧٤ قرارا من منطلق ايمان جمهورية مصر العربية ، بالقومية العربية ووحدة الشعب العربى وباعتبارها موطننا لكل العرب . بمنح السيد

محمد ادريس السنوسى ملك ليبيا السابق هو وأسرتة الجنسية المصرية استجابة لطلب الملك السابق الذى يقم فى مصر ، منذ حوالى ٤ سنوات ، بعد قيام الثورة الليبية .. كما أن مصر تقدر دائما مواقف الشخصيات العربية فى الظروف الصعبة للنضال العربى فى مراحلہ التاريخية . وكان قرار الرئيس تعبيرا عن احترام المثل والمبادئ الانسانية ووضعها فوق كل اعتبار . ومما يذكر أنه حدث منذ حوالى عامين ، أن فوجىء الرئيس أنور السادات بحضور أحد أعضاء مجلس الثورة الليبى الى القاهرة ، ليجرى تحقيقا مع السيد ادريس السنوسى ، وقد اعتذر الرئيس أنور السادات عن عدم قبوله على الاطلاق ، أن يجرى تحقيقا مع ضيف عربى على أرض مصر . وقال الرئيس أن تقاليد مصر على مر العصور والأزمان أن تكرم ضيفها ، وهى موئل العرب جميعا . وقال الرئيس أن مصر لا تنسى للملك ادريس السنوسى مواقفه العربية الكريمة ، فى كل ما طلبته مصر منه ، لخدمة المعركة . وقد كانت العلاقات بين مصر وليبيا عند طلبت ليبيا التحقيق مع الملك السنوسى ، على أحسن ما يرام .

أن الوحدة العربية عند السادات ترتفع فوق كل اعتبار ..
ولذلك التفت حولها الجماهير العربية .

١٠١ فارس الحرب والسلام

خلال ثلاث سنوات كاملة كان السادات يتحدث عن تحرير كل
الأرض العربية المحتلة في عدوان ١٩٦٧ ، وهي القدس العربية
وغزة والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية وصحراء سيناء
المحتلة . وذلك مع الحرص الكامل على حقوق الشعب
الفالسطيني . وقد حدد ذلك في ٧ أكتوبر ١٩٧٠ عقب توليه رئاسة
الجمهورية بأيام . كما أكد أن الضمان الحقيقي لهذا الهدف
المشروع من نضالنا يتمثل في مطلب أساسي واحد هو تعزيز
القدرة القتالية للقوات المسلحة المصرية لتكون حماية للسلام
القائم على العدل أو أداة لغرضه ، كما حدد الهدف الثاني من
أهدافه وهو مواصلة النضال من أجل الوحدة العربية ، وحدد
أعداء الأمة العربية في إسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار
العالمي .

وعندما أجرى الاستفتاء الشعبى ، وتم انتخاب السادات
رئيسا عن طريق الشعب ، قال في خطابه الذى كان يوم ١٨ أكتوبر

سنة ١٩٧٠ أنه سيكون للجميع الذين قالوا : نعم والذين قالوا : لا . وبذلك حيا معارضييه تحية رقيقة ، وكان على نقية من أن الذين قالوا : لا سيعودون اليه في الوقت المناسب ليقولوا نعم . وهذا هو ما حدث بعد ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، عندما أصبحت اقلية المعارضة معه في لمحة خاطفة .

خلال ثلاث سنوات عاش السادات فترة قاسية في تاريخ السلام والا حرب ، وأصبحت الصحافة المصرية والصحافة العربية تعيد للاذهان قصة أهل بيزنطة الذين أداروا مناقشات في المذاهب ، والمدينة محاصرة بالأعداء .

لقد تخلصت مصر من مراكز القوى ، وقامت ثورة التصحيح في ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، واستطاع السادات قبل حرب أكتوبر أن يجمع شمل العرب على قدر الامكان وبذل جهودا مضنية . لتصفية الخلافات العربية ، ولكن الأحداث كانت تنشب لتعيد جو الخلافات مرة أخرى ، وكأنها سلسلة من المؤامرات تدبرها يد مجهولة للابقاء على الخلاف بين العرب ، فحدثت حوادث : اختطاف الطائرات في ظروف كان العمل السياسي العربي يتقدم خطوات الى الأمام ، فلا يكاد مؤتمر ينعقد أو يوشك على الانعقاد حتى يحدث حادث اختطاف طائرة .

كما حدث أمران هاما هذا صورة العرب أمام العالم الخارجي . هما حادث ميونيخ الذي قتل فيه عدد من الرياضيين الاسرائيليين أثناء انعقاد الدورة الأولمبية وحادث اقتحام السفارة

السعودية في الخرطوم وقتل عدد من الدبلوماسيين الأجانب داخل مبنى السفارة .

وكان السادات قد أعد خطته السياسية الكبرى لشرح الموقف العربى للعالم الخارجى فى أوربا وأفريقيا وآسيا بعد أن يشأسا تاما من السياسة الأمريكية التى لم تحقق شيئا بعد أن قدم هو شخصيا مبادراته من أجل السلام ، وبعد أن قدم (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا مبادرات أيضا من أجل السلام .

لقد أصبحت قرارات الأمم المتحدة وقرار مجلس الأمن الشهير رقم (٢٤٢) حبرا على ورق وأصبحت مهمة السفير جونار يارنج مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط مسرحية هزلية .

واطمأن المخطط الصهيونى العالمى الى أن الوصول الى السلام أمر مستحيل الوقوع ، وأن قيام الحرب أمر لا يستطيعه العرب ، ولا يملك السادات الاقدام عليه ، وحاول هذا المخطط أن يجعل من حالة الاحرب والاسلم أمرا واقعا . وأصبح حديث (لا حرب ولا سلم) مثل الخبز اليومى وعلى صفحات الصحف العربية فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية ، وفهم بعض الناس أن مخطط الصهيونية هو التوسع كل عشر سنوات وحسبوا حساب المدد ، من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٧ . وبناء على هذه الحسابات فان حالة الاحرب والاسلم المفروضة

على العرب ستستمر حتى عام ١٩٧٧ عندما تقوم اسرائيل بهجوم توسعى جديد ، يمتد الى دلتا النيل فى مصر ويصل الى أبواب القاهرة ، ويمتد الى قرأت العراق ويصل الى أبواب بغداد ، بل أنه سيصل أيضا الى أبواب المدينة المنورة حيث قبر الرسول عليه السلام ليستعيد خير من المسلمين .

وشاعت وذاعت أنباء إقامة فنادق سياحية فى (شرم الشيخ) وإقامة مستعمرات اسرائيلية فى قلب سيناء ، بعد تحقيق الحلم الصهيونى الذى وضع أساسه (تيودور هرتسل) من إقامة دولة يهودية فى سيناء وما دعا اليه (دافيد بن جوريون) وغيره من ساسة اسرائيل من وجوب الوصول الى قناة السويس لارغام مصر على قبول كل شروط اسرائيل .

اما فى مصر فكان الجنود داخل خنادقهم على خط المواجهة على شاطئ قناة السويس ، وقد طالت بهم الأيام منذ يونيو سنة ١٩٦٧ ، وهم لا يستطيعون الحرب ، ولا يستطيعون العودة الى مدنها وقراهم ، والشعب المصرى يتحمل أعباء معركة لا تحدث ولا تقع ، وقد ضاقت سبل الحياة أمام الناس ، ولكنهم يصبرون ، ويصرون على رفض الهزيمة مهما كانت التضحيات .

وكان السادات يواجه كل ذلك فوق مسئولياته عن دولة هو رئيسها ، وهو لا يريد لها أن تظل كما هى بل كان يعمل من أجل التقدم وبناء الدولة الحديثة على ضفاف النيل ، وقد أعلن

شعاره الجديد : دولة العلم والايمان ، وبدأ يحققه بالعمل والفعل ،
وبدفع عجلة وطنه نحو العصر الحديث .

وخلال هذه الفترة نشبت في مصر مشكلتان خطيرتان هما
مشكلة الطائفية التي أطلت بقرونها السوداء فجأة وعلى غير نرقب
للعمل على تمزيق الوحدة الوطنية المصرية ، ومحاولة التفرقة بين
المسلمين والأقباط ، وكان السادات كما ذكرت لك قد تلقى دراسته
الابتدائية في مدرسة قبطية . وقد ذهب اليها عندما بدأت أمجاده ،
وسجل في دفترها الصغير كلمات العرفان للاستاذة الذين علموه
وهم من الأقباط .

وعندما امتدت اليد الخفية لتلعب بهذه الورقة سارع
السادات بحنكة وتجربة وايمان الى إيقاف المؤامرة التي أريد
بها إبعاد مصر عن معركة تحريرها .

وكانت الأزمة الثانية هي أزمة الطلبة التي وقعت في يناير
٧٢ ، وقد أراد الذين دبروا هذه الأزمة وضع قناع زائف على
وجه الحركة الطلابية المصرية وإظهارها بمظهر غير حقيقي ، يشكك
في مسيرة الثورة ، أو يثير المشكلات من أجل إثارتها ، وثبت
فيما بعد صلة هذه الحركة بالمؤامرة التي دبرت في ١٥ مايو سنة
٧١ ، وأعقبتها حركة التصحيح . فان الذين قاموا بإثارة الطلبة
كانت لهم صلات عائلية بمديري حركة ١٥ مايو .

وعن طريق القانون وممارسته الديمقراطية عالج السادات هذه الأزمة ثم عفا بعد ذلك عن جميع الذين اشتركوا فيها احساسا منه بدور الوالد نحو أولاده .

وقد حدثت في أعقاب أزمة الطلبة تلك الزوبعة التي ثارت داخل فنجان ، عندما أصدر بعض المفكرين المصريين بيانا انهماكيا في مارس ١٩٧٢ مما سبق أن تحدثت عنه في فصل سابق .
وسط هذه العواصف كان السادات يقوم بدوره البطولي في اتجاهات ثلاثة ..

- خطة الدبلوماسية المكثفة بهدف الوصول الى تأييد عالمي للقضية العربية في مواجهة العدوان الاسرائيلي .
- خطة الوحدة العربية بهدف جمع شمل العرب دون البحث عن تفصيلات من أجل مواجهة اسرائيل .
- خطة اعداد القوات المسلحة المصرية لخوض معركة حتمية تحطم الصلف والغرور الاسرائيلي السذى بلغ مداه من التبجح .

وكان السادات لا يرفض رأيا أو مناقشة ، ولا يتعصب لشيء ، ولا يفقد أعصابه ، وهو الذى يجتاز أخطر أزمة في التاريخ المصرى الحديث ، ويتحمل أعظم مسئولية في مواجهة شعبه وشعوب الأمة العربية كلها ، وشعوب العالم بل انه حمل قدره على كتفه كما قال ، وحمل سيفه في يده كما قال بعض الكتاب الأجانب .

وقال أنور السادات ذات يوم في إحدى كلماته البارعة :
سنكون أشرف الشرفاء في محاربة عدونا .

وهذه الكلمة هي الدلالة التاريخية على أنه يشارك فرسان
مصر القدماء شرف الحرب والقتال ، ولكنه يعد للمعركة بعقلية
فارس جديد في عصر جديد .

وعندما وقع ضباط وجنود الاسرائيليين في أسر مصر ، لم
يفعل بهم السادات ما سبق أن فعلوه عام ١٩٦٧ عندما كان
المصريون في الأسر ، ولم تتغلب شهوة الانتقام على شرف
الشرفاء .

وكان كلما اقترب من السلام خطوة ، يزداد الاسرائيليون
صلفا وغرورا ، ويطلبون طلبات غريبة ، ويحاولون املاء شروط
اشد غرابه ، فهم تارة يطلبون حدودا آمنة غير معروفة على
الخرائط الجغرافية حتى اضطرت مصر ذات مرة الى تقديم
خريطتها الدولية وتارة يطلبون نزع السلاح في شبه جزيرة سيناء
وهي جزء من أرض مصر . وتارة يطلبون بوضع اليد على
(شرم الشيخ) عند خليج العقبة ، ولا يقبلون بالانسحاب من
الجولان أو الخروج من القدس ، وقد يتنازلون عن الضفة الغربية
للأردن بشروط أيضا .

وعندما عرض السادات الحل الجزئي بالانسحاب شرقا وبعيدا
عن قناة السويس كتمهيد للحل الكلى طبقا لقرار مجلس الأمن

رقم (٢٤٢) ، فهموا من مبادرته أنه يقبل التسليم وازدادوا صلحا وغرورا .

ثم قامت الحرب بين الهند وباكستان بينما كان الفارس المصرى يحمل قدره على كتفه ، ويحمل سيفه فى يده ، واتجهت أنظار العالم نحو شبه القارة الهندية ، وأرخت الفارس لجام فرسه ووقف ينظر نهاية هذا الصراع فى لعبة الأمم ، و انتهت اللعبة بالوفاق بين القوتين الأعظم أمريكا وروسيا والفارس لا يزال كما هو .. قدره على كتفه وسيفه فى يده .

وبدأ المجتهدون يفسرون سياسات العالم ، ويقول بعضهم ان الوفاق فى مصلحة العرب ، ويقول آخرون ان الوفاق ضد مصلحة العرب ، وعادت الى صدور الصفحات فى الجرائد حكاية التناطح مع أمريكا وعدم التناطح والخضوع لروسيا وعدم الخضوع ، فى صورة جديدة ، وألفاظ جديدة ، وأتركهم السادات يفسرون ويجتهدون ، ويجترون أفكارهم وكان يعلم أن المواطن المصرى يؤمن بشيء واحد بعد الله هو مصر . وهو يؤمن أيضا بأن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ليست ثورة فرد من الأفراد ولكنها ثورة مصر ، وأكرم أبنائها الذى يقول كما قال مصطفى كامل .

— لو لم أكن مصريا ، لوددت أن أكون مصرياً .

وكانت مصر التى يتحدث عنها دائما فيعجب ويضطرب . هى التى تملأ قلبه وجوانحه وكان هو الذى استرد لها اسمها بحركة

بإرعة بعد أن ظلت منذ عام ١٩٥٨ تحمل اسم (الجمهورية العربية المتحدة) حتى قال بعض الصحفيين الأجانب :

— نريد أن نسأل .. مع من هي متحدة ؟

ولكن المجتهدين من كتاب الصحافة المصرية والعربية لم يفسروا ظواهر التاريخ ، كما فسرهما السادات ، لأنهم مع ذكائهم وقدراتهم غاب عنهم منطق التاريخ المصرى . وقد قال هيروودوت منذ قديم الزمان .

— ان ما يحدث فى مصر لا يمكن أن يحدث فى بلد آخر .

وقد أشار السادات الى ذلك اشارات عابرة كثيرة ، لم يفهمها سوى طائفتين من الناس فى مصر ، أولاهما جماهير الشعب والثانية أولئك الذين طحنهم التاريخ المصرى طحنا حتى استوعبوا أسرارهم .

خلال فترة زمنية واحدة أشار السادات مرارا الى انتصار المصريين على جحافل التتار القادمين بخيولهم وأبقارهم وجيوشهم من أقصى المشرق ، وعلى جحافل الصليبيين الذين جندتهم أوروبا كلها بملوكها وأمرائها واقطاعاتها من أجل السيطرة على الشرق .

انتصر المصريون على المعسكرين الشرقى والغربى فى عصر واحد ، وفى فترة تاريخية واحدة ، حتى تشابكت حروب التتار والصليبيين معا ، ووضعت مصر ضدهما جميعا ، وانتصرت عليهما

وحررت الأرض التي يدور حولها الصراع في عصر السادات وهي
أرض فلسطين .

وعندما أرخى الفارس الحديد لجام فرسه ، وقدره على كتفه ،
وسيفه في يده ، ظنوا انه قد استرخى ، وقال بعضهم : هذه فترة
الاسترخاء ولكنه لم يغمض له جفن ، ولا نامت له عين .
قالوا له :

— سنبحت لك عن حل سلمى .

وقال لهم :

— الحل في يدي .. الحرب أو السلام .. اما أن أكون بلا حرب
ولا سلام فهذا لن يكون ..

وضحكوا في الأروقة ، وشربوا أنخاب السلام الموهوم بلا
قتال .. بقصاصات ورق وكلمات محفوظة ، وشعارات ترفع في
المناسبات .

وقال الفارس أين السبعة آلاف عام :

— أنا أريد الحرب من أجل السلام .. لأتني لا أجد السلام ..
أنا مطحون .. وبلدي مطحون .. وشعبي مطحون ..

كان لجام الفارس في يده ، وكان قدره على كتفه ، وكان سيفه
في يده الأخرى ..

و ذات يوم قال صحفى أجنبى فى مقالة من مقالاته :

— ان السادات هو الذى يملك زمام الموقف .

وعندما أراد اهتلاك زمام الموقف حدد موقفه من الحرب والسلام ، وأعلن نظريته التى تقول انه يريد السلام ، وانه اذا كان قد كتب علينا القتال ، فانا نحارب من أجل السلام .

ولم تفهم القوى الكبرى فى العالم نظرية السادات ، واعتقدت فى نفس الوقت انها تملك زمام الموقف ، وانه لا يستطيع أن يتحرك الا بإرادتها .

واذا استقرأنا التاريخ الحديث لمصر والبلاد العربية ، قبل أن يصل السادات الى السلطة ، فانا سنرى أن نظرية القوى الأعظم صحيحة مائة فى المائة ، فهذه القوى الأعظم تقدر موافقها على أساس دراسات سابقة تحلل حقائق الماضى ، وتبنى على أساسها تطلعات الحاضر والمستقبل .

وبناء على هذه الدراسات وافق الاتحاد السوفيتى بعد سياسة الوفاق مع أمريكا ، على تهجير اليهود السوفيت الى اسرائيل ، وفى نفس الوقت ظل يعلن سياسة تأييد القضية العربية وحقوق الشعب الفلسطينى ، وأعلن فى جميع خطب القادة السوفيت التأييد الكامل للقرار رقم (٢٤٢) الصادر عن مجلس الأمن فى عام ١٩٦٧ ، وكان رقم هذا القرار يشبه رقم سيارة

أوتوبيس عالمية تمضى نحو المجهول على خط اليأس والمعاناة
للشعب العربى .

وعندما جاءه القادة السوفييت بعد وفاة عبد الناصر ، كان
من أشد المجاملين لهم ، وقال انهم حملوا اليه الصينية فى العزاء
كما سبق أن ذكرته .. ثم وجد نفسه فى الركن — كما يقولون —
فلم يعارض سياسة الوفاق ورأى فيها خيرا يهم العالم ، ويؤدى
الى السلام ، ولم يلتفت الى المهاترات الصحفية حول سياسة
الوفاق لأن القائد لا يجوز له أن يلتفت الى المهاترات ، ولا يجوز
له أن يبحث عن يؤيده ويقف معه قبل أن يكون هو مع نفسه
ومع شعبه ولكن أين مصر وسط الصراعات والوفاقات ؟ وأين
الشعب العربى الذى طحنته هزيمة يونيو ١٩٦٧ ؟

كان الامريكيون يوردون لاسرائيل الأسلحة والمال والزاد
من الرغبة حتى طائرة القاتوم ، وكان الروس يوردون لاسرائيل
الطاقات البشرية متمثلة فى المهجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى .

وأبرم السادات معاهدة تحالف وصداقة مع الاتحاد
السوفيتى ، فرح بها السوفييت وغضب منها الأمريكان ، ولم يكن
يريد فرح الفرحين ولا غضب الغاضبين ، ولكنه كان يريد تحرير
الأرض العربية المغتصبة .

فى تلك الفترة لم يوجد أحد يفهم سياسة السادات الا قلة
قليلة واعية ، تدرك بالفهم والدراسة ان مصر تستطيع فى الوقت

المناسب ضرب أعظم قوة في الأرض . ولها في ذلك تاريخ قديم
تحدث عنه السادات عندما ذكر شعبه بحرب التتار والحروب
الصليبية كما أشرت الى ذلك أكثر من مرة لتأكيد الاتجاه الفكرى
للسادات .

ووقع الرئيس بين فكى الكماشة ، وهو في قمة السلطة ،
وقدره على كتفه وسيفه في يده . ومنذ اللحظة الأولى كان يحدث
الشعب المصرى ، ويؤمن بأن هذا الشعب قادر على الخروج من
بين فكى الكماشة ، لا عن طريق هروب القائد من الواقع ، أو
تهربه من المواجهة بالبيانات والخطب والشعارات ، ولكن عن طريق
وضع الشعب كله معه على قمة المسؤولية .

كان يؤمن بعد تجربة ذكرت لك بعض جوانبها أن المعركة
حتمية مع عدو مغرور شرس ، لا يفهم شيئا الا طلاقات الرصاص
وقصف المدافع .

لقد كتب بعض الكتاب الأجانب الممالئين لاسرائيل بأن
السادات ضربها وهى غافلة ، وهؤلاء الكتاب يعرفون حقيقة
اسرائيل ، ويعرفون أنها لا يمكن أن تكون غافلة ولكنهم لا يريدون
أن يقولوا ان السادات قد صحا لها ، وضربها وهى صاحية وهو
أيضا كان صاحيا .

ولو تذكر هؤلاء الكتاب والصحفيون الأجانب ما بذله
السادات من أجل السلام لراجعوا أنفسهم مراجعات كثيرة تردهم
الى الصواب .

وهناك كاتب أجنبي غضب غضبا شديدا ، وكتب مقالا ذكر فيه أنه ما كان يجوز للسادات أن يضرب اسرائيل في يوم (عيد الغفران) ، وكأنه كان يجب أن يختار يوم الهجوم بالاتفاق مع جنرالات اسرائيل ؟!

وعندما كانت الدعاية الصهيونية متحكمة في أذهان الصحفيين العالميين بالمال أو بالفكر ، كانوا يكتبون كلمات غريبة ، وصلت الى حد اتهام العرب أنفسهم بمعاداة السامية ، على طريقة ما كانوا يتبعونه ضد النازية ونسوا أن العرب ساميون ، بل هم أصل السامية ، وهم أعرق في السامية من اليهود ، وكان هذا الكاتب الذي حدثك عنه من هؤلاء المخدوعين أو المأجورين ، فقال ان السادات اتبع في يوم الغفران حين هاجم أعداءه فوق أرضه التي يحتلونها ، أسلوب هتلر !!

وكانت هذه الدعاية قد وصلت الى التريده في حرب ١٩٦٧ ، وقالت اسرائيل ان العرب يريدون أن يلقوا بها الى البحر ، واستغلوا نعمة الدعاية المصرية الخاطئة للتدليل على صدق نظريتهم ، كما استخدموا كل الوسائل الاعلامية في أرجاء العالم لتأكيد الفكرة التي زعموها ، وهي أنهم شعب مستضعف قليل العدد وسط شعب مفترس كثير العدد ويريد أن يفترسهم ، وبسبب خطأ الدعاية المصرية ، والديماغوجية ، والتصفيق والتهليل الخرافي ، استطاعت الدعاية الصهيونية أن تصل الى آذان وأبصار العالم بغير مشقة ، وأصبحت لندن وباريس

ونيو يورك أبواقا على الأرضفة لترديد النصر الاسرائيلى عام
١٩٦٧ بلا مناسبة .

أين كان أنور السادات فى تلك الأيام ؟.

انى لا أريد تحديد المكان ولكننى أحب تحديد الموقف
السياسى لرجل عاصر هذه الأحداث الجسام ، وهو أحد أعمدة
ثورة ٢٣ يوليو العظام .

أعتقد - ان لم أكن مخطئا - انه كان مستمرا فى مرحلة انصهار
الشخصية التى قدمتها فى فصل سابق من هذا الكتاب ، وأعتقد
- ان لم أكن مخطئا - انه عاصر الهزيمة مع انصهار شخصيته من
أجل الوصول الى النصر .

كان كل شىء فى مصر يمجّد كل شىء .. حتى الهزيمة ..
والأبواق عالية ، والشعب يرفض الهزيمة ، ويرفض الاستسلام،
ويرفض الهروب .

وخرج المحللون ليومى ٩ ، ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ بأفكار
تسند الارادة والمقاومة والرفض لشىء آخر غير الشعب المصرى .
ولكن الذى رفض باصرار كان هو الشعب المصرى الذى
لا يستسلم ، وكأنت القيمة الوحيدة لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢
هى ارادة هذا الشعب وتصميمه وعزمه ، وارادته منذ اللحظة
الأولى .

ولذلك أصبح تفسير الظاهرة التى حدثت يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ تفسيراً جماهيرياً ، يحمل معنى الرفض للهزيمة . ولا يحمل معنى الاستسلام للأحلام المستقبلية للزعماء أو القادة ، ولم يسقط الشعب المصرى قاداته كما توقع أعداؤه ، ولكنه احتفظ بهم لمعنى أكبر مما كان يظن الأعداء ، وهذا المعنى هو إعادة الكرامة التى فقدت عن طريق الذين أريد لهم أن يبددوا كرامتهم .

قال الشعب المصرى لقاداته : لا تتركوا مواقعكم ونحن معكم حتى يتم النصر . ولم يكن المفهوم هو أن يظل الشعب فى مواقعه مع الهزيمة . وكان هذا هو مكان أنور السادات كمواطن مصرى ، وليس كنائب لرئيس الجمهورية ، وكانت الأقدار قد خبأته وهو من كبار القادة ليصبح قائد معركة النصر ، وهازم الهزيمة .

لقد كان فكر السادات مرتبطاً دائماً بالمستقبل ، وعندما أثبتت أزمة الطلبة فى يناير سنة ١٩٧٣ ، وألقى خطابه أمام مجلس الشعب فى اليوم الحادى والثلاثين من هذا الشهر ، وضع ضوابط للمستقبل لخصها فيما يلى :

أولاً : انه لا توجد ، ولن توجد حقوق أو حريات مطلقة ، لأن الحق والحرية ممارسة ، والممارسة تجرى فى مجتمع ، ولا يمكن لإنسان أن يتمتع بحقه وبعريته إلا فى حدود احترام حقوق وحريات أخرى ، قد تكون حقوق وحريات للمجتمع ، كما قد تكون لأفراد . القانون فى النهاية هو موازنة بين حقوق وحريات متعارضة ، ثم

ترجيح أيها أجدد بالحماية ، ومن ثم فإن سيادة القانون هي الضمان الحقيقي لحرية الفرد ، كما أنها الضمان الحقيقي لحرية المجتمع .

ثانيا : ان حرية الفكر هي حركة داخل الانسان يتولد عنها الاعتقاد بفكرة معينة ، ومن هنا فهي من مكنونات ضمير الانسان التي لا يمكن أن تمتد اليها محاسبة مهما بلغ من شططها .

ولكن اذا أبرزت هذه الفكرة الى المسالم الخارجى وتجاوزت مرحلة الانتقال الى مرحلة اشراف الآخرين في هذه الفكرة أو العقيدة ، كان عليها أن تلتزم الصدق والموضوعية ومبادئ المجتمع وقيمه ، وأن تراعى كرامة الانسان ، فحرية التعبير ايا كانت وسيلة التعبير ليست مطلقة بل انها محددة بالقانون ، وهي ليست امتيازات لفرد او فئة ، بل هي حق يتساوى الجميع في التمتع به ، وهي جزء من حقوق الفرد العادى .

ثالثا : اننا قد اخترنا الطريق الثورى للتقدم كحتمية تاريخية وقد استلهمنا في طريقنا التجربة والخطا ، كما استلهمنا قيم مجتمعنا وحركة التاريخ بفكر مفتوح ولكن غير منحاز ، فاخترنا طريقنا الى الحرية الاجتماعية والسير في طريق التقدم ، وقد نظم الدستور هذه الممارسة من خلال مؤسسات الدولة ، وأى خروج على قواعد هذه الممارسة يفتح الباب للتحكم ويشوه التعبير عن الارادة الشعبية ، ومن ثم فإن احترام سيادة القانون هو الذى يكفل نفاذ كلمة الشعب المتمثلة

**فى القانون وسىادة القانون تفرض من الواجبات
والمسؤوليات بقدر ما تكفل من حقوق وحرىات .**

لقد أصبح هذا التحديد الواضح لصورة المستقبل ومتطلبات
العمل الوطنى فى مصر ، الدستور الدائم لحرب (٦ أكتوبر ١٩٧٣)
الذى وقعت بعد القاء هذا البيان بثمانىة أشهر .

وفد كتب السادات (ضوابط المستقبل) و (متطلبات
العمل الوطنى) فى اىجاز شديد ودقة بالغة . وكان يجتاز بها
مرحلة الفوران التى حدثت داخل المجتمع المصرى عقب توليه
الرىاسة الى مرحلة التصميم على خوض المعركة المصيرية .. معركة
الحرب من أجل السلام ..

وكانت الضوابط المستقبلية التى حددها السادات هى :
سىادة القانون وحرىة الفكر وتأصيل الاشتراكية المصرية
والديمقراطية ، وقد حدد المصالح المشتركة التى يجب أن يدافع
عنها الشعب داخل هذا الاطار على أن يكون تحرير الأرض
والانتماء المصيرى الى الأمة العربية هما جوهر هذه المصالح
المشركة بغير خلاف .

وجعل متطلبات العمل الوطنى داخل هذا الاطار الفكرى
المحدد الواضح لأسباب واضحة ، حددها فى هذا الخطاب
كما يلى :

أولا : ليكن واضحا أمام الجميع أن مصلحة الوطن في هذه المرحلة المصيرية تفرض علينا شعبا وحكومة أن نلتزم بمتطلبات العمل الوطنى فى كل المجالات ، وفى كل موقع . ان قواتنا المسلحة تقف صامدة مترقبة لحظة التحرير قلنرتق جميعا معها الى مستوى المسئولية : ولذا فانى أعلن هنا أمامكم اننا لن نسمح بعد الآن لأى فئة مهما كانت أن تفرض وصايتها على الشعب أو تتلاعب بمقدراته .

ثانيا : ان الوحدة الوطنية والممارسة الديموقراطية وسيادة القانون هى الدعائم الأساسية التى تشكل فى مجموعها الضمانات الأكيدة لحماية نضالنا الوطنى بما يحقق فى النهاية مصلحة الشعب أولا وأخيرا وبنفس المفهوم فان أى خروج أو شطط عن هذا الطريق سيقابل بالحزم اللازم .

ثالثا : اننا مطالبون الآن بحكم الأمانة والمسئولية التاريخية ان نلتزم بقيمنا وتقاليدينا وأهدافنا القومية ولن نسمح بأى تخريب أو تقويض للجبهة الداخلية فى هذه الظروف المصيرية التى سيتوقف عليها مصير الأمة كلها لأجيال قادمة :

١ — الارتقاء الى مستوى المسئولية التى تلتزم بها القوات المسلحة المصرية ، وبمعنى آخر وضع الشعب والجيش معا فى مسئولية واحدة مصيرية .

٢ — حماية النضال الوطنى عن طريق المحافظة على الوحد
الوطنية والممارسة الديمقراطية وسيادة القانون .

٣ — الالتزام الكامل بالقيم والتقاليد والأهداف القومية ، م
أجل تدعيم الجبهة الداخلية فى الظروف المصيرية التى ته
بها مصر والأمة العربية .

وكان هذا التحديد الواضح الذى قدمه السادات فى يناير
سنة ١٩٧٣ لمجلس الشعب ، أساسا للحركة التى انطلقت فـ
اتجاهاتها الثلاثة التى حددها السادات من أجل الوصول إلى
السلام وهى :

١ — الدبلوماسية المكثفة .

٢ — الوحدة العربية .

٣ — اعداد القوات المسلحة اعدادا كاملا لمعركة المصير .

وكانت الحركة التى قادها السادات قد بدأت فى ايقاظ العالم
ليفهم حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى ، وبدأت رحلات المسئولين
المصريين تجوب آفاق الأرض لنشر الحقيقة التى حاول (جاز
بول سارتر) ذات يوم توضيحها ، فأصدر عددا خاصا من مجلتنا
(الأزمنة الحديثة) فى عام ١٩٦٨ ، تحت عنوان النزاع العربى
الاسرائيلى ، وجعل نصف الصفحات لوجهة النظر الاسرائيلية
والنصف الآخر لوجهة النظر العربية — ورغم ذلك فإن القارىء

الفرنسى لم يفهم وجهتى النظر المتعارضتين ، وظل تحت تأثير الدعاية الصهيونية التى تغلغت حتى وصلت الى قاعات جامعة باريس حيث كانت تعقد الندوات لشرح الفكر الصهيونى .

وظلت أوروبا الغربية - بل وأوروبا الشرقية أيضا - واقعة تحت تأثير الدعاية الصهيونية العالمية بسبب النكبات والمظالم التى وقعت لليهود منذ العصور الوسطى حتى ظهور هتلر على مسرح الأحداث ، واستغلت الصهيونية العالمية المذابح القديمة والحديثة التى تعرض لها اليهود فى أوروبا ضد العرب ، ولم يفهم المواطن الأوروبى العادى أن اليهود الذين طردوا من أسبانيا فى عهد محاكم التفتيش هربوا الى مصر ، وعلى رأسهم (موسى ابن ميمون) الذى جعله صلاح الدين الأيوبنى وخلصه طيبيا خاصا للسلطان ورئيسا للطائفة اليهودية فى القسطة . التى كانت قد أصبحت أحد أجزاء القاهرة ولم يفهموا أيضا أن كثيرين من اليهود الذين فروا من وجه النازى لجأوا الى القاهرة وكان منهم أطباء مشهورون مثل (الدكتور ماكس مايرهوف) طبيب العيون الشهير والدكتور (ادولف أنجر) طبيب الأمراض الجلدية ، وكان منهم أساتذة فى جامعة القاهرة مثل (الدكتور باول كراوس) المستشرق المعروف ، ومن قبله (الدكتور اسراييل ولفسون) الذى منحه (الدكتور طه حسين) درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ، وتسمى باسم عربى هو (أبو ذؤيب) ثم أصبح أستاذا

في الجامعة العبرية بالقدس ، ولا زالت مكتبة هذه الجامعة تحمل اسمه حتى اليوم .

غابت كل هذه الحقائق عن المثقفين الأوربيين ، ولم يعرفها رجل الشارع الأوربي بالطبع ، عندما ذهب المصريون يشرحون حقيقة النزاع الذي خلقته الصهيونية العالمية منذ دعا هرتزل الى اقامة الدولة اليهودية في فلسطين حتى قامت هذه الدولة ومارست الحروب الأربع منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ .

وأراد السادات أن يحرر جيلا صنعته الدعايات الصهيونية ، وساعدت في ترسيخه دعايات عربية هوجاء ، وكان يسلك في ذلك منطق الاقناع الذي وجهه الى أعلى المستويات عن طريق الدبلوماسية العالمية من ناحية ، وعن طريق ايجاد النعمة الصحيحة للاعلام المصري الذي يفتح الباب أمام الاعلام العربي .

ونحن لا نعلم شيئا عن النصائح التي كان يقدمها السادات لرجال الذين بعثهم الى أقطار الأرض لشرح قضية النزاع العربي الاسرائيلي ، ولكن النتائج تطلعنا على قيمة هذه النصائح التي قالها رجل محنك قادر على استيعاب كل الأفكار والاتجاهات السياسية في عالم تسوده الصراعات الأيديولوجية ، ويصل أحيانا الى حافة الحرب بسبب الخلافات بين المذاهب السياسية وصراعاتها .

ولم يكن من المهم في هذه الفترة الحاسمة اختيار الدعاة ، بل كان الأهم هو اختيار ما بقوله الدعاة عن اقتناع واقناع ، ولأول

مرة منذ مئات السنين ظهر في مصر حاكم حكيم صاحب نظرة شاملة . وقد قال الشيخ محمد عبده ان السياسيين كانوا يصرفون جهودهم في الجزئيات التافهة ، ويتركون الكليات التي تحدد مصائر الشعوب .

ان عدونا كما حدده السادات هو اسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار العالمي ولا بد من مواجهة هذا الثالوث بالنظرة الشاملة التي تبعد عن الجزئيات ، بل وتطردها من مجال البحث والمناقشة ، فنحن لا نعادي اليهود ولا اليهودية ، ونحن لا نريد الحاق أضرار أو انتقامات ، ولكننا نريد اقامة السلام المبني على العدل .

وخلال السنوات الثلاث الحاسمة في تاريخ مصر والعرب وتاريخ العالم ، لم يقل السادات كلمة جارحة ضد حكام اسرائيل ؛ بل كان يتحدث من منطق احترام رئيس الدولة لرئيس الدولة ، وهو مفهوم مصرى عريق وعميق ، لأن الاحترام يعود دائما الى صاحبه قبل أن يعود الى عدوه .

وعندما تحدث السادات بهذه النغمة ، عادت النغمة الصحيحة الى الاعلام المصرى ، وانعكست على الاعلام العربى كله ؛ وأصبحت المناقشة على مستوى الاحترام ولم تصبح قضية جدلية أو فكرية مثل تلك التي أرادها (جان بول سارتر) عندما أصدر عددا خاصا من مجلته (الأزمنة الحديثة) عن النزاع العربى الاسرائيلى .

لقد استطاع السادات أحداث تحول فكرى خطير فى مفهوم
النزاع العربى الاسرائيلى ونقل القضية من حيز المخطط التوسعى
كل عشر سنوات ، ومن حيز المناقشات الفلسفية أو الأيديولوجية
أو السوفسطائية حول الشعب المظلوم والشعب الظالم ، الى نقطة
أخرى هى حيز الواقع التاريخى فى الوجود والبقاء أو الاندثار
والفناء ، وهى نظرية الحرب والسلام أو الحرب من أجل السلام
لمنع الاندثار والفناء .

ولقد تعرض اليهود خلال حياتهم لحروب الابداء ، ووقع
شعبهم فى الأسر مرات عديدة . وأصبحت عندهم عقدة الوقوع فى
الأسر مرة أخرى بعد أن تجسعوا فوق أرض فلسطين فى هذا العصر ،
وسيطرت عليهم هذه الأفكار حتى اخترعوا لها فكرة الصقور
المحاربة والحصائم المسالمة ، وأصبح صراعهم الداخلى بين الصقور
والحصائم ، وبنوا حياتهم على أساس الحرب وأصبح أطفالهم جنودا
يسمونهم (الصابرا) تشبيها لهم بشجرة التين الشوكى التى تحمل
عصير السكر الى ثمارها ، وتحمل فى نفس الوقت أشواك الشار
التي توجد فى قلبها فاكهة مليئة ببذور الحقد ، ولم يستطع المصريون
اقتلاع هذه الشجرة من قلب الصهيونيين ، ولا من تربة الأرض
المصرية ، رغم احتقارهم لشارها التى لا تفيد ، وثبتت فوق الأرض
كنبات شيطانى لا يحبه المصريون ، ولكنهم يأكلونه فى موسمه
عندما يظهر على العربات فى القاهرة ، وقد حاولوا تطويره لخراج
بذور الشر من قلبه حتى لا تصيبهم بالأمراض والعلل .

ولكن المصريين لم يتعرضوا لحروب الابداء ، بل تعرضوا لاستعمار بلادهم ، وكانت لهم أفكار محددة فى مواجهة الاستعمار تقول ان مصر هى مقبرة الغزاة .

وأخيرا تعرضوا للغزو الصهيونى ، وهو غزو من شعب تعرض للابداء وليس فى استطاعته أن يجعل مكان اقامته مقبرة للغزاة .

هذه هى خلاصة التاريخ التى انطلق منها السادات ليفسر للعالم حقيقة القضية التى لم يستطع أحد شرحها للرأى العام العالمى ، وعلى أعلى المستويات العالمية ولم تكن مشكلة السادات هى مواجهة العالم ، ولكنها كانت مشكلة كيف يواجه العالم ؟ ولم تكن هناك صعوبة أمامه فى المواجهة ، ولكن الصعوبة كانت فى الاقتناع ، وقبلها صعوبة الاقتناع .

قبل شهر من مرحلة الانطلاق نحو الاقتناع والاقتناع ، كان أحد الذين بعثهم السادات وهو مسئول مصرى كبير يعتقد أن اسرائيل تمهد لعدوان جديد فى عام ١٩٧٧ ، لتنفيذ المخطط الصهيونى العالمى كل عشر سنوات ، وكانت حركاته السياسية فى الأمم المتحدة ، وفى اتصالاته تؤكد أنه قد وقع بفكره بين شقى الخشبة التى ينشرها قرد ، ثم سقط المنشار من بين يدى القرد ، وأصبح ذنبه بين شقى الخشبة فصرخ واستغاث . لقد قدم السادات كثيرين من الانهزاميين لتقديم (ورقة العمل) الى العدو وعندما أرخى لجام فرسه ، ليرخى العدو لجام الفرسان المتطلعين الى الغزوة

الجديدة في عام ١٩٧٧ ، ولكنه كان يحمل قدره على كتفه وسيفه في يده ، ولجام الفرس في يده الأخرى .

قال للدنيا أنه يريد أن يعيش في السلام ، وحقق ذلك في حياته الخاصة . حتى قيل أنه أكثر رجال العالم أُناقة في زيه وسمته وطريقة حياته .

الرجل الذي يحب الحياة لا يحب الحرب .. ثم استكانت إسرائيل للقائد الذي يحب الحياة أكثر من حب الحرب ، ولم يعلموا أنه ورث تقاليد القادة العظام من حكام مصر الذين كانوا يرتدون خرقة الصوفية تحت ثياب السلطان .

كان آخرهم (طومان باي) سلطان مصر الذي حارب استعمار العثمانيين وحارب السلطان (سليم بن عفان) ثم سقط بسبب الخيانة وعندما أرادوا شنقه على باب زويله ، وجدوا تحت ثياب السلطان المصري ، خرقة الصوفية ، وهي ثوب من الصوف على جلد سلطان مصر . فبكى سلطان آل عثمان ، وقال انه لو علم ذلك قبل أن يشنق عدوه ، لمنحه الحياة ، التي لم يكن (طومان باي) يقبلها على يد عدوه .

وماذا كان يرتدى السادات تحت ثيابه وهو يواجه عدوه ؟

هل كان يرتدى على جلده الخرقة الصوفية ليصل الى الله بجسد سليم ووجه كريم ؟

كان القدر قد رسم له الطريق ، ليرتدى أجمل ثوب في مواجهة العدو .. ثوب القائد العام للقوات المسلحة المصرية .. ثوب سلطان

مصر العظيمة الجليلة ، وله بعد ذلك قدره وسيفه ، ولو لم يفعل ذلك لأصبح خارجا على عظمة مصر وقدره مصر .

كل ثوب فوق جسده هو ثوب مصر ..

كل شارة على كتفيه من ذهب وجوهر هي شارة مصر التي نثرت تحت أقدامها الجواهر ، وثر الذهب ..

يا أحمس . يامحرر الأرض والعرض والفكر .. لك من آمون رع الذهب والجوهر ولن تأخذه سكا حتى تعود الى الحياة الأخرى ولكنك ستتركه لمصر التي علتك وأفهمتك وحررتك وجعلتك فارسها الذي يمنح المجد للآخرين حبا في السلام والعدل .

وقد عبر السادات عن روح مصر فيما فكر ودبر ، وخرج رجاله من القاهرة ، للحديث عن مصر ، كما كان الرجال يخرجون في العصور القديمة للبحث عن الذهب والبخور ، ويعودون الى مصر ظافرين ، ثم انقلبت موازين العالم ، وفهم رؤساء الدول حقيقة الخدعة الاسرائيلية التي وضعت أمامهم ، وأصبحت فرنسا التي كانت أحد أطراف العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ترفض بيع طائرات الميراج الفرنسية الى اسرائيل ، وراجعت بريطانيا حساباتها القديمة ، ورفضت سياسة الانحياز الى اسرائيل ، ووقفت موقف الحياد في الصراع العربي الاسرائيلي .

ونجح السادات في سياسة تحييد أوروبا الغربية بالاقناع والاقتناع ، وترك أوروبا الشرقية ترسل المهجرين اليهود السوفيت

عبر حدود النمسا ، وثارَت المشكلة في السياسة العالمية بشكل لم يسبق له مثيل . حتى جنح المستشار النمساوي وهو يهودي — من هذه الحالة الغريبة ، ولم يحاول السادات ان يتدخل في شئون خاصة لدول أخرى ، مع أن هذا العمل في ذاته كان يشكل تحديا خطيرا لمقومات الشعب العربي الذي يقاوم اسرائيل ، ويرفض تهجير اليهود الى اسرائيل منذ البداية .

لقد استطاع ايقاظ ضمير العالم ضد الحركة الصهيونية ، ولو كانت قادمة من موسكو الى فيينا ، بل أنه استطاع ايقاظ الضمير اليهودي ضد الحركة الصهيونية التي تعمل ضد مصالح اليهود في أوروبا ، وكان رسله ومبعوثوه يتحدثون بأفكاره التي لقنها لهم ، وعلمهم تفاصيلها واستطاع أن يحررهم من الهزيمة وأفكارها السابقة واللاحقة ، حتى كون الاوركسترا الذي عزف نشيد النصر قبل ساعات النصر ، وقبل أن توجد ساحات النصر .

وعندما بدأت أوروبا تستيقظ وتذكر حقيقة اللعبة الصهيونية ، وتحدد موقفها طبقا لمصالحها ، لم تكن المصالح وحدها هي الحكم في موضوع النزاع العربي الاسرائيلي . رغم ان هذه المصالح لهم القدر الأكبر في تحديد السياسات ، فكان الاقتناع بزيغ الدعاية الصهيونية وعدالة المطالب العربية ، له دور مواز مع دور المصالح الخاصة . فبدأت أممهم الدعاية الصهيونية في الهبوط يوما بعد يوم داخل مراكز الحكم التي تنظر الى مصالح شعوبها ، ولكن

هذه الاسهم ظلت متداولة في مراكز الاعلام الدولي حتى بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، واستمر المخطط الدعائي الصهيوني قائما في انحاء العالم بطريقته التي رسمت له من قبل .

ولكن موجات التغيير في السياسة الأوروبية كانت قد ارتفعت فوق مخططات الدعاية الصهيونية ، واتخذت اوربا الغربية سياسة مخالفة للسياسة الامريكية التي كانت موالية دائما وبغير تحفظ لاسرائيل ، ونجح السادات عن طريق الدبلوماسية المكثفة في اقناع المسؤولين الغربيين بانسحاب اسرائيل ، وكانت مهمة (جونار يارنج) ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة في الشرق الاوسط قد وصلت الى طريق مسدود ، واعلن السفير يارنج مرات عديدة ان اسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الأمن ، كما أن مبادرات (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا السابق ذهبت أدراج الرياح ، ولم تقبلها اسرائيل ، لأنها وجدت أن موقف الاسلام واللاحرب في مصلحتها، ولم تلتفت اطلاقا الى السلام .

وفي أواخر مايو ١٩٧٣ عقد في اديس ابابا مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية في مناسبة مرور عشر سنوات على قيام المنظمة ، واجتمع أكثر من ثلاثين رئيس دولة في هذا المؤتمر الكبير الذي كان يضم بين أعضائه ٤١ دولة أفريقية .

وكانت القرارات التي اتخذتها مؤتمرات القمة الأفريقية طوال الأعوام من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٣ بشأن النزاع العربي الاسرائيلي ..

وكل هذه القرارات تؤيد مصر ضد العدوان الإسرائيلي ، وتدعو الى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وتؤيد مهمة السفير يارنج في تسوية النزاع سلميا .

وهنا نقول انه لم يسبق لمنظمة الوحدة الافريقية أن اهتمت بمشاكل خارجية عن المنازعات التقليدية مع الاستعمار ، تلك المشاكل التي عاصرت المنظمة منذ قيامها في ١٩٦٣ ولهذا تبرز أهمية القرارات الأفريقية باعتبارها دليلا قاطعا على اهتمام أفريقيا بالنزاع العربي الإسرائيلي .

كما أن عدد الدول الافريقية التي تقوم علاقات دبلوماسية أو قنصلية بينها وبين اسرائيل بلغ ٣١ دولة . تناقص عندما عقد المؤتمر الى ٢٤ نتيجة للنشاط الملحوظ للدبلوماسية العربية في افريقيا ولوضوح الحق العربي للعين الأفريقية بعد فشل مهمة لجنة حكماء افريقيا المكونة من سنجور وموبوتو ، ويعقوب جوار و أهيدجوا . وقد أكدت مصر لشقيقاتها الأفريقيات أن دبلوماسيتها بالنسبة لقضية الشرق الأوسط تقوم على :

- ١ — قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل بنوده ..
- ٢ — معاونة جوناو يارنج على تنفيذ القرار . .
- ٣ — ضرورة حصول يارنج على رد ايجابي من اسرائيل عن مذكرته المؤرخة ٨ فبراير ١٩٧١ تتعهد فيه بالانسحاب الى ما وراء خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ ..

٤ — قبول أى جهود أفريقية أو دولية تعمل على تنفيذ قرار مجلس الأمن .

وكان هناك احساس عام لا يخفى على أى عين فى أديس ابابا بأن الدبلوماسية المصرية نجحت فى ربط المشكلة الفلسطينية بالمسألة الاستعمارية فى افريقيا عن طريق اظهار التماثل بين معاملة اسرائيل للسكان العرب فى الأراضى المحتلة ومعاملة البرتغاليين والبيض فى روديسيا وزامبيا وجنوب افريقيا للسواطين السود داخل أوطانهم الأصلية .

وقد حضر الرئيس هذا المؤتمر الافريقى الكبير ، وأتم فيه دعوته الى الدول الافريقية لتأييد الحق العربى ضد اسرائيل لتي كانت قد تسلمت الى افريقيا لتمثل فى دولها دور العيل للاستعمار الجديد ، وقد اكتشفت أوغندة هذه الحقيقة وطردت الاسرائيليين من أرضها ، وقطعت علاقاتها مع اسرائيل ، ونأكدت فكرة الرئيس أثناء حرب أكتوبر فانهالت قرارات الدول الأفريقية اتي قطعت علاقاتها مع اسرائيل بشكل هز السياسة الدولية ، وكان قد حدث اقناع بعض الدول الأوربية عن السماح لأمريكا بنقل الأسنحة الى اسرائيل عبر أجواء أو مياه هذه الدول ، كما بدلت اليابان وهى الدولة الآسيوية الكبيرة سياستها التى كانت موالية لاسرائيل .

استطاع السادات أن يجعل العالم كله في جانب وأمريكا في جانب آخر . وفي نفس الوقت ظل يعمل على تنفيذ خطته العربية المكثفة فقام في أواخر أغسطس ١٩٧٣ بزيارة لبعض العواصم العربية واستغرقت رحلته خمسة أيام قضائها في عمل سياسى مكثف ، وكانت تلك المباحثات قد سبقت حرب العاشر من رمضان ببضعة أسابيع ، وتركزت حول معركة المصير العربى والمواجهة الشاملة مع إسرائيل .

وعندما اكتمل النجاح السياسى الباهر ، كان الرئيس قد وصل في نفس الوقت الى النجاح العسكرى الباهر في يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد سبق ان حدد الرئيس موقفه السياسى عندما قال انه سيستخدم الدبلوماسية المكثفة قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة .

وفي يوم السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ تحدث السادات أمام مجلس الشعب وروى قصة الحرب والسلام التى كان هو بطلها ، وكان هو الذى كتبها بعد أن جعلها حقيقة .. وهذه هى القصة أو الملحة التى كتب السادات سطورها على صفحة التاريخ المصرى الحديث .

بسم الله . . .

أيها الأخوة والأخوات . .

كان بودى أن أجيء إليكم قبل الآن ، التقى بكم
وبجماهير شعبنا وأمتنا ، لكن مشاغلي كانت كما
تعلمون وكما تريدون ، واثق أنكم تقدرون وتعذرون ،
ومهما يكن فلقد كنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا معى فى
كل رأى وكنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا معى فى كل
قرار ، كنتم جميعا معى ، فيما أخذته على مسئوليتى
تعبير! عن ارادة أمة ، وتعبيرا عن مصر شعب ، ثم وجدت
مناسبا أن أجيء إليكم اليوم أتحدث معكم ومع جماهير
شعبنا ومع شعوب أمتنا العربية وأمام عالم يومه مايجرى
على أرضنا لأنه وثيق الصلة بأخطر قضايا الانسانية ،
وهى قضية الحرب والسلام ذلك لأننا لا نعتبر نضالنا
الوطنى والقومى ظاهرة محلية أو اقليمية لأن المنطقة
التي نعيش فيها بدورها الاستراتيجية والحضارى فى
القلب من العالم وفى الصميم من حركته ، ولأن الحوادث
كبيرة ولأن التطورات متلاحقة ولأن القرارات مصيرية
فأنى أريد أن أدخل مباشرة فيما أريد أن أتحدث فيه
معكم وسوف أركز على نقطتين : الحرب والسلام .
أولا - الحرب :

لست أظنكم تتوقعون منى أن أقف أمامكم لى
نتفاخر معا ونتباهى بها حققناه فى احد عشر يوما من

أهم وأخطر ، بل أعظم وأمجد أيام تاريخنا ، وربما جاء
يوم نجلس فيه معا لا لكى نتفاخر ونتباهى ، ولكن لكى
نتذكر وندرس ونعلم أولادنا وأحفادنا جيلا بعد جيل ،
قصة الكفاح ومشاقه ، ومرارة الهزيمة وآلامها ، وحلاوة
النصر وآماله .

نعم سوف يجرى يوم نجلس فيه لنقص ونروى ماذا
فعل كل منا فى موقعه . . وكيف حمل كل منا أمانته
وأدى دوره ، كيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه
الأمة فى فترة حالكة ساد فيها الظلام ، ليحملوا مشاعل
النور وليضيئوا الطريق حتى تستطيع أمتهم أن تعبر
الجسر ما بين اليأس والرجاء .

ذلك كله سوف يجرىء وقته وأظنكم توافقوننى على
أن لدينا اليوم من المشاغل والمهام ما يستحق أن نكرس
له كل وقتنا وجهدنا ، وإذا جاز لى أن أتوقف قليلا
وأنا أعلم أن بكم شوقا الى سماع الكثير فأنى أقول
ما يلى :

حاولت أن أفى بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه .

أولا :

فيما يتعلق بنفسى فقد حاولت أن أفى بما عاهدت
الله وعاهدتكم عليه ، حاولت أن أفى بما عاهدت الله وعاهدتكم
عليه قبل ثلاث سنوات بالضبط من هذا اليوم ، عاهدت
الله وعاهدتكم على أن قضية تحرير التراب الوطنى
والقومى ، هي التكليف الأول الذى حملته ولاء لشعبنا
والأمة ، عاهدت الله وعاهدتكم على أنى لن أدرج جهدا ،
ولن أتردد دون توضحية مهما كلفتنى فى سبيل أن تصل
الأمة الى وضع تكون فيه قادرة على دفع ارادتها الى

مستوى أمانها ، ذلك أن اعتقادنا دائما كان ولا يزال
أن التمني بلا إرادة نوع من أحلام اليقظة ، يرفض حبي
وولائي لهذا الوطن أن نقع في سراه أو في ضبابه ، عاهدت
الله وعاهدتكم على أن نثبت للعالم أن نكسة ١٩٦٧ كانت
استثناء في تاريخنا وليست قاعدة وقد كنت في هذا
أصدر عن إيمان بالتاريخ يستوعب ٧٠٠٠ سنة من
الحضارة ويستشرف آفاقا أعلم علم اليقين نضال
شعبنا وأمتنا ليعلو عنها وللوصول إليها وتأكيد قيمتها
وأعلامها العظمى ، عاهدت الله وعاهدتكم على أن جيلنا
لن يسلم أعلامه إلى جيل سوف يجرى بعده منكسة
أو ذليلة ، وإنما سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها
عزيزة صواريخها ، وقد تكون مخصبة بالدماء ، ولكننا
ظلنا نحفظ برعوسنا عالية في السماء وقت أن كانت
جباهنا تنزف الدم والآلم والمرارة .

ذلك قدرى وقد حملته على كفى

عاهدت الله وعاهدتكم على أن لا أتأخر عن لحظة
أجدها ملائمة ، ولا أتقدم عنها ، لا أغامر ، ولا أتلكأ ،
وكانت الحسابات مضمية والمسئولية فادحة ، تكنى
أدركت كما قلت لكم والأمة مرارا وتكرارا أن ذلك قدرى
وانى حملته على كفى ، عاهدت الله وعاهدتكم وحاولت
مخلصا أن أفي بالوعد ملتصا عون الله وطالبا ثقتكم وثقة
الأمة وانى لأحمد الله .

ثانيا :
:

لقد كان كل شيء منوطا بإرادة هذه الأمة ، حجم
هذه الإرادة وعمق هذه الإرادة وما كنا لنستطيع شيئا
وما كان أحد ليستطيع شيئا لو لم يكن هذا الشعب ،

ولم تكن هذه الأمة لقد كان الليل طويلا وثقيلا وا
الأمة لم تفقد ايمانها أبدا بطلوع الفجر ، وانى لأق
بغير ادعاء ان التاريخ سوف يسجل لهذه الأمة أن نكس
لم تكن سقوطا وانما كانت كبوة عارضة وأن حركتكم
لهم تكن فورانا وانما كانت ارتفاعا شاهقا — لقد أع
شعبنا جهدا غير محدود وقدم شعبنا تضحيات غ
محدودة ، وأظهر شعبنا وعيا غير محدود ، وأهم من ذ
كله ، أنهم من الجهد والتضحيات والوعى ، فان الش
احتفظ بإيمانه غير محدود ، وكان ذلك هو الخط الفاص
بين النكسة وبين الهزيمة ولقد كنت أحس بذلك ،
أول يوم تحدثت فيه مسئوليتى وقبلت راضيا بما ث
الله ان يضعه على كاهلى ، كنت أعرف أن ايمان الشعب
هو القاعدة ، واذا كانت القاعدة سليمة فان كل ما ض
يمكن تعويضه ، وكل ما تراجعنا عنه نستطيع الانطلا
اليه مرة أخرى .

وبرغم ظواهر عديدة ، بعضها طبيعى وبعضه
مصطنع من تأثير حرب نفسية وجهت إلينا فقد
سؤالى لنفسي ولغيرى فى كل يوم يمر هل القاء
سليمة ؟

وكنت واثقا انه ليس فى قدرة أية حرب نفس
مهما كانت ضراوتها أن تمس صلابة هذه القاعدة .

وما دامت القاعدة بخير فان كل شيء بخير ، و
ذلك لن يكون الا زوبعة فى فئجان كما يتولون .

لست أنكر أننا واجهنا مصاعب جمة ، مصاع
حقيقية : مصاعب فى الخدمات ، مصاعب فى التمهوين
مصاعب فى الانتاج ، مصاعب فى العمل السياسى أيضا

وكنـت أعرف الحقيقة ولكنني لم أكن في موقف يسمح لي بشرحها ، كنت أعرف أننا نحاول أن نجعل الحياة مقبولة للناس ، وفي نفس الوقت فإن علينا أن نحـتاط لما هو منتظر ، وكنـت واثقا أنه سوف يـجىء يوم تظهر فيه الحقيقة لـفـرى كما كانت ظاهرة لي . وحين تظهر الحقيقة فإن الناس سوف يعرفون وسوف يقـدرون . وأحمد الله .

ثالثا :

ولقد كانت هناك إشارة واضحة الى وجود تمزق في ضمير الأمة العربية كلها ، وكنـت أرى ذلك طبيعيا لأسباب اجتماعية وفكرية زادت عليها مرارة النكسة ، كان هناك من يسألونني ويسألون أنفسهم ، هل تستطيع الأمة أن تواجه امتحانها الرهيب وهي على هذه الحالة من التمزق في ضميرها ؟

الأمة لا تستطيع أن تكشف نفسها أو جوهرها

الا خلال ممارسة الصراع

وكنـت أقول أن هذا التمزق فضلا عن أسبابه الطبيعية يعكس تناقضا بين الواقع والأمل وليس في ذلك ما يخيف بل كنت أعتقد أنه ليس هناك شفاء لضمير الأمة ولا راحة له الا عندما تواجه الأمة لحظة التحدي ولم أكن في بعض الأوقات على استعداد للدخول في مناقشات عقيمة ، هل نعالج التمزق قبل مواجهة التحدي ، أو نقبل التحدي رغم وجود اشارات الى التمزق ؟ .. وكان رأيي أن الأمم لا تستطيع أن تكشف نفسها أو جوهرها الا من خلال ممارسة الصراع وبمقدار

ما يكون التحدي كبيرا بمقدار ما تكون يقظة الأمة
واكتشافها لقدراتها كبيرة لست أنكر وجود خلافات
اجتماعية وفكرية فذلك مسار حركة التاريخ ، ولكنني
في نفس الوقت كنت أعرف أن الأمم العظيمة عندما
تواجه تحدياتها الكبرى ، فإنها قادرة على أن تحدد
لنفسها أولوياتها بوضوح لا يقبل الشك . كنت مؤمنا
بسلامة وصلابة دعوة القومية العربية ، وكنت مدركا
للتفاعلات المختلفة التي تحرك مسيرة أمة واحدة .

وحدة العمل سوف تفرض نفسها على كل القوى

ولكنني كنت واثقا أن وحدة العمل سوف تفرض
نفسها على كل القوى وعلى كل الأطراف وعلى كل
التيارات لأننا جميعا سوف نعي أن هذا الظرف ليس
مباراة بين الاجتهادات وإنما هو الصراع بين الفناء
والبقاء لأمة بأسرها .

وأحمد الله .

رابعا :

كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة

لأنني خرجت من صفوفها

ولقد كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة ، ولم يكن
حديثي عنها رجما بالفيب ولا تكهنا ، لقد خرجت من
صفوف هذه القوات المسلحة وعشت بنفسى تقاليدها ،
وتشرفت بالخدمة في صفوفها وتحت ألويتها ، إن سجل
هذه القوات كان باهرا ولكن أعدائنا : الاستعمار القديم
والجديد والصهيونية العالمية ، ركزت ضد هذا السجل
تركيزا مخيفا لأنها أرادت أن تشكك الأمة في درعها

وفي سيفها ، ولم يكن يخامرني شك في أن هذه القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة سنة ٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها .

كان في استطاعة هذه القوات سنة ٦٧ أن تحارب بنفس البسالة والصلابة التي تحارب بها اليوم ، لو أن قيادتها العسكرية في ذلك الوقت لم تفقد أعصابها بعد ضربة الطيران التي حذر منها عبد الناصر ، أو لو أن تلك القيادة لم تصدر بعد ذلك قرارا بالانسحاب العام من سيناء بدون علم عبد الناصر أيضا .

ان قواتنا لم تعط الفرصة لتقاتل عام ٦٧
ان هذه القوات لم تعط الفرصة لتحارب دفاعا عن الوطن وعن شرفه وعن ترابه . لم يهزمها عدوها ولكن أرهقتها الظروف التي لم تعطها الفرصة لتقاتل .

ان القوات المسلحة المصرية

قامت بمعجزة على أعلى مقياس عسكري

ولقد شاركت مع جمال عبد الناصر في عملية إعادة بناء القوات المسلحة ، ثم شاعت لي الأقدار أن أتحمّل مسئولية استكمال البناء ، ومسئولية القيادة العليا لها . ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أي مقياس عسكري ، لقد أعطت نفسها بالكامل لواجبها ، استوعبت العصر كله تدريباً وسلاحاً ، بل وعلماً واقتداراً وحين أصدرت لها الأمر أن ترد على استفزاز العدو ، وأن تكبح جماح غروره ، فإنها أثبتت نفسها . أن هذه القوات أخذت في يدها ، بعد صدور الأمر لها زمام المبادرة وحققت مفاجأة العدو ، وأفقدته توازنه بحركتها السريعة .

ان التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا

أمام عملية يوم ٦ من أكتوبر ١٩٧٣

ولست أتجاوز اذا قلت أن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام عملية يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ حين تمكنت القوات المسلحة المصرية من اقتحام مانع قناة السويس الصعب ، واجتياح خط بارليف المنيع واقامة رعوس جسور لها على الضفة الشرقية من القناة ، بعد أن أفقدت العدو توازنه كما قلت فى ست ساعات .

لقد استعادت الأمة الجريحة شرفها

لقد كانت المخاطرة كبيرة وكانت التضحيات عظيمة ولكن النتائج المحققة لمعركة هذه الساعات الست الأولى من حربنا كانت هائلة ، فقد العدو المتفطرس توازنه الى هذه اللحظة . استعادت الأمة الجريحة شرفها ، تغيرت الخريطة السياسية للشرق الأوسط .

انا نسجل من هذا ثقتنا بالقوات المسلحة

واذا كنا نقول ذلك اعتزازا وبعض الاعتزاز ايمان ، فان الواجب يقتضينا أن نسجل من هنا ، وباسم هذا الشعب ، وباسم هذه الأمة ثقتنا المطلقة فى قواتنا المسلحة ، ثقتنا فى قيادتها التى خططت ، وثقتنا فى ضباطها وجنودها الذين نفدوا بالثار والدم ، ثقتنا فى ايمان هذه القوات المسلحة وثقتنا فى علمها . ثقتنا فى سلاح هذه القوات المسلحة وثقتنا فى قدرتها على استيعاب هذا السلاح .

أقول باختصار : أن هذا الوطن يستطيع أن يطمئن
ويأمن بعد خوف ، أنه قد أصبح له درع وسيف .

أريد من هنا أن أشد انتباه حضراتكم معي الى
الجبهة الشمالية حيث يحارب الجيش السوري العظيم،
معركة من أمجد معارك الأمة العربية تحت القيادة
المخلصة والحازمة للأخ الرئيس حافظ الأسد .

أقول لآخواننا في الجبهة الشمالية :

انكم حاربتم حرب رجال وصمدتم صمود الأبطال
وأريد أن أقول لآخوتنا في الجبهة الشمالية أنكم عاهدتم
وكنتم الأوفياء للعهد ، وصادقتم وكنتم أشرف الأصدقاء
وقائتم وكنتم أشجع المقاومين . . انكم حاربتم حرب
رجال وصمدتم صمود أبطال .

أقول لآخوتنا في الجبهة الشمالية

انكم أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر

ولم يكن في مقدورنا أن نجد رفقة سلاح أكثر مدعاة
للطمأنينة والفخر من هذه الرفقة التي تشرفنا بالقتال
فيها معكم ، ضد عدو واحد لنا هو عدو أمتنا العربية
كلها . لقد كنا معا طلائع المعركة . تحملنا معا ضراوتها
ودفعنا معا أفدح تكاليفها من دمائنا ومن مواردنا ،
ولسوف نواصل القتال ولسوف نتحدى الخطر ،
ولسوف نواصل مع اخوة لنا ، تنادوا الى الساحة
صادقين مخلصين . سوف نواصل جميعا دفع ضربة
العرق والدم حتى نصل الى هدف نرضاه لأنفسنا
ونرضاه أمتنا لنضالنا في هذه المرحلة الخطيرة من
مراحله المتصلة والمستمرة .

أيها الاخوة والأخوات

كان ذلك عن الحرب ، والآن ماذا عن السلام ؟

عندما نتحدث عن السلام فلا بد لنا أن نتذكر ولا ننسى ، كما لا بد لغيرنا الا يتناسى حقيقة الأسباب التي من أجلها كانت حربنا . وقد تأذنون لى أن أضمح بعض هذه الأسباب محددة قاطعة أمام حضراتكم :

أولا - أننا حاربنا من أجل السلام . . حاربنا من أجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام ، وهو السلام القائم على العدل ، ان عدونا يتحدث أحيانا عن السلام ، ولكن شتان ما بين سلام العدوان وسلام العدل .

ان دافيد بن جوريون هو الذى صاغ لاسرائيل نظرية فرض السلام ، والسلام لا يفرض ، والحديث عن فرض السلام معناه التهديد بشن الحرب أو شنّها فعلا .

ان عدونا وقع فى خطأ

تصور ان قوة الارهاب تستطيع ضمان الأمن

والخطأ الكبير الذى وقع فيه عدونا انه تصور أن قوة الارهاب تستطيع ضمان الأمن ، ولقد ثبت عمليا اليوم وفي ميدان القتال عقم هذه النظرية ، ثبت أنها اذا صلحت بضعف الآخرين فى يوم ، فانها لا تصلح اذا ما استجمع هؤلاء قوتهم فى كل يوم ، ولست اعرف كيف كان لدافيد بن جوريون أن يفكر لو أنه كان فى مركز القيادة فى إسرائيل اليوم ؟ هل كان فى استطاعته أن يفهم طبيعة التاريخ ؟ أو أنه كان سيظل كما نرى قيادة اسرائيل اليوم فى موقف معاد للتاريخ ؟

السلام لا يفرض

وسلام الأمر الواقع لا يقوم ولا يدوم

ان السلام لا يفرض وسلام الأمر الواقع لا يقوم
ولا يدوم . السلام بالعدل وحده ، والسلام ليس
بالارهاب مهما أمعن في الطغيان ، ومهما زين له غرور
القوة أو حماقة القوة .

ذلك الغرور وتلك حماقة اللتان تمادى فيهما
عدونا . ليس فقط خلال السنوات الست الأخيرة ،
بل خلال السنوات الخمس والعشرين ، أى منذ قامت
الدولة الصهيونية باغتصاب فلسطين - ولقد تسال
قادة إسرائيل اليوم : أين ذهبت نظرية الأمن الاسرائيلى،
التي حاولوا اقامتها بالعنف تارة وبالجبروت تارة
أخرى ، طوال خمس وعشرين سنة ؟ لقد انكسرت
وتحطمت .

قوتنا العسكرية تتحدى اليوم قوتهم العسكرية ،
وهاهم في حرب طويلة ممتدة ، وهم أمام استنزاف
نستطيع نحن أن نتحمله بأكثر وأوفر مما يستطيعون .
وهاهم .. عمقهم معرض اذا تصوروا أن في
استطاعتهم تخويفنا بتهديد العمق العربى .

اننا لسنا دعاة إبادة كما يزعم العدو

وربما أضيف لكى يسمعوا فى إسرائيل اننا لسنا
دعاة إبادة كما يزعمون ، أن صواريخنا المصرية عابرة
سيناء من طراز ظافر موجودة الآن على قواعدها . ان
صواريخنا المصرية العربية عابرة سيناء من طراز ظافر
موجودة الآن على قواعدها ، مستعدة للانطلاق بأشارة
واحدة الى أعماق الأعماق فى إسرائيل .

ولقد كان في وسعنا منذ الدقيقة الأولى للمعركة أن نعطي الإشارة ونصدر الأمر خصوصا وأن الخيلاء والكبرياء الفارغة أوهمتهم بأكثر مما يقدرّون على تحمل تبعاته ، لكننا ندرك مسؤولية استعمال أنواع معينة من السلاح ، ونرد أنفسنا بأنفسنا عنها ، وإن كان عليهم أن يتذكروا ما قلته يوما وما زلت أقوله : ((العين بالعين والسن بالسن والعمق بالعمق)) .

ثانيا - أننا لم نحارب لكي نعتدى على أرض غيرنا وإنما حاربنا ونحارب وسوف نواصل الحرب لهدفين اثنين :

الأول : استعادة أراضينا المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ .

الثاني : إيجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

هذه هي أهدافنا من قبول مخاطر القتال ولقد قبلناها ردا على استفزازات لا تحتل ولا تطاق ولم تكن البادئين بها وإنما كنا فيها ندافع عن أنفسنا وعن حرياتنا وعن حقنا في الحرية والحياة .

إن حربنا لم تكن من أجل العدوان ولكن ضد العدوان ولم تكن في حربنا خارجين على القيم ولا القوانين التي ارتضاها مجتمع الدول لنفسه وسجلها في ميثاق الأمم المتحدة الذي كتبه الشعوب الحرة بدمائها بعد انتصارها على الفاشية والنازية ، بل لعنا أن نقول إن حربنا هي استمرار للحرب الانسانية ضد الفاشية والنازية ، ذلك لأن الصهيونية بدعاويها العنصرية وبمنطق التوسع بالبطش ليست إلا تكرارا هزيلا للفاشية

والنسازية يثير الازدراء ولا يثير الخوف ويبعث على
الاحتقار أكثر مما يبعث على الكراهية .

اننا في حربنا كنا نتصرف وفق نص روح وميثاق
الأمم المتحدة وليس مجافاة للروح ولا للنص ، وإلى
جانب الميثاق نفسه فلقد كنا نتصرف تقديرا واحتراما
لقرارات المنظمة الدولية سواء على مستوى الجمعية
العامة للأمم المتحدة أو على مستوى مجلس الأمن .

أيها الاخوة والأخوات :

لقد شهد العالم كله لنا بالحق وأشاد بشجاعتنا
دفاعا عن هذا الحق . أدرك العالم أننا لسنا البادئين
بالعدوان ولكننا المبادرون بواجب الدفاع عن النفس .
لسنا ضد قيم وقوانين مجتمع الدول ولكننا مع
قيم وقوانين مجتمع الدول ، لسنا مغامري حرب وإنما
نحن طلاب سلام .

أدرك العالم ذلك كله وكان يتعاطف من قبل ذلك مع
قضيتنا واليوم زاد على تعاطفه معنا احترامه لتصميمنا
على الدفاع عن هذه القضية ولقد كنا نطمئن بعطف
العالم ونحن الآن نعتز باحترامه .

واقول لكم بصدق وأمانة اننى أفضل احترام العالم
ولو بغير عطف على عطف العالم اذا كان بغير احترام .
وأحمد الله

أيها الاخوة والأخوات :

ان دولة واحدة اختلفت مع العالم كله ولم تختلف
معنا فقط إنما مع العالم كله كما قلت ، هذه الدولة هي
الولايات المتحدة ، لقد فوجئت كما تدعى بأننا حاولنا رد

العدوان ولسنا نفهم كيف ولماذا فوجئت ؟ هذه الدولة
لم تكتف كما تقول بأنها فوجئت وإنما أفاقت من المفاجأة
دون أن تعود الى الصواب .

ومن المؤسف والمحزن أن يكون هذا موقف واحدة
من القوى الأعظم في هذا العصر .

لقد كنا نتوقع أو ربما نتمنى ضد الشواهد
والتجارب كلها أن تفيق الولايات المتحدة الامريكية من
المفاجأة الى الصواب لكن ذلك لم يحدث ورأينا الولايات
المتحدة تخرج من المفاجأة الى المناورة . أن غرضها الأول
هو وقف القتال والعودة الى خطوط ما قبل أكتوبر وكان
يمكن أن نقضب من هذا المنطق المعكوس ولكننا لم
نقضب لأننا نشق في أنفسنا من ناحية ومن ناحية أخرى
لأننا بالفعل نريد أن نساهم في سلام العالم .

إن الصائم يدخل في عصر من الوفاق بين القوتين
الأعظم ونحن لا نعارض سياسة الوفاق ، كان لنا تحفظ
واحد عليها وما زال تحفظنا قائما . إذا كنا نريد أن
يدخل العالم بعد استحقاق الحرب العالمية الى عصر من
السلام فإن السلام ليس معنى مجردا أو مطلقا ، السلام
له معنى واحد . هو أن يشعر كل الشعوب في الأرض
أنه سلام لها وليس سلاما مفروضا عليها .

وانى لأقول أمام حضراتكم وعلى مسمع من العالم :
نحن نريد أن تنجح وأن تدعم سياسة الوفاق ، ونحن
على استعداد للمساهمة في انجاحها وتدعيمها .

ولكننا نرى - وبحق - أن ذلك لا يمكن أن يحدث .
بينما العدوان قائم ضد أمة عربية بأسرها تقع في قلب
العالم استراتيجيا وتملك أهم ثرواته اقتصاديا .

ان أى نسيان لهذه الحقيقة البديهية ليس تجاهلا
فحسب ، وانما هو أهانة لا ترتضيها لأنفسنا ولا للعالم
الذى يعرف أهمية وقيمة المنطقة التى نعيش فيها وعليه
ان يعرف الآن ان هذه المنطقة قادرة على ان تمنح وان
تمنع .

أيها الاخوة والاخوات :

ان الولايات المتحدة بعد المناورة التى رفضنا مجرد
مناقشتها خصوصا بعد أن فتحنا طريق الحق بقوة
السلاح اندفعت الى سياسة لا نستطيع أن نسكت
عليها . . لا نستطيع أن تسكت عليها امتنا العربية . .
ذلك انها أقامت جسرا سريعا تنقل به المعونات
والمساعدات العسكرية لاسرائيل .

ثم يكف الولايات المتحدة ان سلاحها هو الذى مكن
اسرائيل من تعطيل كل محاولات الحل السلمى لأزمة
الشرق الأوسط فاذا هى الآن تتورط فيما هو أفدح
وفيما هو أخطر فى عواقبه بينما نحن نقاتل العدوان
وبينما نحاول ازاحة كابوسه عن أراضينا المحتلة اذ هى
تسارع الى العدوان تعوضه عما خسره وتزوده بما لم
يكن لديه .

ان الولايات المتحدة تقيم جسرا بحريا وجويا تتدفق
منه على اسرائيل دبابات جديدة وطائرات جديدة
ومدافع جديدة وصواريخ جديدة واليكترونيات جديدة
ونحن نقول لهم ان هذا لن يخيفنا ولكن عليكم علينا
قبل أن تصل الأمور الى نقطة اللاعودة أن نفهم الى أين
والى متى ؟ واين ونحن خريطة الشرق الأوسط وليست
اسرائيل ؟ الى أين ومصالحكم كلها عندنا وليست فى
اسرائيل ؟ الى أين وإلى متى ؟؟

أيها الاخوة والاخوات :

لقد فكرت أن أبعث الى الرئيس ريتشارد نيكسون بخطاب أحدد فيه موقفنا بوضوح ولكنني ترددت خشية أساءة التفسير ولذلك قررت أن استعيض عن ذلك بتوجيه رسالة مفتوحة اليه من هنا ، رسالة لا يملئها القول ولكن تملئها الثقة . رسالة لا تصدر عن ضعف ولكن تصدر عن رغبة حقيقية في صون السلام ودعم الوفاق . أريد أن أقول له بوضوح أن مطلبنا في الحرب لا حاجة بنا لاعادة شرحه ، وإذا كنتم تريدون معرفة مطلبنا في السلام فاليكم مشروعنا للسلام :

أولا : اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التي أمسك بها الاحتلال الاسرائيلي ٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ونحن في هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة في الجمعية العامة ومجلس الأمن .

ثانيا : أننا على استعداد لقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضي المحتلة فورا وتحت اشراف دواى الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ٦٧ .

ثالثا : اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل هذه الأراضي ، أن نحضر مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة . سوف أحاول جهدى أن أقنع به رفاقي من القادة العرب المسؤولين مباشرة عن ادارة صراعها مع العدو ، كما اننى سوف أحاول جهدى ان أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى وذلك لكى يشارك معنا ومع مجتمع

الدول في وضع قواعد وضوابط السلام في المنطقة يقوم
على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

رابعاً : أننا على استعداد هذه الساعة ، بل هذه
الدقيقة ، أن نبداً في تطهير قناة السويس وفتحها أمام
الملاحة العالية لكي تعود الى أداء دورها في رخاء العالم
وازدهاره ، ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس هيئة
قناة السويس بالبدء في هذه العملية غداة اتمام تحرير
الضفة الشرقية للقناة ، وقد بدأت بالفعل مقدمات
للاستعداد لهذه المهمة .

خامساً : أننا لسنا على استعداد في هذا كله لقبول
وعود مبهمه أو عبارات مطاطة تقبل كل تفسير وكل
تأويل وتستنزف الوقت فيما لا جدوى فيه وتعيد
قضيتنا الى جمود لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب
لدى غيرنا أو توضيحات بالنسبة لنا ، ما نريده الآن هو
الوضوح ، الوضوح في الغايات والوضوح في الوسائل .

أيها الاخوة والاخوات :

لقد قلنا كلمتنا وأدعو الله مخلصاً أن يفهمها الجميع
في اطارها الصحيح وأن يضعوها على الخط المستقيم ،
وأن يحسنوا تقدير الأمور . أن هذه الساعة تتطلب
شجاعة الرجال وعقل الرجال . ومن جانبنا فاننا نواجه
هذه الساعات بخضوع الصادقين مع الله ومع انفسهم
ومع أمتهم ومع إنسانيتهم ، هذه ساعات تدور فيها
معارك أكبر مما دار من أسلحة تقليدية حتى في حروب
العمالقة هذه ساعات تتقرر فيها مصائر وتتحدد فيها
علاقات سوف تفرض نفسها على المستقبل وهي تؤكد

نفسها في الحاضر ، هذه ساعات يتقدم فيها أبطال ،
وهذه ساعات يسقط - بل يرتفع - فيها شهداء ، هذه
ساعات حافلة بمشاعر متباينة تمتزج فيها صيحة
الفرح بمشاعر عميقة أخرى ، ذلك أننا كنا ولا زلنا
نريد الحق ولا نريد الحرب ، لكننا كنا لا نزال نريد
الحق حتى اذا فرضت علينا الحرب وحين كانت نشوة
الانتصار تملأ كل الذواوب فأننى كنت فيما بين ربي
أعرف مدى الفناء الانساني الذي تدفعه في سبيل
النصر .

ولقد كنت أتبع انباء انتصاراتنا في خشوع لأننى
أعرف الحرب ، ولقد كان أصدق القائلين هو الذي
علمنا (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) .

أيها الاخوة والاخوات :

هذه ساعات نعرف فيها أنفسنا ونعرف فيها
الأصدقاء ونعرف فيها الأعداء ، ولقد عرفنا أنفسنا
ولقد عرفنا أصدقاءنا وكانوا بأصدق وأخلص ما نطلب
من الأصدقاء ، ولقد كنا نعرف عدونا دائما ، ولسنا
نريد أن نزيد من أعدائنا بل أننا لنوجه الكلمة بعد
الكلمة ، والتنبيه بعد التنبيه ، والتحذير بعد التحذير ،
لكي نعطي للجميع فرصة يراجعون ولعلهم يتراجعون ،
لكننا بعون الله قادرون بعد الكلمة وبعد التنبيه ، وبعد
التحذير ، أن نوجه الضربة بعد الضربة ، ولسوف نعرف
متى وأين وكيف اذا أرادوا التصاعد فيما يفعلون . الأمة
العربية كلها ، وأسمح لنفسى أن أعبر عنها ، لن تنسى
مواقف هذه الساعات ، أن الأمة العربية لن تنسى
أصدقاءها هذه الساعات ، أن الأمة العربية لن تنسى
أعداء هذه الساعات الذين يقفون مع عدونا .

ربنا كن لنا عوناً وهدى .. ربنا وبارك لنا في شعبنا
وفي أمتنا .. ربنا أنك وعدت ووعدك الحق - أن
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .
والسلام عليكم .

وأكمل الرئيس رواية الملحة التاريخية التي كان بطلها في
حديث نشرته جريدة الأهرام يوم ٢٩/٣/١٩٧٤ ، وقال فيه عن
موقفه من التحضير للمعركة ، وكان الأمر الأول الذي تحدث عنه
هو :

« ثلاث سنوات ، هي فترة ولايتي قبل أن تبدأ المعركة .. ثلاث
سنوات عجاف ، تحملت فيها ما لا يتصوره بشر ، ومع ذلك
لم تهتز الرؤية أمامي لحظة واحدة ، ولم يتغير إيماني ، أو أنفعل
بما لا يجب أن أنفعل به من أجل معركتنا الكبرى .

للتحضير لهذه المعركة ، كان لا بد أن نأخذ في الحسبان عوامل
كثيرة ، لأننا نتعامل مع عدو يستند أولاً ما يستند إلى أكبر قوة في
عالمنا المعاصر ، وهي الولايات المتحدة ، وكما عبرت في مناسبات
كثيرة ، أن عدونا يتلقى من أمريكا كل شيء .. من رغيف الخبز إلى
القاتوم .

الأمر الثاني :

كان لا بد اذن من أن نضع هذا العامل في الحسبان ، وكان
لا بد لنا من أن نستقرئ تاريخ قضيتنا العربية .. ليس فقط

في الخمس والعشرين سنة الماضية منذ قيام اسرائيل ، ولكن منذ أن انعقد مؤتمر بال في سويسرا في القرن الماضي ، ووضع استراتيجية قيام اسرائيل .

الأمر الثالث :

كان لا بد أن ندرس « لعبة الأمم من حولنا » ، وتأثير علاقات القوى الكبرى في كل هذه اللعبات ، لأنه من الجهل . بل قد يكون من الخيانة ، أن تتعرض لمعركة مصيرية ، بدون أن نعيش عصرنا بكل مؤثراته . ومن يتوهم أننا نستطيع أن نتصرف في عزلة عما يجري حولنا ، هو جاهل ، أو في أبسط التعابير ساذج .

الأمر الرابع :

أنه في سنة ١٩٧٢ انتهى عصر ما يسمى بالحرب الباردة ، وفي اجتماع القمة بين العملاقين بموسكو في سنة ١٩٧٢ ، صدر بيان يبشر بعبارة « الاسترخاء العسكري في منطقة الشرق الأوسط » . أي ببساطة باستمرار حالة « اللاسلم واللاحرب » التي كانت كفيلة بأن تحقق لاسرائيل على المدى الطويل كل ما تريد من غير أن تطلق طلقة واحدة .

ثم يأتي اجتماع القمة الثاني بين العملاقين في يونيو سنة ١٩٧٣ ، فيؤكد البيان الذي صدر بما لا يدع مجالا لأي شك أو لبس على تجميد القضية ، انتظارا لحل سلمي ، في الوقت الذي

تخلق فيه طائرات اسرائيل على لبنان . وتتخطى حاجز الصوت ،
ويصرح زعماء اسرائيل ومبشئولوها أنهم سيضربون وقتما يشاءون
وأينما يشاءون ، بالطريقة التي يشاءون .

الأمر الخامس :

وهو حقيقة تنبع من كل ما سبق ، وهي أن العملاقين الكبيرين،
روسيا وأمريكا يحرصان على وجود اسرائيل ويتصرفان كل
بطريقته للحفاظ على ذلك ، فأمريكا تعطي التفوق الكامل لاسرائيل
على العرب مجتمعين ، تحت الاسم نظرية « توازن القوى » ،
والسوقيت من جانبهم وكما شرحت قبل ذلك أمام اللجنة المركزية
سنة ١٩٧٢ ، يضعون قيودا على ما يقدمون للعرب من السلاح
والتكنولوجيا التي هي مباحة من جانب أمريكا لاسرائيل بالكامل

الأمر السادس :

كان لا بد أن نواجه العالم كله ، في افريقيا ، وفي آسيا . وفي
أوروبا ، وفي أمريكا ، بحقيقة الوضع الذي تضمنته الحرب انفسية
الشرسة التي قامت بها أجهزة الاعلام في أمريكا والغرب ، من أن
العرب طلاب حرب . في الوقت الذي لا قيمة لهم عسكريا ، وأنهم
دائما يرفضون كل الحلول السلمية ، بهدف القضاء على اسرائيل .
ومنذ أول يناير سنة ١٩٧٢ اتخذت هذه الحملة أبعادا خطيرة .
يوم أن صرح وزير خارجية أمريكا « روجرز » في أول يناير سنة
١٩٧٢ بأن أمريكا ستمد اسرائيل بالسلاح برغم تفوقها ، وأن

أمريكا قد أنشأت داخل إسرائيل مصانع لأسلحة معقدة وراقية
تكنولوجيا ، وانه لا أمل أمام العرب ، إلا أن يسلموا بالأمر
الواقع .

الأمر السابع :

أن يندا رئيسيا من بنود استراتيجية إسرائيل الأساسية ، هو
استمرار الصراع العربى والفرقة العرقية ، واستحالة جمع كلمة
العرب على أى أمر .

نخرج من هذا أنه كان علينا لكى نواجه معركتنا على مستوى
كل هذه التحديات . وبالمفهوم العلمى والعملى للعصر الذى نعيشه .
ولكى يفهمنا العالم الذى يحيط بنا . ولا نبداً معركتنا من فراغ. أن
نمهد بما يأتى :

١ — اعداد الساحة العربية .

٢ — اعداد الساحة العالمية . عبر افريقيا ودول عدم الانحياز .
وأخيرا عبر مجلس الأمن الذى يمثل العالم كله تمثيلا
اقليميا كاملا ويعتبر سلطة عليا فى أجهزة الأمم المتحدة » .

وقبل أن يدلى الرئيس بهذا الحديث الى جريدة الأهرام ،
كان قد حدد يوم ١٩ فبراير ١٩٧٤ لتكريم أبطال أكتوبر داخل
قاعة مجلس الشعب ، والقى كلمة قصيرة اقال فيها .

بسم الله

وما النصر الا من عند الله

أيها الاخوة والاخوات :

أطلب منكم أن نقف معا دقيقة تحية لشهداءنا
الأبطال .

أيها الاخوة والاخوات :

جرت العادة والتقاليد بعد المعارك الكبرى أن يقدم
القائد العام للقوات المسلحة تقريره الى رئيس الدولة . .
تقريراً عن المعارك التي خاضتها هذه القوات يعرض فيه
الجهود التي قامت بها القيادات ويسجل أعمال البطولة
التي قام بها الجنود والضباط .

ولقد طلبت من القائد العام للقوات المسلحة الفريق
أول احمد اسماعيل أن يقدم هذا التقرير التاريخي الى
تحالف قوى شعبنا العامل ، فهذا الشعب هو صاحب
الأسلحة التي حققت المعجزة ، وهي أسلحة لم تصنع
من الفولاذ فقط ، وإنما صنعت أيضاً بالايمان والاصرار ،
صنعت بالعناد والعرق ، صنعت بالدم والتضحية وقوة
الاحتمال ، هذا الشعب شعبنا الذي حرم نفسه لسنوات
طويلة من ضرورات الحياة ليوفر لجيوشه المال والسلاح
هذا الشعب الأبى الذي يأكل اليوم بالبطاقات ويقف

في الطواير ويتحمل عذابا يوميا في حياته من أجل أن يحقق ذاته وكرامته ، ومن أجل أن يحقق النصر لأمة العربية كلها .

أيها الاخوة والاخوات :

ان تضحيات الشعب المصري هي التي زادت من فاعلية الصواريخ ، وهي التي ضاعفت من قوة انطلاق المدافع ، وهي التي ضاعفت أيضا من صلابة الدبابات وشراسة الطائرات .

ولقد عاش شعبنا وأمة العربية خمسة قرون في احضان الهزيمة . سارت مواكب النصر في شوارعها ولكنها كانت مواكب جيوش الغزاة الأجانب وليست جيوشه .

رفعت أعلام النصر في الميادين ولكنها كانت أعلام الدول المحتلة ولم تكن أعلامه .

واليوم أعلن لشعبنا ولأمتنا العربية كلها أن قرون التخلف والهزيمة قد انتهت بعد أن حققت القوات المسلحة في مصر وسوريا تأييدها قوات الشعوب العربية أول نصر حقيقي للعرب منذ عدة قرون ، ولأول مرة منذ خمسمائة سنة تمشي مواكب النصر المصرية في شوارعنا وترتفع أعلام النصر المصرية في مياديننا .

هذه القوات ردت للعرب كبرياءهم وأعادت إليهم ثقتهم في أنفسهم . بل استردت لهم احترام شعوب الدنيا كلها .

وهنا - أيها الاخوة والاخوات - يهمني أن أقدم شكري وشكر بلادي وتقديرنا لأشقائنا العرب ملوكا

ورؤساء شعوبا وقوات مسلحة ، أشكر الذين حاربوا
معنا بأرواحهم وبذلوأ الدم مشاركة لنا في معركتنا ،
وأشكر الذين حاربوا معنا بامكانياتهم وأضافوا بمواقفهم
وتضامنهم قوة رائعة جديدة للمعركة .

ونحمد الله ، نحمد الله ، فقد أطلت أنوار الفجر
الجديد على كل شبر من الأرض العربية فجر للعرب
الأحرار بعد ظلام طويل دامس ، فجر للانسان العربي
الجديد بعد ليل طويل حالك فجر للأرض التي اختارها
الله سبحانه وتعالى للهداية والحكمة والرشاد ، فجر
نتدعم فيه قلاع الحرية لتندك فيه كل دعاوى وأطماع
الأقوياء ، فجر الحب والبناء فلا مكان هنا بعد اليوم
للحققد أو الضغينة والبغضاء ، فجر لا ذل فيه ولا اذلال
ولا ظلم ولا طمع ولا استغلال ، فجر السيادة فيه
للتحالف العظيم لقوى شعبنا العامل ، الأرض لأصحابها
والخير كل الخير ان يزرع الخير ويرعى القيم ويحفظ
الوفاء ، فجر يرفع فيه كل مواطن رأسه في كبرياء
ويحنى فيه الحاكم رأسه طاعة للشعب بعد أن أصبحت
القيادة للشعب ، فجر السلطان فيه للقانون وصيانة
لكرامة الأفراد وانصافا لكل مظلوم والأولوية فيه للوطن
حبا وعملا وتفانيا وأداء ، فجر للعاملين والمجاهدين
لكل من ينل قطرة دم او حبة عرق من أجل أن يرتفع
البناء الى السماء ، فجر نعوض فيه مع أخوة لنا ما ضاع
من العرب من أمجاد ، ونرد فيه لأمتنا العربية بالوحدة
والتضامن مكانها العالي في عالم لم يعد يعترف إلا
بالأقوياء .

ولقد عرفنا جيدا ماذا يستطيع أن يفعل الصرب
باتحاد كلمتهم ، وكيف أن الخلاف والصراع بين العرب
كان هو دائما طريقهم الى الهزيمة والبوار .
(« ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب ») .

أيها الاخوة والاخوات :

اذا كان لي أن ادعو القائد العام لكي يقدم تقريره
عن مرحلة من مراحل المعركة فيجب ألا ننسى أو ننفل
لحظة عما عاهدنا عليه الله وعاهدنا شعوبنا عليه من
أهداف . عهدنا أن نظل نحمل السلاح حتى تتحرر كل
الأرض العربية من العدوان والاحتلال ، عهدنا ألا نفرط
أو نساوم على حقوق أهلنا شعب فلسطين .

وتحية منا في هذا اليوم لرفاقنا في السلاح على
الجولان ، تحية منا لأخوتنا في الأرض المحتلة ، تحية
الصمود والثبات ، فقد طاع الفجر . وعهدنا لهم
ألا نفرط أبدا في الأمانة ومنذ أكتوبر يعرف اخواننا أن
عهدنا هو عهد المحاربين الشرفاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وفي هذه الجلسة التاريخية حدث موقفان مثيران أولهما أن
الرئيس تسلم بيده وسام شقيقه الطيار عاطف السادات الذي
استشهد في حرب أكتوبر ، وكان الموقف الثاني هو استجواب

قائد الجيش الثالث الذي زعمت اسرائيل أنه قوتها كانت تحاصره .
وأن مدينة السويس قد سلمت وسقطت وكان هذا الاستجواب
فصلا من فصول الملحمة التي صنعها المقاتل المصري في حرب
اكتوبر فقد تأكد أمام العالم أن الجيش الثالث المصري ظل في
مواقعه وأنه استولى على مواقع جديدة أيضا كانت تحتلها قوات
اسرائيل ، وأن مدينة السويس قاومت الغزو وكتبت قصة جديدة
من قصص البطولة العسكرية والشعبية حين تلاحم الجيش
والشعب ضد الغزاة .

٧ مطّلع الفجر

من عادة السادات أن يبدأ حديثه باسم الله وعندما صدرت
البيانات العسكرية في حرب أكتوبر كانت تبدأ دائما باسم الله
الرحمن الرحيم — وكان النداء المشترك للمقاتلين الذين عبروا قناة
السويس ، وأهالوا السد الترابي ، وحطّروا خط بارليف هو :
الله أكبر .

وقبل المعركة وخلالها ، وبعد وقوعها ، كان السادات يزور
الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ويخلع ثياب السلطة شأنه في
ذلك شأن حكام مصر العظام الذين عاشوا خلال حكمهم فترات
حاسمة قبل الفترة التي كتبها له القدر .

كان بعض سلاطين مصر حين تشتد أمامهم صروف الزمان
يتوجهون الى الله بقلب سليم ، وفي نفس الوقت يجعلون للسلطة
حقها من الدنيا في العظمة والمظهر والزي ، وكل ما يجب على
السلطان أن يسلكه أمام شعبه وأمام أعدائه ، وهذا جزء من
عظمة مصر ، ولا يجوز له أن يهمله من ناحية مظاهر السلطنة

والحكم . وله المواكب الفاخرة . والزي الأمثل ، وفروسه من الخيول المرسجة بالذهب والجوهر وفوق رأسه قبة الطير ، عليها صقر جرح ينقض على أعدائه اذا حاولوا الاعتداء عليه وهى قبة مشغولة بخيوط الذهب ويحملها أكبر أعوانه فى مواكبه الرسمية ، ومن حوله الحراس يحملون الرماح المكففة بالفضة والذهب ، وأمام موكبه ومن خلفه الجنود والبندود والموسيقىات ، حتى قيل ان موكب السلطان المصرى من احدى عجائب الدنيا التى كانت مصر تملك أكثر من نصفها فى العالم القديم وكان أهمها الاهرامات وموكب السلطان واحتفال وفاء النيل .

وكان الظاهر بيبرس أحد فرسان المنصورة فى حرب لويس التاسع . وقاهر التتار فى عين جالوت يخضع أمام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام شيخ الاسلام ، وكان غيره من السلاطين ينزلون من القلعة ليجاسوا مع (الشيخ أبو السعود الجارحى) فى مصر القديمة ، ويعرضون عليه مشاكلهم . ويقبلون يديه ووصل الأمر بالسلطان قلاوون انه كان ينزل من القلعة الى الأزهر متخفيا ليصلى مع الناس . ويسمع رأيهم فى أحكامه ، ثم يصعد الى سطح الأزهر ليجلس مع (الشيخ زكريا الانصارى) شيخ الاسلام المتصوف ليتلقى على يديه درسا فى العلم وعندما وقع (طومان باى) آخر سلاطين المماليك فى الهزيمة بسبب الخيانة عندما هاجم السلطان سليم العثمانى مصر ، وجدوا تحت ثياب السلطان الفاخرة

وعلى جسد (طومان باي) خرقة الصوفية ، وهي قطعة من الصوف ارتداها على جلده تحت ثياب السلطنة الفاخرة المطرزة .

وحدث عندما كان (ابراهيم باشا) في دمشق بعد أن فتح الشام . وتقدمت جيوشه المصرية لتطوق أبواب اسطنبول في مطلع العصر الحديث ، أن ذهب لزيارة كبير العلماء في دمشق ، وكان الرجل مصابا بالشلل ، ولا بد له أن يمد ساقه بسبب مرضه ، واعتقد القائد الظافر أن الشيخ يحتقره ويضع رجله في وجهه ، ولا يقوم لاستقباله كما جرت العادة ، ولما علم ابراهيم حقيقة الأمر وفهم السبب انحنى على قدم الشيخ وقبلها .

لا تعارض بين عظمة السلطان وبين الايمان ، وهي ليست صكوك غفران ، ولكن السلطان جعل سلطانه وايمانه داخل اطار واحد هو الجهاد في سبيل الله ، وكانت شعارات السلاطين المجاهدين ، ترتفع دائما من القاهرة لتقول :

— وا اسلاماه ... وا محمداه .

وعندما غاب الايمان وقعت الهزائم ، وسقط الحكم . حتى أصبح (نابليون بونابرت) من دعاة الاسلام ووضع على رأسه عمامة في حفل المولد النبوي وشهد الاذكار ، وشارك في الاستماع للمدائح النبوية الشريفة . في ليلة المولد بالقاهرة .

قصص التاريخ كثيرة ومشيرة . ولكن من هم الرجال الذين سيسمعون أذان الفجر ويطلع معهم الفجر ليعيد للناس نور حياتهم .

كان السادات هو الرجل الذي تترقبه الأقدار لصلاة الفجر ،
ورؤية نور الفجر الجديد .

و ذات يوم لاحظ صحفي أجنبي أن السادات يحمل على جبهته
آثار السجود الطويل وهى شارة الشرف للعابدين المتعبدين ،
فكيف يكون شأنها مع الرئيس ؟

وهذا الخشوع للواحد القهار هو الذى منح السادات ميزة
التواضع فلم يدق الطبول بعد انتصاراته الهائلة فى حرب رمضان
بل كان الاحتفال الوحيد الذى أقامه هو حفل تكريم الأبطال
داخل قاعة مجلس الشعب — وجعله تسجيلا للمعارك ، واستجوابا
لقائد الجيش الثالث الذى أكد صمود جيشه وانتصاره وعدم
تسليم مدينة السويس . كما كان الحفل تكريما لشهداء المعارك .

وقبل وقف النار قالت صحيفة الديلى اكسبريس يوم ١٤
أكتوبر ١٩٧٣ .

« ان رجلا واحدا فى الواقع ألا وهو الرئيس المصرى أنور
السادات يستطيع إيقاف الحرب . لقد قاتلت قواته بشجاعة ، وقد
حققت أكثر بكثير مما كان يحلم به أى شخص » .

كما قالت الديلى تلغراف فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

« ان تلك الساعات الست الأولى من يوم السادس من أكتوبر
حينما عبر الجيش المصرى قناة السويس واجتاز خط بارليف غيرت

مسار التاريخ بالنسبة للزعيم والدولة وربما لنشرق الأوسط بأسره .

وعندما كان العالم كله يتحدث عن انتصارات أكتوبر ، ظل السادات على تواضعه ، ولم تمله خمرة النصر -- بل انه استمر يعمل بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بطاقة أكبر مما كان يعمل قبل هذا اليوم التاريخي العظيم . وكان من حقه أن يسريح ويهدأ قليلا بعد هذا الجهد المضني الذي بذله خلال ثلاث سنوات منذ توليه الحكم حتى حقق النصر .

وخلال الشهور القليلة التي تلت انتصارات رمضان ، عقد مؤتمر القمة في الجزائر ، وقدم السادات كشف حساب له للأمة العربية . وقام بجولات سريعة وخاطفة الى عدد من البلاد العربية ليؤكد الدعوة . ويحدد مفاهيم الحرب الجديدة التي شنها العرب من أجل كيانهم وهي حرب البترول وعقد الاجتماعات المتتالية الشهيرة مع (هنري كيسنجر) وزير خارجية أمريكا التي أدت الى اتفاقية الفصل بين القوات ، وسافر الى يوغسلافيا حيث عقد اجتماعات مع المارشال تيتو ، وكان قد حضر أيضا المؤتمر الاسلامي الذي عقد في لاهور بباكستان ، وأصلح ذات البين بين باكستان وبنجلاديش .

أعمال كثيرة ومستمرة وسريعة داخل مصر ، ومع الأخوة العرب . وخارج الأرض العربية قام بها السادات ولا زال يقوم بها

بصورة مذهلة ولا يقوى عليها رجل الا من منحه الله الايمان والتواضع .

يقول على أمين في احدى مقالاته بجريدة الأهرام .

« ان الدول العربية تقدر وزن رأى مصر . وتعرف أنها تتكلم بعد أن ضحت بعشرات الألوف من جنودها وضباطها . وخسرت في معارك فلسطين عشرة بلايين من الجنيهات اقتطعتها من قوت الشعب المصرى لتواجه وحدها العدوان الاسرائيلى ٢٥ سنة . ولأنها تعرف أن سكان مصر يزيدون عن ٤٠٪ من الشعب العربى ، ويعرفون أنها مكة العرب فى الفكر والعلم والصناعة والانتاج ووراءها سبعة آلاف سنة من التاريخ والحضارة ويعرفون أنها منارة العرب .. ومن أرضها انطلقت النداءات التى تطالب بتحرير الشعوب العربية وتحطيم قيودها وأغلالها .

ويعرفون أن مصر السادات لم تحاول استعراض عضلاتها أمام الشعوب العربية . لقد رفض السادات زعامة العرب ورجع عدة خطوات الى الوراء وترك المكان الأول لزملائه ملوك العرب ورؤسائهم . ضمد جروح الأمس ، واذا بقواته المسلحة وطاقته العجيبة على الصبر وايمانه المطلق وقدرته على التنظيم والاعداد تميده رغم أقفه الى الصف الأول .

فالسادات الذى ترك الشعوب العربية عامين تسخر منه وتغرقه فى النكتة والتشنيعات وتضحك من ادعائه أنه سيحارب .. ليعطى

استعداداته الضخمة لمعركة العبور . ليس بالرجل الذي يبحث عن
زعامة . أو يهيمه الوقوف في الصف الأول أو الأخير ..

ولم تتردد الدول العربية أن تستعمل لأول مرة أقوى أسلحتها
وهو سلاح البترول فهزت الدنيا ودعمت انتصاراته جيوش العرب
عامة وجيش مصر خاصة .

ولكن ليس معنى تواضع السادات . أن يتواضع معه الشعب
المصرى . ويترك اذاعات الغوغاء وصحف الهلافت تسخر من
تضحيات هذا الشعب وانتصاراته ومعجزاته .

وحتى تستكمل هذه الصورة التي أراد على أمين تقديمها
للقارىء ، فاتى أقدم بعض آراء الاسرائيليين في أنور السادات .
وأذكر هؤلاء الحاقدين من أشباه الزعماء العرب بالمثل العربى
القديم الذى يقول : ان الفضل ما شهدت به الأعداء .

لقد صرح (اسحق بن آهرون) سكرتير عام الهستدروت
في مؤتمر صحفى نشرته جريدة معاريف الاسرائيلية يوم ١٨/١١/
١٩٧٣ فقال :

— ان الحكومة الاسرائيلية خلقت خرافة أن اسرائيل لديها
المقدرة أن تقرر وحدها ماذا كانت ستسحب من الأراضى العربية
المحتلة أم لا ؟

ووصف (بن أهرون) الرئيس السادات بأنه رجل واع ، وأعرب عن اعتقاده بعد أن حقق السادات انتصاراته من الناحية النفسية ، بأنه سيكون قادرا على التوصل الى ما يريد بطرق أخرى غير الحرب .

وكتبت جريدة معاريف في أول مارس عام ١٩٧٤ تقول :

قبل عام رأس الرئيس السادات حكومة المواجهة وانتقل من منزله ليعيش في داخل دشمة هيئة الأركان العامة وأصدر أوامره بالاضلام التام وأمر بالاستعداد للمقاومة الشعبية وحاول اقناع الجميع بجدية نواياه بشن حرب لكن لم يصدقه أحد وليس في إسرائيل بل في مصر ذاتها واليوم عندما يحذر أمام الهيئة البرلمانية — بأن مصر لن تلقى سلاحها الا بعد أن يتم تحرير كافة الأراضي المحتلة وأن تستعيد الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني — فان هذا الكلام أصبح محل ثقة قاطعة في مصر وأيضا في إسرائيل .
وأنه منذ خمسة شهور التي مرت منذ نشوب الحرب أصبح الرئيس السادات محل تقدير الجماهير منذ أصبح بطل السادس من أكتوبر وأصبحت زوجته السيدة جيهان أم الجرحى .

وكتبت هذه الجريدة الاسرائيلية مقالا في الثامن من مارس قالت فيه :

« ان حرب عيد يوم الغفران قد أكدت المكانة السيادية لمصر في العالم العربي — وبفضل القاهرة يرجع الاحساس الذي ساد

العالم العربى هذا لأن انجازات الحرب ان كانت لم تمحو تماما آثار الهزيمة التى منوا بها عام ١٩٦٧ — فانها رفعت شأن وقامة العرب . ففى القاهرة أصبحت اتردد أصوات تتم عن الرضا من سياسة السادات فى اطار العلاقات العربية فالسادات رجل واقعى ، وهو يعمل من أجل توفير الرخاء لمصر ، نظرا لأن الرخاء فى نظر السادات أمر له الأولوية العليا .

ان السادات — كما قالت الصحيفة الاسرائيلية — يبحث عن الرخاء لا عن الأمجاد الشخصية . وقد كرس نفسه من أجل رفاهية الشعب المصرى والشعوب العربية . وهو نموذج جديد بين حكام مصر عبر العصور .

فى أعقاب حرب أكتوبر كانت أجهزة الإعلام المصرية تتحدث عن بطولات المقاتلين لا عن بطولة القائد وهذا لم يحدث عندما وقعت الهزائم المتكررة . فكان الحديث يدور دائما عن الزعامات .

ولأول مرة فى تاريخ مصر يكتب تاريخ شعب مصر لا تاريخ حاكم مصر . ولو استعرضنا الصحف والمجلات التى صدرت فى القاهرة منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لوجدنا كيف سطرت وصورت بطولات المقاتلين وأنباء المعارك . حتى تقدم مقاتل مصرى لافتتاح معرض الغنائم الذى أقيم فوق أرض المعارض بالجزيرة وكان الذى قدمه هو وزير الحرية وقائد الجيش . وفى مناسبة أخرى تقدم أحد

رجال المقاومة الشعبية في السويس ليمثل حقيقة المواطن المصري في دفاعه عن أرضه ووطنيته . ثم أصبحت أمهات الشهداء لا يتقبلن العزاء . ولا يمكن أعز أحبابهن ولكنهن يفتخرن بأن هؤلاء الأعداء الشرفاء ماتوا من أجل مصر .

وهذه الصفحات التي أردت كتابتها عن السادات أصبحت في واقع الأمر جزءا من تاريخ مصر يختلط بحياة السادات ، وترتبط به حياة السادات .

وأين كانت أسرة السادات خلال الحرب وبعد الحرب ؟ لقد خرجت قرينة الرئيس الى ميدان العمل ، والتفت من حولها سيدات مصر ، حتى أصبحت أما للمقاتلين ، بل انه عندما أراد الاحتفال بزواج ابنته اختار ضيوفه من المصابين في الحرب ليرفهم عنهم ويشعرهم بمشاركته لهم ومشاركتهم له في أفراحه . وكان هو والسيدة قرينته يقدمان لهم الطعام والحلوى بأيديهما في تواضع .

ان أفور السادات رب لأسرة مصرية أصيلة ، لا تختلف عن ملايين الأسر في مصر ، أسرة يجمع الحب بين أفرادها ويضمهم حب من نوع عظيم هو حب مصر ..

ولما كان رب الأسرة هو قائد معركة التحرير وصاحب إشارة « شرارة » و « بلسر » ، والذي انطلق من ورائه الآلاف والملايين في صبر وإيمان مرددين : الله أكبر .. الله أكبر ..

لم يكن غريبا أن تشارك أسرته في العمل من أجل المعركة ،
وكان دورها في خدمة المقاتلين الذين ارتفعت بهم رءوسنا .

وجاء دور ربة الأسرة السيدة جيهان السادات .. أم الأبطال ،
وكان طريقها واضحا واتجاهها خيرا ، لم تتخلف بل كانت متفائلة
مستبشرة ، فكانت تعرف مدى ثقة الرئيس في كفاءة المقاتل المصرى
وشجاعته . وبعد سماعها أول البيانات فى الاذاعة يوم ٦ أكتوبر
هى وأبناؤها لبنى وجمال ونهى وجيهان .. كان عليها أن تتخذ
القرار .. وفى حديث لها تقول (١) :

.. كنت أعرف أن الرئيس لا يمكن أن يكون قد أخذ قرار
المعركة الا وهو واثق من قدرة الرجال الذين سوف يتولون تنفيذ
القرار ، كنت واثقة من النصر ولكننى كنت أدرك ضراوة المعركة
وأدركت أنه لا معركة بدون ضحايا . ومنذ ساعة اذاعة البيان حتى
موعد مدفع الاخطار .. وقد كنا فى رمضان .. كان هناك سؤال يطرح
نفسه على بشدة هو .. ماذا يجب على أن أفعل ؟ ومر فى ذهنى
شريط لصور أبطالنا الجرحى فى معركة التحرير .. وومض فى ذهنى
سؤال .. ترى لو أن جمال ابنى واحد من هؤلاء الجرحى ، ما الذى
كنت أفعله ساعتها ، وكانت الاجابة هى بلا تردد : أكون بجانبه .
وكانت هذه الاجابة هى دليلى الى القرار الذى اتخذته ، فهؤلاء

(١) حديث فى مجلة آخر ساعة بتاريخ ٩ يناير ١٩٧٤ .

الأبطال الجرحى كلهم أولادى ، كلهم أولاد أنور السادات ،
وواجبى هو أن أكون بجانبهم ، أعاونهم وأخفف عنهم آلامهم
وأساعد على حل مشاكلهم وأرفع من معنوياتهم تماما كنت سأفعل
لو أن الجريح هو ابنى من دى ولحمى .

وعلى مائدة الافطار سمعت أولادى يتساءلون فيما بينهم ..
ماذا تفعل .. ابتسمت فقد كان عليهم أن يصلوا الى القرارات التى
سوف يتخذونها بأنفسهم ، اما عن نفسى فان هذا التساؤل لم يعد
واردا فقد كنت قد انتهيت من تحديد هدفى وموقعى فى المرحلة
القادمة من النضال .

بعد الافطار مباشرة ارتديت معطفى الابيض وتوجهت الى
الهلال الأحمر ، وعقدت اجتماعا مع سيدات الهلال وضعنا فيه
خطة عمل بالنسبة لجميع المستشفيات ، وفى نفس الليلة ، اصطحبت
معى رئيسة لجنة المستشفيات بالهلال وتوجهنا الى مستشفى
القوات المسلحة بالمعادى لنكون فى استقبال أول جريح يصل من
الجبهة ، وكانت سعادتنا عظيمة عندما اكتشفنا انه لم يصل جريح
واحد .

وفى اليوم التالى بدأ وصول الأبطال الجرحى الى المستشفيات
ومنذ ذلك اليوم ٧ أكتوبر وانا أشعر بأن حياتى قد أصبح لها
هدف عظيم ، هو رعاية وخدمة أولادنا أبطال معارك التحرير .

ولما كان هذا هو طريق الأم ، وكان واضحا من قبل طريق الأب ، لم يختلف الأبناء على اتخاذ قرارهم .

فتقدمت لبنى (١٩ سنة) ونهى (١٦ سنة) — وهما طالبتان بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية الى العمل بالمستشفيات . فقد جذبتهم أحاديث الأم عن مقاتلينا الجرحى الى التطوع فى الهلال الأحمر . والمشاركة فى العمل فى المستشفيات .

أما الابن الوحيد جمال (١٧ سنة) وهو طالب بالثانوية العامة فقد تطوع فى الجيش الشعبى ، وكانت ارادته ولم تمنعه أمه ، وسئلت أم الأبطال .. الا تخشين على ابنك الوحيد من خطر الحرب ؟ فأجابت فى قوة وعزم ..

« لو خشيت كل أم على ابنها ماذا يكون مصير الوطن ؟ لن أكون أبدا أقل شجاعة من أمهات المقاتلين والشهداء الأبطال » . ليس غريبا على هذه الأسرة أن تقدم أبناءها الى المعركة . معركة الوطن .. فقد استشهد شقيق الرئيس النقيب الطيار عاطف السادات فى أول أيام المعركة .

لكن واجهت هذه الأسرة المصرية العريقة مشكلة صغيرة ألا وهى .. ما هو الدور الذى يمكن أن تقوم به جيهان أو نانا وهى الابنة الصغرى للرئيس (١٢ سنة) التلميذة بالسنة الأولى الاعدادية ، فان سنها كان عقبة فى وجه تطوعها فى المستشفيات . ولكن عندما وجدتها ربة الأسرة مصرة على التطوع لخدمة المقاتلين

توجهت بها الى مستشفى القصر العيني لكي تغسل الاطباق ، ولم تعترض الفتاة الصغيرة بل رحبت بالفكرة واستمرت تعمل في المطبخ حتى تمكنت والدتها من اقناع المسئولة عن متطوعات الهلال بالمستشفى أن تسمح لها بأن تقوم برواية بعض الحكايات المسلية للابطال الجرحى ، وسمحت لها مسئولة الهلال بذلك فكانت تقضى جزءا كبيرا من الليل في قراءة القصص والنوادر والحكايات حتى يكون لديها رصيد تروييه للجرحى في اليوم التالى لتدخل السرور في قلوب مستمعيها .

كان هذا هو سلوك أسرة الرئيس ايام المعركة .. كان الرئيس فخورا سعيدا مسرورا من تجربة تطوع البنات في المستشفيات وتطوع الابن في الجيش الشعبى ، فقد آتاحت لهم هذه التجربة فرصة المساهمة في خدمة الوطن ، وفرصة التعرف على أخوانهم الجنود واكتشاف معدن الانسان المصرى وشجاعته وقدرته على انكار الذات .

وتقول أم الأبطال جيهان السادات :

« ان أكثر ما يسعد الرئيس هو أن يرى أفراد أسرته وقد ارتبطوا بالناس ، وكونوا مع الجماهير في النهاية أسرة كبيرة تعدادها يزيد على الثلاثين مليوناً » .

لقد تحملت زوجة الرئيس مسئولية رعاية المقاتلين الجرحى،

ومواساة أسر الشهداء وانتقلت الى كل مكان ، وبعد النصر قامت
بتهنئة المقاتلين في مواقع انتصاراتهم .

لقد اختار رب الأسرة وربتها منذ البداية أن يكونا وأبناؤهما
نموذجاً ومثلاً لكل رجل وامرأة ، لكل شاب وشابة وطفل في
مصر .

ومنذ تولى الرياسة حتى بزغ الفجر الجديد ، وبعد بزوغ
الفجر ، وحتى هذه اللحظات ، ظل السادات يعمل من أجل
الرخاء ، واستطاع اخراج الشعب المصرى من أزمته لنفسية
الطاحنة ، وكانت فكرته منذ البداية ترتبط بالحرية ، وقد كتب
ذات يوم يقول :

— ان من ذاق مرارة الاعتقال يعرف معنى الحرية .

وقال لقد كتبت وأنا في السجن ان أروع ما في هذه الحياة
هو الحب في معناه الشامل .. شجرة جميلة أمامى ، صوت
عصفور ، شروق الفجر ، أى مظهر من مظاهر الجمال في الطبيعة
يسعدنى ويهزنى .

وقد عاش السادات مراحل ضياع الحرية ، وفسر عن طريقها
نظريته في الحكم وظل منذ توليه السلطة يفك القيود قيذا بعد
قيد ، ولم تتعب يداه من فك القيود ، ولم يتوقف فكره لحظة
واحدة عن عمل يسقط به قيذا من يد ، أو يفك غلا من عنق .

وكان يقاوم فكرة معاكسة اعتادت وضع القيود والاغلال ، ولم نذق طعم الحرية ، وهى فى نفس الوقت تتحدث عن الحرية .
وهناك قول عالمى معروف يتردد دائما وكأنه من المأثورات .
— أيتها الحرية كم من الجرائم ارتكبت باسمك .

وجعل السادات مفهوم الحرية واقعا فى الحياة المصرية ، وممارسة عملية تفتح كل الأبواب والنوافذ نحو المستقبل ، فرفع — وهو فى حالة الحرب — الرقابة عن الصحافة ، وكانت قد فرضت عليها منذ ٢٦ يناير ١٩٥٢ عند حريق القاهرة المشهور ، وكانت مفروضة عليها قبل ذلك خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، حتى تعود الصحفيون الرجوع الى المسئولين فى كل ما ينشرونه من أخبار ومقالات . ووقعت الصحافة فى أسر السلطة ، فأصبحت بلا سلطة فى توجيه الرأى العام .

لقد مارس الصحافة وعرف أسرارها ، وأدرك منذ وقت باكر ان الصحافة بلا حرية تصبح مثل سراب الماء فى الصحراء ، لا ينفع الظالمين .

وفى منطق ممارسة الحرية ، أعلا مبدأ سيادة القانون ، وأغلق المعتقلات ، وأخرج المسجونين السياسيين وأصحاب الجرائم الذين أمضوا بعض المدد فى السجون ، ورد الحقوق لمن سلبت حقوقهم .

وكان هذا هو الحل للأزمة النفسية التي عاشها الشعب المصري.
غير آمن على شيء فعاد اليه الأمن والطمأنينة على كل شيء .

لم تكن المشكلة أن يملك المواطن المصري قطعة أرض ليدافع عنها ، ولكن المشكلة أن يشعر بأنه يملك وطنه ليدافع عن ترابه.
ومعنى حرية المواطن ليست في امتلاك خمسة أفدنة من الاصلاح الزراعى ليحارب من أجلها ، ولكن معناها امتلاك نفسه ومصيره ويومه وغده وعندما امتلك المصريون هذه القيم حاربوا معركة رمضان ، وتحققت أفكار السادات عن معنى الحرية .

ان الرخاء لا يأتى على طريق الاستعباد .

لقد ألف المقرئى المؤرخ المصرى الشهير كتابا عن الكوارث التى لحقت مصر من مجاعات وأوبئة ، وسماه (كشف الغمة) ، وسجل فيه من النكبات ما تنوء به كواهل الشعوب حتى أكل الناس لحوم الكلاب والقطط ، بل ولحوم الأطفال حين اشتدت المجاعات ولكن مصر كانت تعود الى الرخاء مرة أخرى بعد أن تنكشف الغمة .

وقد تحدث السادات عن السنوات العجاف التى مرت بمصر — ولم تكن بحمد الله مما ذكره المقرئى — وحيأ الشعب المناضل الأصيل ، الذى تحمل كل شيء ، ووقف فى الطواير أمام المجمعات الاستهلاكية ، وعاش ببطاقات التموين ، مضحيا من أجل كرامة الشعب العربى ، حتى حانت ساعة الرخاء .

أنه يسعى للسلام من أجل الرخاء ، وحركة التحرير في مفهومه
السياسي مقترنة بحركة التعمير ، وهذا هو المفهوم الحضاري
لمصر منذ سبعة آلاف عام .

الحرية والحضارة شيء واحد في المفهوم المصري الذي وضع
أساس الزراعة والصناعة والعلم والفن من أجل رخاء الانسان
الحر ، ولم يحدث أن وضعت حضارة مصر داخل غلاف كتاب
مقدس تعيد قراءته كلما أرادت لنفسها الحياة ، كما حدث مع
الفكر الاسرائيلي الذي يملك كتابين هما التوراة والتلمود ، لأن
مصر تملك الكتاب الأكبر الذي يتسع لكل الصفحات بغير قيود
ولا حدود بين الماضي البعيد والمستقبل الأكثر بعدا .

ان مصر تستطيع أن تغير كل شيء حتى جلود البشر ،
وتستطيع أن تضع على أجساد الغزاة شاراتها وثيابها ، فألبست
يونابرت (العمامة) حين أراد أن يحتفل بالمولد النبوي الشريف
وألبست اللورد كتشنر (الطربوش) حين أراد أن يكون ضابطا
في جيشها وهو يحتل أرضها تحت علم الامبراطورية التي كانت
للسمس لا تغيب عن ممتلكاتها .

وعندما أراد يونابرت في حملته الغازية لمصر أن يضع في صدر
(الشيخ عبد الله الشرقاوي) شيخ الأزهر وسام الجمهورية
الفرنسية المثلث الألوان ، نزع الشيخ وألقاه في وجه يونابرت
وقال الكلمة الفرنسية الوحيدة التي يعرفها :

— نو .. نو

ولم تستطع بريطانيا العظمى بعد احتلال مصر أن تجعل الجيش المصرى على نمط الجيش البريطانى كما فعلت فى المستعمرات ، بل أن الضباط الانجليز الذين انضموا الى الجيش المصرى ارتدوا ثياب الجيش المصرى . وهكذا فعل ضباط البوليس الانجليز الذين كانوا يشرفون على الأمن فى مصر خلال فترة الاحتلال .

وكان كبار الموظفين الانجليز الذين يعملون فى الحكومة المصرية ، يرتدون (الطربوش) الذى كان شعارا رسميا للموظفين المصريين .

أما اليهود الذين عاشوا فى مصر ، فقد ارتدى بعضهم الجلابيب وتأقلموا بالحياة المصرية فى كل تقاليدھا وعاداتھا ، حتى لاحظ ذلك بعض الصحفيين الأجانب الذين زاروا قل أيب ، فقال أحدهم انه يعرف مكان اليهود المصريين ، عندما يشم رائحة الملوخية .

كانت قضية الصراع الحضارى بين مصر والصهيونية ، لا تحتاج الى شرح أو تفصيل فان مصر هى أم الحضارات ، وكانت تحتاج الى قائد يفهم حقيقتها ، ويرد اليها قيمتها فى مواجهة الدعايات ، والأقوال الخادعة ، وفى ظل الانكسار الأوروبى المترنح تحت ضربات النازية لليهود ، واثارات هتلر ومعسكرات تعذيبه لليهود ، حتى صنع من جلودهم أباجورات للمصاييح

ولم يفهم العالم الأوروبى حقيقة القضية بعد انتهاء الحرب

الثانية ، بل كان يحمل في أعماقه العطف على اليهود بسبب أو بغير سبب ، ولم يسمع هذا العالم الذي دمرته الحرب كلمات الملك عبد العزيز آل سعود للرئيس الأمريكى روزفلت ، عندما التقى به فوق ظهر يخت فى البحيرات المرة داخل قناة السويس ، فقد قال الملك العربى للرئيس الأمريكى :

— اذا كنت تريد تعويض اليهود عن عذابهم مع الألمان ، فأنت تستطيع أن تمنحهم من بيوت الألمان وقصورهم وأموالهم ما يعوضهم ولكن لا تعوضهم على حساب الشعب العربى الذى لم يرتكب ضدهم جرما .

وسكت روزفلت ، ولم يستطع الرد على الملك العربى ، ولكنه طلب منه ارجاء المناقشة وتعهد بأنه سيكون مع الشعب العربى . وكان السادات فى تلك الأيام شابا يكتب أول حروف التاريخ فى حياة مصر ، كما سبق أن ذكرت ذلك .

وبعد ثلاثين عاما كتب السادات السطر الذى أملاه الملك عبد العزيز آل سعود على روزفلت .

— لماذا يدفع العرب ثمن أخطاء الآخرين ضد اليهود ؟

قال الرئيس السادات لوزير خارجية المانيا السابق « الهر شرويدر » .

— لما كنت طفلا كنت أسمع أهل قرىتى الصغيرة يشيدون بالعقيلة الالمانية والعبقرية الالمانية والخبرة الالمانية . وعشقت

ألمانيا مع أهل قرىتى ثم مع شعب بلادى . وعاش الحب فى صدورنا
سنوات طويلة .

ثم فوجئنا بعد الحرب الأخيرة بما يسمى عقدة الذنب . ورأينا
صديقتنا تحل مشكلتها مع اليهود بطردهم من بلادها ، ثم اسكانهم
فى فلسطين بعد طرد أصحابها منها . وفوجئنا بصديقتنا التى
أحبيناها تقدم مليارات الماركات هدية للذين طردونا من بلادنا
ثم فوجئوا بحكومة الدكتور اديناور تقدم كميات ضخمة من
الأسلحة لأعدائنا وقد استخدم جيش اسرايل هذا السلاح لقتل
أولادنا .

ولم ينسب الشعب العربى هذه التصرفات العريية للشعب
الألمانى ، بل نسبها لبعض ساسته لأنه لم يتصور أن الشعب الذى
أحبه كل هذه السنين يمكن أن يطعننا فى ظهرنا . ونحن اليوم
لا نطلب من ألمانيا أن تقف بجانبنا . لأننا نعرف ظروفها .. ولكننا
نطلب منها أن تنظر بطريقة موضوعية عادلة الى قضيتنا . لقد
زرت مدينة السويس ورأيتم بعيونكم كيف تحولت المدينة الى
انقاض .. وقد تكرر هذا الخراب فى الاسماعيلية وبور سعيد .
ان القنابل الألمانية اشتركت فى هدم السويس . وانا أرجو أن
تشارك العقول الألمانية والأيدى الألمانية فى إعادة بناء السويس
ومدن السويس . اننى انتظر وصول المستشار ولى برانت وأتوقع
أن تتحدث معا فى هذا الموضوع . ولكن يهمنى أن تعرضوا هذه

الحقائق على الشعب الألماني ليقدروا مدى الظلم الذي وقع على العرب .

وقال « شرويدر » وباقي ممثلي الأحزاب الألمانية للرئيس السادات ان جميع أحزاب ألمانيا الغربية متفقة اليوم على أن تساهم بلادهم بكل طاقاتها في معركة التعمير . وهم جميعا متفائلون بالغد الذي ينتظر مصر ويعتقدون ان مشكلة اسرائيل قد اقتربت من نهايتها .

ثم قال زعيم المعارضة بالنيابة للسادات ان كل الألمان الذين ألتقيت بهم يؤمنون بك . ويتوقعون لمصر رخاء سريعا . ولقد كانت أمنيته أن نزور أسوان ونشاهد التطور الضخم الذي حدث فيها .. ولكن البرنامج الذي وضعوه لنا لم يتسع لهذه الزيارة مع الأسف .

فقال السادات : اننى أدعوك وزملاءك أعضاء الوفد البرلماني ان تعودوا لنا مرة أخرى .. ويسعدنى أن استقبلكم . وان أوفر لكم رحلة الى أسوان . تعالوا مرة أخرى .. اننا فى انتظاركم .

وقد ذهب شرويدر أن يطير الى تل أبيب ليجتمع بساسة اسرائيل . ويرى بنفسه مدى التطور الذى وقع فى سياسة اسرائيل بعد معركة العبور . وكان قد زار اسرائيل منذ ثلاث سنوات واجتمع بقادتها الذين أكدوا له أن الجيش المصرى أضعف من أن يهاجم اسرائيل ..

هذه الذكريات لم توقف السادات عن اتمام خطته من أجل الرخاء ، وقد بدأها منذ بدأ يفكر في الكفاح الوطنى من أجل تحرير مصر ، ولم تكن هذه الأفكار سوى التفكير الجديد الذى سبقه تصور قديم .

ان المستقبل لا ينفصل عن الحاضر ، والحاضر لا ينفصل عن الماضى ، وهى ثلاث حلقات تصنع حياة الانسان .. الماضى والحاضر والمستقبل كما ان الاتصال عن حلقة واحدة من هذه الحلقات الثلاث يؤدى الى الهلاك وانعدام الرؤية ، وضياع الانسان نفسه فى متاهة اللا وجود واللا عدم .

هكذا نشأت حياة الانسان فوق الأرض ، تب وابن وولد ، وهى الحلقات الثلاث التى تصنع الانسان وتوجد حياته الممتدة من الماضى الى المستقبل .

وفى اليوم الثالث من أبريل عام ١٩٧٢ ، وكان السادات داخل جامعة الاسكندرية يتحدث الى المستقبل الى شباب مصر وبين يديه ورقة عمل لصنع المستقبل ولم يقبل السادات ان يقدم هذه الورقة للتنفيذ وهو رئيس الجمهورية ، ولم يقبل أن يريد لأفكاره أن تستقبل بعواصف التصفيق والتأييد ولكنه قال أنه يعرض أفكاره للمناقشة .

وعندما غير السادات مرحلة الماضى منطلقا الى المستقبل ورأى فى الشباب هذه الصورة كان يتحدث فى جامعة الاسكندرية بأسلوب

الوالد الى أولاده . وكان يشعر منذ وطئت قدماه أرض الجامعة أنه أب لهؤلاء الشباب الذين سيخرج من بينهم قائد المستقبل . وحدثهم عن (ورقة أكتوبر) قبل أن يقدمها في الاجتماع المشترك بين أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وأعضاء مجلس الشعب — وهما يمثلان المؤسستين الديمقراطيةيتين في مصر .

وكانت محاورته مع شباب المستقبل تشبه محاورات أفلاطون مع تلاميذه — وليس هذا من إحياء جامعة الاسكندرية التي كانت من أقدم جامعات الدنيا في مناقشة فلسفة الحكم ، ولكنه إحياء من الحوار الذي دار بين السادات وبين شباب الجامعة فقد ارتفع المستوى العلمي في الحوار حتى رفض المشكلات الطارئة أو الوقتية والتفت بكل انتباه الى المشكلات العامة أو الرئيسية في بناء المجتمع المصري في المستقبل .

ونسى أنور السادات انه رئيس الدولة أثناء هذا الحوار ، وارتدى ثياب الأستاذ الجامعي حتى أنه رفض مناقشة مشكلات السلطة ، وأحالها فوراً الى الوزراء المختصين ليتصرفوا فيها وعاد الى الشباب ليناقشهم حول المستقبل الذي رآه في وجوههم أو قرأه في عيونهم .

لم تكن المشكلات الطارئة هي التي تشغل تفكيره ، ولكن الذي شغل تفكيره هو مستقبل مصر . لأن كل المشكلات يمكن أن يجد لها حلاً خلال ورقة صغيرة اسمها (قرار جمهوري) ،

ولكن المشكلة الكبرى لن يصدر بها قرار جمهورى . ولكن تصدر بها ارادة شعبية تعيد بناء مصر وحضارة مصر .

وهناك ميزة من ميزات السادات هى قدرته على أن يضع فلسفة لكل المواقف ثم يضع حلولاً للمشاكل .

وقد اتبع الأسلوب العلمى عندما كتب (ورقة أكتوبر) التى
فسر بها أسرار معركة أكتوبر ، وفسر بها أيضا أسرار الانطلاق
نحو مستقبل مصر .

لقد رفض عند مناقشة الورقة شيئين أساسيين هما :

• رفض فكرة المعجزة التى حققت انتصار أكتوبر .

• رفض التنصل من المسئولية السابقة لتولية السلطة .

وكان الرفض للفكرتين قائما على أساس علمى ، لا صلة له بالعاطفة ، بل ان استرضاء الجماهير على أساس ترويج هاتين الفكرتين كان هو الطريقة التى سلكها السابقون من حكام مصر فليس أسهل من القول بأن المعجزة تحققت ليصل الحاكم الى ما يقرب من القداسة ، وليس أسهل من افراغ كل أخطاء الماضى أمام الجماهير لتحلم بعصر الثراء القادم عن طريق الرخاء بعد زوال هذه الأخطاء .

ولكن السادات رفض هذه الطريقة ونبذها ، وهو من أعرف

العارفين لمسارها في التاريخ المصرى الحديث والقديم وقد سلك
حكام من قبله هذه الطريقة ، ثم ضلوا الطريق .

وكانت المشكلة أنه أصر اصرارا كاملا على تحمل المسؤولية
منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى الآن ، وحين قيل له أنه مسئول عن
القرارات وليس مسئولا عن الاجراءات ، رفض هذا الرأى وبدأ
يتحدث عن السليبيات التى حدثت فى الماضى والايجابيات التى
يجب أن تحدث فى الحاضر .

ولم تكن القضية من وجهة نظره هى المسؤولية فى ذاتها ،
ولكنها كانت قضية التاريخ المصرى الذى يرتفع قدره مع ارتفاع
مسئولية القادة والزعماء .

ان قضية (أنور السادات) هى قضية مصر وليست قضيته هو
شخصيا . وليس يهم اطلاقا أن يكون فى الصف الأول أو الصف
الأخير ، ولكن يهمه دائما أن تكون مصر هى الطليعة للنضال
العربى ، وكثيرون ممن يتصورون أنهم مثاليون لا يصلون الى
هذه الدرجة من انكار الذات فى سبيل تحقيق المبادئ والأهداف .
وقد أراد السادات الا يختل الميزان وقبل على نفسه أن يكون
مسئولا عن كل شئ . حتى تبقى الصلة بين الماضى والحاضر عندما
فتح لمصر باب المستقبل .

منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ما يقرب من عشرين
عاما .. جعلها لحظة واحدة هي لحظة العبور من الهزائم الماضية
الى الانتصارات القادمة .

وفي الجلسة التاريخية يوم ١٨ أبريل ١٩٧٤ قدم السادات
(ورقة أكتوبر) لأعضاء اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي وأعضاء
مجلس الشعب . وكان التركيز في هذه الجلسة على نقطتين
أساسيتين :

أولا - الحياد الايجابي .

ثانيا - الاشتراكية المصرية .

ومن واقع تجربة أكتوبر حدد السادات اتجاه السياسة
الخارجية لمصر ، وقال في تلك الجلسة محددًا العلاقات مع القوتين
الأعظم :

الاتحاد السوفيتي :

علاقتنا أولا مع الاتحاد السوفيتي بوصفه صديقا
لنا - زى ما قلت لكم دلوقت فيه لنا بعض الملاحظات
على هذه العلاقة ودا أمر طبيعي بين حتى اللي بيدخلوا
حرب حلفاء مع بعض يبقى بينهم ممكن هنا ويحصل
وأكثر - اننا احنا أصدقاء مجرد أصدقاء ومع ان يحدث
شئ أو أشياء فيما بيننا أو سوء فهم في المرحلة الحالية
أنا ما أعرفش ليه فيه سوء فهم - على الأقل أنا أريد أن
أؤكد أمامكم وعلى مسمع من شعبنا كله انه من جانبنا

احنا هنا ومن جانب مصر - احنا ما بنعملش على سوء التفاهم بل على العكس نحن نعمل على استمرار هذه الصداقة وما بنستجيبش أبدا لآى استفزازات أو أى توفزات من أى جهة - ما بنستجيبش أبدا ، ولكن للأسف بأجد سوء فهم يتمثل أو يترجم أمامى بتصرفات لا أجد لها تفسيراً .

يعنى سمعتونى دلوقت بأقول انه فيما خلا بعض الطلبات اللى طلبناها من الاتحاد السوفيتى ولم ترد بعد . قواتنا عادت كاملة تماماً - بس هذه الطلبات فيها حاجات جوهرية أساسية هذه الطلبات مثلاً - بترجم سوء الفهم من جانبهم انه أبعت أربع رسائل للرئيس بريجنيف منى كرئيس لمصر وأطلب فيها هذه الطلبات على مدى ست شهور الماضية - فلا يصانى رد إلا من شهرين مع السفير السوفيتى ان الطلبات تحت الدراسة ، ثم من شهر مع وزير خارجية الاتحاد السوفيتى لما زارنا نفس الرد أيضاً ان الطلبات تحت الدراسة .

سوء الفهم بلا اسباب :

مش معقول أن تكون تحت الدراسة ستة أشهر وأنا أعلم ان هذه الطلبات ليس فيها خوارق أو أشياء مستحيلة - أبدا - وإنما عادية تماماً تحت الدراسة ستة أشهر ومن الستة أشهر دول كان فيه عندى شهر حرج اللى هو الشهر الأول للجيب اللى هو شهر نوفمبر .

ما أعرفش ان دا يكون يعنى أمر لسه يحتاج للدراسة . أنا بترجمه ان فيه سوء فهم .

خرج أيضا كلام من عندهم أن مصر خلاص سابت الاشتراكية . بس الاشتراكية أنا أرجو أنه يكون مفهومها لكل أن احنا ما اخترناش الاشتراكية لارضاء أحد ما اخترناه وما نختاره لأنفسنا هو من صميم مسئوليتنا حسب ظروفنا ومقتضيات المرحلة اللى احنا بنمر بها احنا ما بنحتاجش تعليقات من حد على اشتراكيتنا ولا على نظامنا .

كل هذا واضح فى الورقة اللى عند حضراتكم احنا منذ يوم ٢٣ يوليو ٥٢ لنا ارادة حرة خالصة هذه الارادة مصرية مائة فى المائة وستظل إن شاء الله مصرية مائة فى المائة . قبل هذا حقيقة بأسف لسوء الفهم هذا . قد يكون لأن أسباب أخرى أيضا أنه بدأت علاقتنا تتحسن أو تفتح مع الولايات المتحدة ومع الغرب وأيضا الانفتاح الاقتصادى قبل عنه ما قيل .

برضه أنا بأقول ان كل دى أمور من صميم شئوننا ولا نقبل حتى التعليق لأن التعليق حتى فيه شيء من المجافاة للنوق .

يعنى مش عايز أقول كلمة أكثر - لآتنى ما بحبش استخدام هذه الألفاظ - احنا أحرار وأحب أقول لكم أنه زى ماسمعتم عنى اللى ضامن قرار وقف إطلاق النار القوتان الأعظم . ولا مصلحة لنا فى أن نعادى أحد - لا من القوى العظمى ولا من الدول اللى ماهش عظمى ، احنا علاقاتنا لأبد ان تكون طيبة مع الكل لصالح مصر . من يبادرنا العداء نرد عليه لكن لا نبادر أحد بعداء احنا فعلا فى مرحلة اعادة تشكيل علاقاتنا على أساس مبادئنا وعلى الحياد الإيجابى الواضح الكامل بين العسكريين فى

هذا العالم . والله اذا كان هذا لا يلقي قبول من البعض
ماهش ذنبنا - احنا كده واختارنا لنفسنا كده - كون
تعود علاقاتنا طيب ماهي المتغيرات العالمية من حولنا
كلها بتنبىء بهذا .

في أوروبا مؤتمر الأمن الأوربي يجتمع علشان الشرق
والغرب ليوجدوا صيغة لأسلوب التعايش الايديولوجيات
المختلفة المتصارعة اللى هي كانت الرأسمالية والشيوعية
في روسيا تقابلوا فيما يسمى بالوفاق الدولي - العالم
فيه متغيرات ضخمة كتبت لكم عنها اللى ما يعيش هذه
المتغيرات يبقى ماهش عايش العصر اللى احنا فيه .
العالم نبذ الحرب الباردة واتجه الى سياسة الوفاق ،
حتى بين النظامين اللى كانوا مش متعادين بس بل دول
كانوا في صراع . بقى فيه وفاق . احنا من مصلحة مصر
الا يكون لها اى صراع مع قوة كبرى او اى قوى اخرى
الا اذا بادرتنا هذه القوة بالعداء او بالصراع .

تنوع مصادر السلاح :

وده خط واضح تماما من اجل هذا بيهمنى ابلغكم
انه امام هذا الوضع انا اتخذت قرار مع القوات المسلحة
بتاعتنا بضرورة تنوع مصادر الأسلحة لنا ونفذ هذا
القرار في مثل المرحلة اللى احنا بنمر بها من الصعب على
جدا وانا مسئول ليس امام شعبنا فقط وانما امام
امتنا العربية كلها اننى اقف مكتوف الأيدي امام ست
شهور طلبات أسلحة لا يرد عليها وأترك قواتنا المسلحة
وأترك شعبنا وأمتنا وقضيتنا بدون حماية وضمان
لاستمرار القضية وحماها ..

ده وضعنا . . أنا باقول بارحِب كل الترحيب باتنا
نصل الى الموقف اللى تقعد فيه مع بعضنا احنا والاتحاد
السوفيتى كأصدقاء ونتصارح مفيش عندنا شىء بنخبيه
ومفيش خلفيات ولعلمهم يكونوا فهمونى كويس من درس
الخبراء سنة ٧٣ - اعتقدوا انى كنت باعمل هذا بالاتفاق
مع امريكا او غيرها وثبت لهم بعد ثمانية شهور انه
ماكنش فيه اتفاق لا مع امريكا ولا مع حد . . ده كان
قرار وطنى بحت وكان وقفة مع الصديق زى ما قلت
قد ايه حناخد على ما نوصل لهذا ارجو ان الوقت
ما يطولش وتقعد مع بعض ونتاقش أمورنا بصراحة .

للأسف كل نقط الخلاف السابقة عادت كما هي
تماما بدون داعى وسوء الفهم عاد كما هو بدون داعى من
جانبنا أنا باقول نحن لا نريد صداقة حد على حساب
حد بصراحة ما بنصادقش امريكا على حساب الاتحاد
السوفيتى وان نصادق الاتحاد السوفيتى على حساب
امريكا كده بصراحة لأن اللى بيهد ايده بالصداقة لنا
بنهد ايدنا بالصداقة له وان ما يحكمنا هو كلمة واحدة
مصر ومصلحة مصر .

الموقف من امريكا :

بيأتى بعد ذلك موقفنا مع امريكا بدأ بلا شك التحول
او التغيير فى سياسة امريكا ولعل يوم أن تقدم كيسنجر
كما حكيت لكم فى اسوان بعرض امريكى بيننا وبين
اسرائيل فى الوقت اللى كانت امريكا ١٠٠ فى المائة منحازة
الى اسرائيل أو فى احسن الفروض كانت تقول اتكلموا
مع اسرائيل . . يا اما منحازة ١٠٠ فى المائة على وقت
جونسون - وجونسون للأسف كانت فترة سوداء فى

امريكا زى ما هى فى تاريخنا احنا كمان هنا عشناها
الأيام ما بعد يونيو الاسود أيضا كانت فترة جونسون فى
امريكا سوداء على الشعب الأمريكى ومعلقهم الكبار
قالوا هذا الكلام قبل احنا مانقوله - حصل تحول جنرى
بدل ما امريكا تكون منحازة ١٠٠ فى المائة فى جانب
اسرائيل او احسن الفروض تقول لنا اتكلموا لا لى
الدكتور كيسنجر المسألة توقفت عاد الرئيس الأمريكى
ضد موافقته على ان تتقدم امريكا بعرض بين الاثنين
وباعتبره ده تحول جنرى بالنسبة لوقف امريكا بشأن
كده كانت بعد ذلك الخطوات اللى تمت بيننا اعادة
العلاقات الدبلوماسية وتطور العلاقات واللقاءات
المستمرة اللى فيما بيننا واللى بتحصل ..

بيحطو للبعض - وأنا كاتب فى الورقة دى - لازم
نخلص من عقدة ان امريكا حاتضحك علينا أو الاتحاد
السوفيتى ها يضحك عليكم أو نتعامل مع اى احد يقول
اوعوا لحسن حايضحكوا عليكم .. احنا نتحرر من
العقلة دى بقى احنا بنعرف مصلحتنا اللى بيوافقنا
بنوافق عليه اللى يتفق مع مصلحتنا بنوافق عليه -
اللى لا يتفق مع مصلحتنا بنرفضه وده بيتم بطريقة
علمية لآتى مسئول انى اضع امامكم كمواسبات
دستورية فى البلد وامام الشعب وامام امتنا العربية
الحقائق واضحة بلا اتفاقات لا سرية ولا اتفاقات
جانبية .

بعد ذلك بنكون اتأمتنا زى ما قلت لحضراتكم الواقف
الى ما قلمتش لكم عنها تقرير وهى :

✱ وقف اطلاق النار .

✱ ثم اتفاقية فك الارتباط بين القوات .

✱ ثم صورة الموقف اليوم .

✱ ثم علاقاتنا مع القوتين الأعظم .

يتبقى علاقاتنا المصرية وأنا أريد ان اطمئنكم ان
الموقف العربى ثابت رغم كل المحاولات اللى بنسمعها من
حوالىنا .. الموقف العربى ثابت وصلب ومستمر
ان شاء الله .

وقد ذكر الرئيس فى أحاديث سابقة أن الرئيس هوارى
بومدين دفع للاتحاد السوفيتى مائة مليون دولار حتى يرسل
أسلحة الى مصر أثناء معركة أكتوبر .

أما قضية الاشتراكية . فقد تناولها الرئيس فى فقرة من الخطاب
مما سبق أن قدمته لك ، ووضح أن اختيار مصر للاشتراكية لم
يكن ارضاء لأحد . وانه اختيار حر وفى ذلك يقول بالنص :

« أنا أرجو أنه يكون مفهوما لكل أن احنا ما اختارناش
الاشتراكية لارضاء حد ما اختارناه وما نختاره لأنفسنا هو من
صميم مسئوليتنا حسب ظروفنا ومقتضيات المرحلة اللى احنا
بنمر فيها فما بنحتجش تعليقات من حد على اشتراكييتنا ولا على

نظامنا .. »

لقد أصبحت (ورقة أكتوبر) وثيقة لبناء المستقبل . وحددت
معالم الطريق واستلهمت من تاريخ مصر الحديث كل تجاربه تأكيدا
للفكرة التي يدعو اليها السادات من وجوب ربط الماضي بالحاضر
وربط الحاضر بالمستقبل من أجل بناء الدولة الحديثة .. دولة
العلم والايمان . وبدأ المجتمع المغلق يفتح على العالم اقتصاديا
وفكريا وسياسيا . وأصبحت مصر تعيش مرحلة جديدة من مراحل
حياتها الطويلة العريضة .. هي مرحلة اعادة بناء الحضارة من أجل
تحقيق السلام والرخاء والرفاهية .

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة	٣
١ - رجل من القرية	٩
٢ - انصار الشخصية	٣٣
٣ - ساعة التجربة	٨٥
٤ - رئيس بلا أعوان	١٠٣
٥ - معجزة الوحدة العربية	١٢٧
٦ - فارس الحرب والسلام	١٤٣
٧ - مطلع الفجر	٢٠٣

الغلاف بريشة الفنان جمال كامل

رقم الموضوع	الشهر	السنة
١٦٥	مايو	١٩٧٤

وزارة الإعلام
الهيئة العامة للإستعلامات

في سطور



- ولد في ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ بقرية (ميت أبو الكوم) بمحافظة المنوفية .
- تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة الأقباط بقرية (طوخ دلكه) بالمنوفية ، كما تلقى دراسته الثانوية بمدرسة فؤاد الأول بالعباسية بالقاهرة .
- تخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ ، وعين في سلاح الإشارة برتبة ملازم ثان .
- اشترك في الحركات الوطنية خلال السنوات السابقة للثورة ، واعتقل وسجن عدة مرات . وابتعد عن الجيش ، ثم أعيد للخدمة في سنة ١٩٥٠ برتبة يوزياشي .
- أذاع أول بيان للثورة في صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من إذاعة القاهرة .
- ٨٠ ● عين وزيرا للدولة في سنة ١٩٥٤ ، وظل في هذا المنصب شهوراً قليلة .
- عين رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٦ .
- كان مشرفاً على المؤتمر الإسلامي في سنة ١٩٥٧ .
- انتخب رئيساً لمجلس الأمة في ٢٣ يوليو ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٨ .
- عين نائباً أول لرئيس الجمهورية في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٦ .
- انتخب رئيساً للجمهورية في ١٧ أكتوبر ١٩٧٠ .
- قاد حركة التصحيح لمسار ثورة ٢٣ يوليو في ١٥ مايو ١٩٧١ .
- قاد معارك حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي حققت النصر لأول مرة منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ .

